زينب

في محراب العشق

محاضرات العالمة الفاضلة

أم عباس



تقديم العلامة الدكتور

الشيخ عبدالهادي الفضلي



زينب في محراب العشق

زينب في محراب العشق

تأليف

العالمة الفاضلة أم عباس (حفظها الله)

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م


بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

ضم الكتاب دراسة عرفانية لشخصية عقيلة الطالبيين السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب عليها السلام شريكة أخيها سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام في ثورته الإسلامية العظمى التي فجرها ليطلب الإصلاح في امة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وليرد المعالم من دينه ويقيم المعطلة من حدوده.

اعتمدت العالمة العارفة السيدة أم عباس النمر في هذه الدراسة مدركات الوجدان ومعطيات النصوص الشرعية من آيات كريمة وأحاديث شريفة تفسيرا منها وشرحا لظاهرها وتأويلا لباطنها وغوصا إلى أغوار مداليلها في أعماق أبعادها.

وقد كشفت المؤلفة الكريمة في دراستها هذه عن أبعاد عظيمة ومهمة في شخصية السيدة زينب عليها السلام ترتفع بها إلى مقامات المصطفين الأبرار عليهم السلام.

ولا غرو في ذلك فهي وليدة ربيبة بيت المصطفى واله أصحاب آية التطهير، فمنه أخذت عليها السلام بكل أسباب السمو ففازت بالمجد من جميع أطرافه، وقد انعكس هذا في كل سلوكها فكريا وماديا في القول والفعل، وبطولاتها الرائعة قبل ثورة كربلاء وفي أثنائها وبعدها لخير شاهد على ذلك.

والعرفان - كما هو معلوم - يرتكز على الإشارة والتلميح ويبتعد عن الإفصاح والتصريح.

ومن هنا يضيق بالقارئ فهمه لبعض ما يقرأ فعليه - والحالة هذه - أن لا يتسرع بالتعليق وأن يتأنى ويتروى ثم يستفهم ويستفسر وهذا شرط أساسي في التعامل مع الفكر العرفاني والاستفادة من دراسات العرفاء.

ويرجع هذا إلى أن العارف كلما أوغل في الكشف ازداد عشقا ويصبح ما يهتدي إليه من معاني وحقائق واضحة بالنسبة إليه غامضة عند غيره ومن هنا يعتدها أسرارا لا يسمح لنفسه بالكشف عنها تصريحا وإنما عليه أن يشير إليها تلميحا.

ولهذا أقول ثانية إن الشرط المذكور أساسي هنا.

وقد كتب عن السيدة زينب عليها السلام عشرات الكتب من أشهرها:

- كتاب زينب الكبرى للشيخ جعفر النقدي.

- كتاب بطلة كربلاء للدكتورة بنت الشاطئ.

وكل ذلك الذي كتب لا يعدو كونه بحثا أو سردا تاريخيا.

ومن هنا تأتي هذه الدراسة التي بين يدينا أول دراسة عرفانية لشخصية السيدة زينب عليها السلام أثاب الله تعالى المؤلفة الفاضلة على عملها هذا الأجر الجزيل ووفقها لما يجب ويرضى أنه ولي التوفيق وهو الغاية.

سماحة الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي

المقدمة (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

نقدم بين يدي القارئ الكريم تقريرا لمجموعة دروس للأستاذة العالمة الفاضلة أم عباس النمر - حفظها الله - والتي ألقيت في العشرة الأوائل من محرم الحرام لعام ١٤٢٧هـ.ق في مجلس بقية الله الأعظم -عجل الله فرجه الشريف-.

ونلفت عناية القارئ إلى ما يلي:

١- أن هذه المحاضرات ألقيت على جموع غفيرة من الحضور وبمختلف المستويات الفكرية والعلمية وبمختلف الأعمار، لذلك يلحظ مراعاة هذا التفاوت عند إلقاء الدروس، ومع هذا فالمحاضرات في غاية المتانة والعلمية.

٢- ستجدون في هذه المحاضرات غزارة المعنى، ابتكار الفكرة، حرارة العاطفة، وصدق الخطاب، سلاسة الأسلوب وغيرها من المميزات الرائعة والتي لم يكن بالإمكان الحفاظ على أكبر قدر ممكن منها ومن ثم نقلها إلى القارئ إلا بالحفاظ على أسلوبها الخطابي مهما أمكن عند التقرير. وبلا شك ليس الغيب كالشهادة!

٣- لقد شحنت عبارات الأستاذة الفاضلة بالروايات والنصوص الدينية

والتاريخية، بحيث لا تخلو عبارة من عبائرها من تصريح أو إشارة إلى نص أو رواية أو آية، وهذا أمر مشهود وليس بمبالغ فيه. ولقد كانت الرغبة في تحقيق هذه الروايات والنصوص بنقلها من مصادرها الأصلية ومن الدرجة الأولى، غير أن وفرتها من جهة، والمحدوديات المختلفة المحيطة بالمقرّرة لهذه الدروس من جهة أخرى حالت دون تحقيق هذه الرغبة، هذه بالإضافة إلى الطلب الحثيث من قبل الجمهور بالتسريع بإخراج التقرير وإن لم يتم كماله، لذلك اكتفت المقررة بعرض بعض ما حصلت عليه من الشواهد وإن لم يكن من مصادر الدرجة الأولى، وذلك لتحقيق الأنس والفائدة للقارئ الكريم.

والله ولي التوفيق.

أم أمين المسبح

محراب العشق

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾[1].

البحث تحت عنوان «**زينب عليها السلام عقيلة الطالبيين في محراب العشق**».

لزينب مع كل منا حديث مرموز:

لا نشك أن للعقيلة عليها السلام رسالة وخطاب لنا جميعاً، وذلك لأن وصايا أولياء الله الكُمّل أعم من روابطهم العنصرية بل إنها تشمل كل من كان له استعداد أن يدخل تحت ولايتهم.

زينب عليها السلام من أولياء الله الكمّل، أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته يقول: «**أوصيكما وجميع ولدي وأهل بيتي ومن بلغهم كتابي هذا من المؤمنين بتقوى الله ربكم، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون...**»[2].

من هذه العبارة نعرف أن الوصية ليست للأبناء العنصريين فقط. الوصية للأبناء الحقيقيين «**ومن بلغه كتابي هذا**»، فالأمومة والأبوة أعم من الأمومة والأبوة

(١) النور ٣٦-٣٧.
(٢) الإمام علي من المهد إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٣هـ، ص١٦٥.

العنصرية. بمعنى أن الإنسان له تبعية مجبول عليها لوالديه العنصريين، فهو يولد من والدين لا يختارهما، في منطقة لا يختارها، شكله الظاهري مثلا أمر لا يختاره، أما شخصيته وتبعيته الواقعية فهي أمر في اختياره. وقد أكدت الروايات أن الصديقة الزهراء عليها السلام وبالتبع زينب عليها السلام هي الأم الحقيقية لنا.

إنّ ما وصل إلينا من روايات ومقولات تاريخية في شأن السيدة زينب عليها السلام محدود جداً، لكن لو فصلنا هذه الأخبار وحللناها لأدركنا أن لزينب عليها السلام خطاب خاص وحديث مرموز لكل واحدة منا بحسب ظرفها ودورها ومقامها، هذا الخطاب لا يُفهم إلا بتحليل ذلك الواقع التي عاشته صلوات الله وسلامه عليها محاوله منا في طرحها نموذج للمرأة المجاهدة العاقلة التي تحمل على راحتها قلبها وكل ما تملك فداء للمبدأ والعقيدة. سيّما أننا في الوقت الحاضر نعيش ألوان وأنحاء وأشكال من خطابات كثيرة عبر، إعلام واسع، ثقافات متنوعة، علاقات اجتماعية كثيرة.

والآن نريد أن نعرف هل لزينب عليها السلام ذات العلاقة الأساسية الواقعية بنا خطاب معنا؟ هل يمكننا أن نكون زينبيات.

يقول استاذنا الجوادي الآملي في شرحه للآية ﴿**يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ**﴾ إن النداء في ذلك اليوم بالأسماء الحقيقية فينادى يا محمدين يا حسينيين يا عباسيين يا شيطانيين... إلخ كلامه مأخوذاً من كلام أمير المؤمنين في نهج البلاغة وهو يتحدث في الخطبة القاصعة عن الشيطان يقول صلوات الله عليه: «**إمام المتعصبين وسلف المستكبرين**» ولهذا سوف ينادون بإمامهم يا شيطانيين. أقول هل يمكن أن نُنادى اليوم واليوم الآخر يا زينبيات. هل نتعرف على حديثها لنا لتؤمنا؟

ما أحوجنا في خضم هذه المعركة الكبرى لذلك.

فزينب عليها السلام بما تحمل في وجودها من عشق للحسين عليه السلام فإنها تمثل صورة حاكية للحسين وقيم الحسين عليه السلام، وهي بذلك تنطق بلسان الحسين، ولكن تُرى ماذا يحمل لنا هذا الصوت من معانٍ؟!!

يقول الشهيد المطهري رحمة الله عليه: «إن العشق يسوق المحب نحو المشابهة والمشاكلة للمحبوب، فتنتقل صفات المحبوب إلى المحب بقدر ما لهذه العلاقة من شدة وقوة».

ويقول ابن سينا في الحب: «هو الذي يكون مبدؤه مشاكلة نفس العاشق لنفس المعشوق في الجوهر، ويكون أكثر إعجاباً بشمائل المعشوق لأنها آثار صادرة عن نفسه، وهو يجعل النفس ليّنه ذات وجدٍ ورقةٍ، ومنقطعة عن الشواغل الدنيوية».

وورد في الرواية أنه من عشقني عشقته ومن عشقته قتلته ومن قتلته فعليَّ ديته ومن كان عليَّ ديته فأنا ديته.

زينب شريكة الحسين عليه السلام:

لاحظوا.. كل من يسمع بما جرى في كربلاء قديماً وحديثاً فإنّ أول ما يتبادر إلى ذهنه هو هذا السؤال: وزينب ماذا جرى عليها؟ زينب أين كانت؟ لأنها هي الشريك في الصميم للحسين عليه السلام وهي صلوات الله وسلامه عليها المرأة الوحيدة التي استطاعت أن تعكس الحسين عليه السلام. كثيرا ما نردد: زينب صلوات الله عليها شريكة الحسين.. نسأل ما نوع هذه الشراكة؟ نحن نعلم أن قضيه الامام الحسين قضيه عظمة في السموات عند أهل السموات وعظمة في الأرض كيف اشتركت معه في قضية بهذه العظمة ثم قادت القافلة الحسينية منفردة بلا ناصر ولا محامي ولا معين؟ أي قلب وأي أيمان وأي معتقد خوَّلها هذه الشراكة..؟ ليست المسألة مسألة اشتراك في قضية لها أبعاد سياسية واجتماعية فقط.. أو حرب لها آثار على أهل الأرض فقط.. بل أحداث جلة في السموات عند أهل السموات.. إذن نحتاج إلى تأمل وتدقيق أكثر.

جاء عن الصدوق عن أحمد بن إبراهيم قال: «**دخلت على حكيمة بنت محمد بن علي الرضا عليهما السلام -عمة الإمام المهدي عليه السلام- سنة اثنتين وستين ومائتين فكلمتها من وراء حجاب، وسألتها عن دينها، فسمت لي من تأتم به، قالت: فلان ابن الحسن فسمته. فقلت لها: جعلني الله فداك معاينة أو خبراً؟ فقالت: خبراً عن أبي محمد**

عليه السلام كتب به إلى أمّه. قلت لها: فأين المولود؟ قالت: مستور. فقلت: إلى من تفزع الشيعة؟ قالت: إلى الجدة أم أبي محمد عليه السلام. فقلت: أقتدي بمن وصيته إلى امرأة، قالت: اقتد بالحسين بن علي عليهما السلام أوصى إلى أخته زينب بنت علي عليه السلام في الظاهر وكان ما يخرج من علي بن الحسين عليهما السلام من علم ينسب إلى زينب ستراً على علي بن الحسين عليهما السلام...»[1].

إذن كانت زينب عليها السلام القناة التي استطاعت ان توصل لنا صورة الحسين التي استطاعت أن تبث صورة الحسين عليه السلام وأن تحفظ صورة الحسين عليه السلام. في قلب التاريخ ومن تقادير الله تعالى أن قد طافوا بهذه المرأة في البلدان حتى تنقل هذه الصورة في ظروف تهيج لها القلوب وتنكسر أمامها النفوس... خطبها.. كلامها اعمالها مواقفها متسقه تصدر عن قلب واحد بلون إلهي واحد مع اختلاف الاحوال والاماكن والمقامات

ماذا يعنى عنوان البحث «العقيلة في محراب العشق»؟

لماذا تسمى بالعقيلة؟

العقيلة[2] ليس اسماً وُضع لزينب عليها السلام، بمعنى أنه لم يسمها أمير المؤمنين أو

(١) (كتاب الغيبة) لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ، ص٢٣٠.

(عوالم العلوم والمعارف والأحوال) الشيخ عبد الله البحراني الأصفهاني. مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام قم المقدسة. الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ/ ص٩٥٠: «ولو قلنا بعصمتها لم يكن لأحد أن ينكر إن كان عارفا بأحوالها في الطفّ وما بعده، كيف ولولا ذلك لما حمّلها الحسين عليه السلام مقداراً من ثقل الإمامة أيام مرض السجاد عليه السلام، وما أوصى إليها بجملة من وصاياه، ولما أنابها السجاد نيابة خاصة في بيان الأحكام وجملة أخرى من آثار الولاية».

(٢) (معجم مقاييس اللغة) لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا. تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون. مكتب الإعلام الإسلامي طهران ١٤٠٤/ ج٤: «عقل: العين والقاف واللام أصل واحد منقاس مطرد يدل عظمه على حبسة في الشيء أو ما يقارب الحبسة. من ذلك العقل وهو الحابس عن ذميم القول والفعل، قال الخليل العقل نقيض الجهل. ورجل عقول إذا كان حسن الفهم وافر العقل. فأما قولهم فلانة عقيلة قومها فهي كريمتهم وخيارهم، ويوصف بذلك السيد أيضا فيقال هو عقيلة قومه، وعقيلة كل شيء أكرمه، والدرة عقيلة البحر».

الزهراء أو الرسول صلوات الله وسلامه عليهم بالعقيلة، وإنما سمّاها الناس بعقيلة الطالبيّين، سمّاها العلماء العارفون بعقيلة الطالبيّين. هذا النحو من الأسماء يسمّى بالأسماء الاستحقاقية، يعني أن زينب عليها السلام لعقلها الراجح ولحصافتها وذكائها سميت بعقيلة الطالبيين. يقول أستاذنا الجوادي: عقيلة أي العاقلة... راجحة العقل.

لماذا «في محراب»؟

لماذا قلنا: عقيلة الطالبيين في محراب العشق؟

الأصل أن يُسأل سؤال عكسي: متى خرجت زينب عليها السلام عن المحراب؟ متى لم تكن زينب عليها السلام في ظرف تؤدي فيه وظيفة العبودية؟ فزينب متى انتقلت من وظيفة عباديّة فإنها تؤدي وظيفة أكمل منها، حياة زينب عليها السلام كانت كلها في المحراب. وهذا المعنى من التطبيقات القرآنية.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾[1] وقال في مورد آخر: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[2].

هذه الآية تعني أن الإنسان عندما يصلي فهذه الصلاة تؤثر فيه، فيحافظ على صلاته، بمعنى أنه يحافظ على أثر صلاته كما يحافظ على وقت صلاته.

أما الآية ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ فتعني أنّ كل شؤونهم صلاة، هم في محراب دائم، إذ لا يعقل أنهم دائماً في حال الصلاة المصطلحة فقهياً، إن نظرة زينب للحسين عليه السلام كانت صلاة، لَحْظ زينب للحسين عليه السلام كان صلاة، ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ كل شؤون زينب عليها السلام منذ أن ارتبطت بالأمير والصديقة الزهراء والحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهم كانت صلاة. لكن الصلاة فنون، الصلاة مراحل. إن من أعظم تلك الصلوات وأرقاها هي تلك الصلاة التي

---

(١) سورة المعارج: ٢٣.

(٢) سورة المعارج: ٣٤.

صلّتها زينب عليها السلام ليلة الحادي عشر بعد أن رفعت جثمان الحسين عليه السلام إذ قالت: «**ربنا تقبل منا هذا القربان**»، هذه الصلاة كشفت لنا أنها كانت في محراب دائم.

أما لماذا اخترنا كلمة «العشق»؟

عادة الوارد على ألسنتنا هي كلمة الولاية، فنحن نتحدث عن العلاقة مع الله تعالى والنبي الأعظم والمعصومين عليهم السلام بعنوان الولاية، وكذا المؤمنون بعضهم أولياء بعض: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾[1]، أما العشق فهو ليس إلا مرحلة من مراحل الولاية. والولاية هي القرب الكامل، أما العشق فهو لون من ألوان الولاية، العشق هو المحصول الناضج الواعي من حركة الإنسان العاقل باتجاه من يحب. وهل الدين إلا الحب.. نحن في هذه الحياة لنا فعاليات كثيرة، نعاشر، نعمل، لنا وظائف، لنا مسؤوليات، لا شك أن هذه الوظائف تترتب عليها نتائج، فإذا كانت هذه النتيجة بانجذاب إلى المحبوب واعية فهي الولاية في كل حركه.

كيف تنتشر الولاية على كل شؤوننا؟ نحن في هذه المجالس وفي هذه الأيام ندرك أن شمّ رائحة الولاية يصبح عندنا بمستوى راقٍ، هذه العشرة أيام لها خصوصية ولها مذاق خاص ومشاعر خاصة، لها إذكاء خاص ولها طابع خاص ولها تأثير خاص على النفس، هذه العشرة أيام هي أيام لإبراز الحب والعلاقة والارتباط، وبقدر ما يكون ارتباط الإنسان بوليّه طوال السنة أكثر وأشد كلما استطاع أن يبرز هذه العلاقة في هذه الأيام بصورة أشد وأقوى.

نحن نريد طوال السنة أن ننشغل فيما نريد وفيما نحب ونشتهي، وفي هذه العشرة أيام نتصور أننا من المفترض أن نؤدي وظيفة لرسول الله وأهل البيت والصدّيقة الزهراء صلوات الله عليهم!!.

لو تساءلنا ما الذي يدفع كل واحدة منّا للقدوم إلى مجلس الحسين عليه السلام؟

نقول: حتى نؤدي وظيفة للصديقة الزهراء عليها السلام التي خدمت الإسلام والدين

---

(١) سورة التوبة: من الآية ٧١.

والحقيقة، نحن ألسنا مسؤولين أن نؤدي هذه الوظيفة أمام الزهراء عليها السلام؟

الدافع الحقيقي لأداء هذه الوظيفة - فيما لو فتّشتم في جذور هذه الوظيفة - ستجدون أنه العشق. فالزهراء عليها السلام - وأن لم تُبقِ لها أثراً مادياً، وإن لم تبق لها حتى قبراً- إلا أنها أبقت لها تراثاً في القلوب الحيّة، فهي تشهد على هذه القلوب الحاضرة أنها تأتي لتؤدي حق هذا الأثر، ولكي تعبّر عن هذا الأثر.

نأتي لنؤدي وظيفة العاشق المحب:

إذن نحن في هذه العشرة أيام نؤدي وظيفة العاشق المحب، والعشق والحب كما عبرت هو الوظيفة الواعية من مسيرة الإنسان. الإنسان له هموم وطموح وأشغال وتوجهات كثيرة، لكن الإنسان الواعي يجمع محصول هذه الأعمال، ويستحيل أن لا يكون لهذه الأعمال ناتج ومحصول. ما الذي يمكن أن يكون محصول هذه الأعمال؟ إنه حب محمد وآل محمد عليهم السلام.

في الرواية -لاحظوا أثر هذا الحب- عندما عُرج بالرسول صلى الله عليه وآله إلى السماء رأى ملكين يشتغلان بالكتابة فقال لهم: ماذا تكتبون؟ قالوا: منذ أن خلق الله البسيطة لا تسقط قطرة مطر إلا ونكتبها، منذ أن خلق الله الأنفس لا تخلق نفس إلا ونكتبها، لا تتحرك ذرة هواء إلا ونكتبها، لا تتحرك ذرة رمل على وجه الأرض إلا ونكتبها، قال لهم: إذاً كتابكم كبير أو كتاباتكم كثيرة، قالوا: يا رسول الله إلا الصلاة عليك وعلى أهل بيتك فإننا لا نحصيها نحن نكتب حتى يصلي المرء عشر صلوات فإذا زادت عجزنا وكللنا.

تعرفون السر في ذلك؟ لعل السر هو أن الباعث على هذه الصلوات هو المحبة، المحبة أمر مجرد ولا يُحد، المطر مادي يمكن أن يحصر في كتاب، يمكن أن تُخلق له حدود، أما الأمور المجردة فإنها لا متناهية زمانا لا تُعد ولا تحصى. لذلك كلما خرجنا من هذه العشرة أيام بمعرفة أكثر كلما اشتدت محبّتنا أكثر.

المعرفة شيء أساسي، حتى البكاء إنما تكون له قيمة فيما لو كان سببه المعرفة «**من كَثرت معارفه كَثرت عواطفه**» ومع تعمق المعرفة فإن الإنسان لا يحتاج لتكلّف

حتى يبكي، وإذا زادت المعرفة لا يحتاج الإنسان لمحرك من الخارج حتى يبكي، إن المعرفة -إن صح التعبير- هي المولّد الحراري للنوح والبكاء على الحسين عليه السلام، لذلك لاحظوا أن بعض الأئمة عليهم السلام كانوا يجعلون لهم نائحات بعد استشهادهم، أما النياحة على الحسين عليه السلام فهي مجانية، إننا لا نحتاج إلى أموال لكي نبكي الحسين عليه السلام و لا نحتاج إلى وصايا، فحتى لو لم ترد الوصية من الأئمة عليهم السلام بالبكاء على الحسين عليه السلام فالتفجّع على الحسين عليه السلام تخلقه المعرفة والعقيدة.

لذلك هذه العشرة أيام محصول السير الولائي الواعي في كل السنة.

الحسين عليه السلام نعيم زينب وجنّتها:

ولهذا فمن هو صاحب الفجيعة الكبرى غير زينب عليها السلام؟! من هو صاحب المصيبة الكبرى غير زينب؟! لأنه في الحقيقة ليس هناك من يدرك هذه المعاني غير زينب عليها السلام؟! كأني بها تنادي الحسين عليه السلام في كل حركاته «**يا دنياي وآخرتي ويا نعيمي وجنتي**»[1] ما هو نعيم زينب وما هو دنيا زينب؟ إلا الحسين عليه السلام. يعلمنا الإمام الهادي عليه السلام في الزيارة الجامعة أين موقع الإمام المعصوم منا كما ورد في الزيارة الجامعة «**ومقدمكم أمام طلبتي وحوائجي وإرادتي في كل أحوالي وأموري**» متى يستطيع الإنسان أن يقدم إمامه أمام إرادته في كل أحواله.. في كل شؤونه ورغباته أن العشق والتعلق التام الكامل والاندكاك الروحي هو الذي يوصل الإنسان إلى هذه المرحلة.. لقد جاء في تفسير معنى قوله تعالى: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**﴾ أنفس المؤمنين هم المؤمنون فمعنى كون النبي أولى بهم من أنفسهم أنه أولى بهم منهم: ومعنى الأولوية هو رجحان الجانب إذا دار الأمر بينه وبين ما هو أولى منه فالمحصّل أن ما يراه المؤمن لنفسه من الحفظ والكلاءة والمحبة والكرامة واستجابة الدعوة وإنفاذ الإرادة فالنبي أولى بذلك من نفسه ولو دار الأمر بين النبي وبين نفسه في شيء من ذلك كان جانب النبي أرجح من جانب نفسه.

ففيما إذا توجه شيء من المخاطر إلى نفس النبي فليقدم المؤمن بنفسه ويفده

(١) «مفاتيح الجنان»، عباس القمّي، ص١٧٣، مناجاة المريدين.

نفسه وليكن النبي أحب إليه من نفسه وأكرم عنده من نفسه ولو دعته نفسه إلى شيء والنبي إلى خلافه أو أرادت نفسه منه شيئاً وأراد النبي خلافه كان المعين استجابة النبي ﷺ وطاعته وتقديمه على نفسه.

وكذا النبي ﷺ أولى بهم فيما يتعلق بالأُمور الدنيوية أو الدينية كل ذلك لمكان الإِطلاق في قوله: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ**﴾.

ومن هنا يظهر ضعف ما قيل: إن المراد أنه أولى بهم في الدعوة فإذا دعاهم إلى شيء ودعتهم أنفسهم إلى خلافه كان عليهم أن يطيعوه ويعصوا أنفسهم، فتكون الآية في معنى قوله: ﴿**وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**﴾ وقوله: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ**﴾ وما أشبه ذلك من الآيات وهو مدفوع بالإِطلاق.

وكذا ما قيل: إن المراد أن حكمه فيهم أنفذ من حكم بعضهم على بعض كما في قوله: ﴿**فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ**﴾ ويؤول إلى أن ولايته على المؤمنين فوق ولاية بعضهم على بعض المدلول عليه بقوله: ﴿**الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ**﴾ وفيه أن السياق لا يساعد عليه. انتهى كلام صاحب الميزان.

من ذا يحقق هذه المرتبة العالية الراقية الكاملة من الولاية والارتباط بحيث لا يبقى لنفسه إرادة ولا شأن إلا وإرادة إمامه ووليه أقرب له من إرادته ومع ذلك ليس في حال واحد بل مطلقا في أحواله بلا تفاوت... هل ربت الزهراء سلام الله عليها زينب العقيلة على غير ذلك.. وهل أرضعتها إلا بنور الولاية العظمى. وهكذا كانت حياتها كلها عشق للحسين وليها وإمامها وقد جاء في الزيارة الجامعة «**فثبتني الله أبداً ما حييت على موالاتكم ومحبتكم**» فحياتها كلها غاية الحب ونهاية العشق.. وخاتمتها خير دليل على ذلك ونعم شاهد عليه والأمور تعرف بخواتيمها.

ظرف المحبّة والارتباط هو هذه النشأة فقط!

إن مستوى المعرفة الذي نريد أن نصل إليه، هو المستوى الذي يؤهلنا أن نخاطب الحسين عليه السلام في يوم العاشر: يا أبا عبد الله.. «**يا نعيمي وجنتي، يا دنياي**

وآخرتي». وهو المستوى من المعرفة الذي يجعلنا نقول: يا أبا عبد الله.. «**خسرتْ صفقة عبدٍ لم تجعل له من حبك نصيباً**»[١]. إنّ العالم الوحيد الذي يمكن أن نصل فيه إلى هذا المستوى ونحب فيه الحسين عليه السلام هو ظرف هذه الدنيا فقط. ومن لا يستطيع أن يحب ويرتبط في هذا الظرف لا يمكنه أن يحب ويرتبط في ظرف آخر ﴿**وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً**﴾[٢].

من كان قلبه في هذه الدنيا أعمى عن هذه المعارف فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً. لا نتصور أننا في يوم القيامة أو في دار الآخرة سوف نعرف أو نحب أو نوالي، لا، هذا لا يكون. هذا فهم ساذج خاطئ، فهم من لم يدرك بعدُ طبيعة وظرف هذه النشأة ولم يعرف وظيفته في هذه النشأة. من لا يرى في هذه النشأة لا يرى هناك، والذي لم يتعرف هنا لا يتعرف هناك، والذي يخرج من هذه الدنيا وليست صفقته حب الحسين وآل بيته الأطهار عليهم السلام ولم تكن تجارته حب الحسين عليه السلام، وتَاجَر مع غير الحسين عليه السلام فقد خسرت صفقته في ذلك العالم، لأن ذلك العالم عالم النتائج فقط، تلك النشأة في الحقيقة ليست نشأة حركة، بمعنى أنه لا تتبدل فيها الأحوال ولا تتغير فيها الأحوال، من خرج من هذه الدنيا بحال ناقصة سوف يبقى ناقصاً ويعيش مرارة النقص ومرارة الخسارة إلى الأبد!

ظرف الفعاليات الروحية هو هذه النشأة فقط، أصلاً عالم الأفعال وتبدّل الأحوال هو عالم الدنيا، أما تلك الدار فهي دار القرار. ماذا يعني ذلك؟! يعني أنه إذا كنت ناقصاً فهناك استقرار للنقص، إذا لم تكن عالماً أو لم تكن تعرف أهل البيت عليهم السلام هنا فإنك لن تعرفهم هناك، وإذا لم تخلق حباً في هذا العالم فلن تستطيع أن تخلق حباً في ذلك العالم.

الزهراء عليها السلام تضع يدها على رؤوس المعزّين!

عاشوراء من إبداعات الله تعالى وألطافه لنتعلم كيف ننشئ علاقة مع أهل البيت عليهم السلام الرواية التي يذكرها أصحاب المقاتل والمجالس أن الزهراء عليها السلام

(١) «مفاتيح الجنان»، عباس القمّي، ص٣٣٩، دعاء الحسين عليه السلام يوم عرفة.

(٢) سورة الإسراء: ٧٢.

تحضر في مجالس العزاء، والمجالس التي يذكر فيها الحسين عليه السلام، فقط أريد أن أشير إلى نكتة في هذه الرواية، تُرى هل الزهراء عليها السلام تحتاج إلى معزّين؟ الزهراء عليها السلام وهي في عالم الملكوت عند الله تعالى والحسين عليه السلام معها في أعلى درجات الجنان هل تحتاج إلى معزّين أو أننا نحن المحتاجون إلى أن نُعزي الزهراء؟! من المحتاج ومن المستغني؟

إذا كانت الزهراء عليها السلام تحضر فهذا لطف منها بنا وتعطف منها علينا صلوات الله وسلامه عليها، وذلك لأن آل بيت محمد عليهم السلام هم أهل بيت الهداية، فهم يؤدون هذه الوظائف لهداية الآخرين.

الزهراء عليها السلام تحضر هادية مهديّة، لذلك ورد في الرواية «**وإنها لتضع يدها على رؤوس المعزّين**» المعزّون عادة يضعون يدهم على رأس المصاب، وأمّا الزهراء عليها السلام فهي التي تضع يدها على رؤوس المعزّين، من يفهم هذه المعاني يقول: هذا نوع هداية. كأنها عليها السلام تقول: وجّهوا قلوبكم وعقولكم باتجاه الحسين فإنه «**مصباح الهدى**».

ولذلك إذا استطعنا أن نخرج من هذه المجالس معزّين عارفين مهديّين فهذا هو ثمرة العشق.

اسمها في اللوح المحفوظ «زينب»:

أما في الحديث عن زينب عليها السلام فسوف لن أمر على المطالب التي يمر عليها المؤرخون، والتي أحسب أن أغلب الأخوات -بما لهم من فضل وعلم وتتبّع- يعرفونها، فقط أحاول أن أتعرض بمقداري المتواضع إلى ما وراء هذه الأحداث.

ولدت زينب عليها السلام في أحضان علي وفاطمة عليهما السلام سنة ٦ هـ. الفاصل بينها وبين الحسين عليه السلام سنة واحدة أو سنتين. والأقرب أنها عاشت من ٥٨ إلى ٦٠ سنة.

ولدت وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفر -ليس من الضروري أن يكون النبي خارج المدينة حتى يقال أنه في سفر بل إن قطع مسافة تقارب ١٠ كيلو مترات يقال

عنها في ذلك الزمان سفر- فلم تسمّها الزهراء ولا الأمير عليهما السلام، وإنما انتظرا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى يعود، فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتقطها من الزهراء عليها السلام وسأله علي عليه السلام يا رسول الله ما هو اسمها؟

لاحظوا هذه التسمية، نحن لأننا أكثر تصرفاتنا عبثية ولغوية وليس لها قوانين وضوابط معينة نتصور أن أولياء الله الكُمّل كذلك. لاحظوا وضع هذا الاسم كيف كان بعناية إلهية وكأنه إنزال آية قرآنية، ولكنها نازلة على علي وفاطمة عليهما السلام.

جاء في تاريخ رياحين الشريعة «**أن جبرائيل نزل وقال: يا رسول الله اسمها في اللوح المحفوظ زينب**»[1].

زينب الثمرة الناضجة لشجرة طوبى:

«زينب» اسم له معنيان:

* «زينب»: أما اسم بسيط غير مركب وهي النبتة ذات الرائحة الطيبة العطرة، الرائحة الفواحة أو..
* «زينب» مركب وهو: زينة الأب، وكلا المعنيين - لو دقّقنا في المسألة - ينتهيان إلى معنى واحد.

القرآن الكريم تكلم عن شجرتين الزقوم وطوبى وقد جائت الروايات على ان طوبى شجره ﴿**إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ**﴾[2].

---

(١) جاء في تاريخ رياحين الشريعة الجزء ٣ صفحة ٣٩٥.. «أن جبرائيل نزل وقال: يا رسول الله اسمها في اللوح المحفوظ زينب». «الخصائص الزينبية» السيد نور الدين الجزائري، دار الحوراء، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ. ق، ص٤٢: فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إن ذرية فاطمة وإن كانوا ذريتي، ألا إن أمرهم إلى الله تعالى، وإني انتظر وحي ربي في تسميتها، وإذا بجبرئيل ينزل من السماء على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقول له: السلام يخصك بالسلام ويقول لك: سم هذا المولود باسم: زينب، فقد كتبناه لها في اللوح المحفوظ. فضمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى صدره وقبل ما بين عينيها وسماها باسم: زينب... (زينب الكبرى) للقزويني.

(٢) سورة الدخان: ٤٣ - ٤٦.

هذه شجرة الزقوم وآثارها، وهي في مقابل شجرة طوبى في دار علي وفاطمة عليهما السلام [(١)]. إذا كانت شجرة الزقوم تغلي في البطون فشجرة طوبى تغلي في القلوب!! لأنها تولّد المحبة والعلاقة والارتباط. وإذا كانت شجرة الزقوم تحرق فشجرة طوبى هي المحيطة بأبواب الرحمة. القرآن الكريم يقابل بين هاتين الشجرتين. وزينب عليها السلام هي عصارة شجرة طوبى. يعني لو أنّ عليّا اقترن بفاطمة خير الاقتران لينتجا المحبة والسعة للناس، ولينتجا العطف واللطف والجود والكرم والشجاعة والنبل، فستكون ثمرة هذا الاقتران هو زينب عليها السلام.

لذلك نجد زينب عليها السلام تتحدّث بمنطق عليّ عليه السلام وفي عفاف الزهراء واحتجابها فلم يرَ خفرة محتجبة أنطق منها عليه السلام كل من سمع زينب كان يقول: هذا المنطق وهذا الحديث وهذه البلاغة هي بلاغة علي عليه السلام لكنها في رقة الزهراء عليها السلام، إنها بلاغة علي في حنان وحياء الزهراء سلام الله عليهما، فزينب عليها السلام - مع مجموع هذه الخصائص التي سوف نفصلها وسوف نتحدث عنها - كانت هي الثمرة الناضجة لشجرة طوبى. وقد علّم جبرائيل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حقيقة هذه الفتاة وحقيقة هذه الطفلة وسمّاها «زينب».

زينب في أحضان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم:

إن مما يعجب له هو ردّة فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما أخذ زينب عليها السلام وبعدما سمع من جبرئيل هذا الاسم، كأنّي به يتأمّل في عينيها ويبكي [(٢)] ويرفع كفيها ويبكي...

---

(١) (تفسير علي بن إبراهيم القمي) ج٢/ ص٣٣٧: «الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ... فلما دخلت الجنة رأيت في الجنة شجرة طوبى أصلها في دار علي، وما في الجنة قصر ولا منزل إلا وفيها فرع منها».

(٢): «زينب الكبرى من المهد إلى اللحد» السيد محمد كاظم القزويني، ص ٣٥: لما ولدت السيدة زينب عليها السلام أخبر النبي الكريم بذلك، فأتى منزل ابنته فاطمة قال: يا بنية ايتيني ببنتك المولودة. فلما احضرتها أخذها النبي وضمها إلى صدره الشريف ووضع خده على خدها فبكى بكاء شديدا عاليا، وسالت دموعه على خديه. فقالت فاطمة: مم بكاؤك، لا ابكى الله عينيك يا أبتاه؟ فقال: يا بنتاه يا فاطمة، إن هذه البنت ستبتلى ببلايا وترد عليها مصائب شتى، ورزايا أدهى، يا بضعتي وقرة عيني، إن من بكى عليها وعلى مصائبها يكون ثوابه كثواب من بكى على أخويها.

لقد درجت زينب في أحضان الرسول ﷺ. وطبيعةً البنت - خصوصاً الحفيدة - لها مكان كبير في قلب جدّها، فكيف إذا كان العارف بها هو جدها؟ وإذا كان العالم بما يجري عليها هو رسول الله ﷺ، فلاشك أنها تبادل جدها هذه العلاقة والموده والتعلق إذ حسب التجربة دائما هناك علاقة تبادل محبة عميقة بين الحفيدة وجدها خصوصا إذا كان الرحمة للعالمين ولا مانع أن نقول: إن النبي صلوات الله عليه كان في قلب زينب كذلك إذ هو أنيس النفوس فكيف بنفس رضعت حبه من أمها وبلا واسطة.. وبعد وفاته صلوات الله عليه واله وخلو المدينة المنورة من شخصه كان قبره هو شاخصه ورمزه في عالم الحس وبلا شك تلامسه باحساسها وكيانها صلوات الله عليها والها فلم يكن أصعب على زينب عليها السلام من فراق رسول الله ﷺ.

في هذا اليوم زينب عليها السلام تودّع قبر رسول ﷺ، في هذا اليوم زينب تشارك الإمام الحسين عليه السلام في وداع قبر رسول الله ﷺ.

أنا وأنت - بما عندنا من إيمان وعقيدة وعلم وفهم - تُرى كيف نودّع قبر رسول الله ﷺ؟! ربما عندما ندخل على قبر رسول الله ﷺ لا نشعر بالارتباط برسول الله ﷺ، لكن الغريب عند وداع قبر رسول الله ﷺ تنتاب الإنسان المؤمن حالة خاصّة وبقدر ما عندنا من علم ومعرفة وإدراك ووعي وثقافة وارتباط بالدين وحب للحقيقة، بهذا المقدار يصعب علينا وداع رسول الله ﷺ.

أناشدكم بالله... ماذا يعني وداع زينب لرسول الله؟!! ماذا يعني ترك مأنس نفسها ومستقر روحها وهي ترى الحسين عليه السلام نعيمها وجنّتها يودع قبر رسول الله ﷺ؟

الإمام الحسين عليه السلام إمام قد ذاب في إمامته، وزينب مأموم قد ذاب في مأموميّته، وكلاهما يودعان قبر رسول الله ﷺ، وقد أجاد الشاعر عندما قال:

ضّمني عندك يا جدّاه في هذا الضّريح ... علّني يا جدّ من بلوى زماني أستريح

ألا لعنة الله على الظالمين.

خلاصة المحاضرة الأولى

١- زينب عليها السلام هي أم حقيقية لنا ولها مع كل منا حديث مرموز، وللوصول إلى عمق هذا الحديث لابد من المرور بمقدمات - منها هذا البحث -.

٢- زينب عليها السلام هي المرأة التي استطاعت أن تمثل الحسين عليه السلام. لذلك نحن النساء بأمس الحاجة إلى معرفتها كمقدمة لمعرفة رسالتنا ووظيفتنا. إذ بهم عُرف الله.. بهم عرفنا معالم ديننا بهم عبد.

٣- زينب عليها السلام لها قلب يتسع لمودعات النبوات والإمامة والولاية، وقد أودعها الإمام الحسين عليه السلام إياها ليلة العاشر من المحرم، وبذلك تحملت زينب ما تحملت.

٤- «عقيلة الطالبيين» اسم استحقاقي لزينب عليها السلام وإنما سميت بالعقيلة لعقلها الراجح ولحصافتها وذكائها.

٥- زينب سلام الله عليها لم تزل في محراب العبادة وفي صلاة دائمة ورفْعها لجثمان الحسين عليه السلام ليلة الحادي عشر من أعظم وأرقى الصلوات.

٦- «العشق» هو المحصول الناضج الواعي لحركة الإنسان العاقل.

٧- إقامة العزاء في العشرة الأيام الأولى من المحرم هو أداء لوظيفة العشق والمحبة لمحمد وآل محمد عليهم السلام.

٨- العشق مرحلة من مراحل الولاية، والولاية هي القرب الكامل.

٩- المعرفة والعقيدة هي المولّد الطبيعي لذلك البكاء والنوح الصادق والمطلوب على الحسين عليه السلام.

١٠- الأيام العشرة الأولى من شهر محرم هي محصول السير الولائي في كل سنة.

١١- عالم الحركة والفعل وتبدل الأحوال هو عالم الدنيا فقط، والآخرة دار الثبات والقرار والنتائج، ولذلك فالنشأة الوحيدة الصالحة لكسب المعرفة والمحبة الولاء هي هذه الدنيا فقط و﴿**وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً**﴾[1].

١٢- عاشوراء من إبداعات الله تعالى وألطافه، لكي نتعلم كيف ننشئ علاقة مع أهل البيت عليهم السلام.

١٣- لولا حضور الزهراء عليها السلام مجالس العزاء وعطفها على المعزين لما اهتدى بالحسين عليه السلام أحد، ولما ارتبط بالحسين عليه السلام أحد، فهي حلقة الوصل بين المعزين وبين الحسين عليه السلام.

١٤- «زينب» اسم منزّل من اللوح المحفوظ على علي وفاطمة عليهما السلام.

١٥- «زينب» عليها السلام هي الثمرة الناضجة لشجرة طوبى النابتة في بيت علي وفاطمة عليهما السلام.

الحمد لله رب العالمين.

---

(١) الإسراء: ٧٢.

النشأة الزينبية

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾[1].

العلاقة السليمة وفق المعرفة السليمة:

تحدثنا بالأمس عن تسمية البحث بهذا الاسم -عقيلة الطالبيين في محراب العشق- وقلنا أنّ لها أصلاً سماوياً. نحن غالباً -باعتبار أنّ الكثير من أفعالنا وفعالياتنا أشبه بالفعاليات اللهوية فإننا نقيس فعاليات المعصوم على أفعالنا، فنحن مثلا نسمي أبناءنا بأسماء نرى فيها حسناً وجمالاً ولكن أسماء المعصومين عليهم السلام أشبه بالآيات القرآنية حيث إن لها معانٍ ومضامين واقعيّة.

ذكرنا أنّ معنى اسم زينب إما أن يكون اسماً مركباً (زينب: زينة الأب) أي زينة أبيها أمير المؤمنين عليه السلام، وهذه التسمية لها أصول روائية وقرآنية لأن علي عليه السلام زيّن العرش فإذا كان هناك شيء يتناسب مع هذا الزين فهو «زينب»، أي لا يُزيّن علي ولا يتزين علي إلا بزينب، وإما أن يكون زينب اسم بسيط ويعني: (النبتة طيبة الرائحة)، وهذه لها اتصال بعلي والصديقة الزهراء عليهما السلام اللذان شكّلا شجرة طوبى.

إن التأمل في هذه المعاني والبحث عن جذورها في القرآن الكريم يبني في

---

(١) سورة النور: ٣٦ - ٣٧.

الإنسان العقيدة السليمة الصحيحة وعلى أثرها العلاقة الصحيحة.

شجرة طوبى مرّ ذكرها في القرآن الكريم ﴿طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[١]، والروايات أكدت أن طوبى شجره وانها في بيت علي وفاطمة عليهما السلام [٢]، وما أُريد أن ألفت انتباهكم إليه، هو أن هذه التعبيرات ليست تعبيرات مجازية، وإنما هي أمور حقيقية لها إشارات واقعية ولها معانٍ، فإذا دققنا في تفاصيل هذه المعاني استطعنا أن نتمسك بفرع من فروع شجرة طوبى، إذ أن لها منبتاً في بيت علي عليه السلام كما أن شجرة الزقوم لها منبت في أصل الجحيم.

هذه المعاني ربما لو استطاع الإنسان أن يصل إلى لبّها لأدرك آثار هذه الشجرة، ماذا تُولّد هذه الشجرة؟ ما هي ثمرة هذه الشجرة؟...، ربما نكون بعيدين عن إدراك سعة هذه الشجرة وآثارها بمعنى أنه ليس المراد فعلاً أنّ هناك في بيت علي عليه السلام شجرة مادية لها أغصان وهذه الأغصان ممتدة، لا، ليس كذلك، بل هي شجرة الهداية في دار الوجود وعالم الهداية، ما اهتدى أحد في هذه الدنيا إلا إثر اتصاله بهذه الشجرة، وما وصل أحد إلى نتيجة في هذه الدنيا إلا إثر التعلق بهذه الشجرة.

ينقل السيد أحمد الخميني قصة: عندما كان السيد الإمام قدس سره في النجف، كان هناك أحد العرفاء وهو السيد الكشميري قدس سره الذي توفي قبل خمس أو ست سنوات تقريباً، هذا السيد مشهود له عند أهل العرفان وأهل المكاشفات وأصحاب مدرسة أهل البيت عليهم السلام بأنه ذو شأن عظيم، القصة تقول أنه كان السيد مصطفى ابن السيد الإمام قدس سره يتردد على السيد الكشميري أي كان يدخل عليه كثيراً، وفي يوم من الأيام سأل السيدُ الإمام ابنه السيد مصطفى وقال له: أراكَ مُغرماً بهذا السيد! فردّ عليه السيد مصطفى قائلاً: إن عند هذا السيد ما كنت أبحث عنه طوال عمري - حيث كان السيد مصطفى معروفاً بتوجهاته الروحية القوية والشديدة -، فقال له السيد الإمام:

(١) سورة الرعد: من الآية ٩.

(٢) «تفسير علي بن إبراهيم القمي»، ج٢/ ص٣٣٧: «الرسول صلى الله عليه وآله: ... فلما دخلت الجنة رأيت في الجنة شجرة طوبى أصلها في دار علي، وما في الجنة قصر ولا منزل إلا وفيه فرع منها».

إذا ذهبت إليه فاسأله فيما أفكر فيه هذه الفترة؟ فعندما ذهب السيد مصطفى إلى السيد الكشميري قال له: السيد الوالد «الإمام الخميني» يفكر في مسألة.. ففي ماذا يفكر؟! - حيث كانت هناك حادثة كبيرة في النجف شغلت أذهان الجميع - فأجاب السيد الكشميري - بعيداً عن هذه الحادثة - قائلاً: «هو يفكر في إزالة الشاه»!- هذا الكلام كان قبل ٤٠ سنة تقريباً - ولكن قُل له إن ما يُريده لا يقع في الوقت الحالي، إنما يقع بعد ١٠ سنوات في التاريخ الفلاني ويدخل منتصراً ومذلا لأعدائه، فيسقط الشاه وعليه يُظهر الله سبحانه وتعالى أحقية المذهب لأجيال وأجيال. من بعدها أصبحت هناك جلسات خاصة بين السيد الكشميري والإمام الخميني لمدة ساعة أو ساعتين تقريباً، وفي أحد الأيام بعد ساعة من حديثهما أراد السيد الكشميري الخروج، فلَحِق به السيد الإمام ﵀ وقال له: لا تخرج حتى تقول لي آخر كلمة عندك، فقال له السيد الكشميري: لقد سمعتُ من العالم وكل الموجودات «لِتعلّق يديك بأذيال عمتك زينب، اربط نفسك بأذيال عمّتك زينب».

هذه هي الحقيقة التي يكتشفها العرفاء والمتبحرون، وهذا هو معنى اسم «زينب».

شجرة طوبى التي تحمل الفضائل والهداية والأخلاق وإرشاد القلوب والنفوس. لقد تولدت منها (زينب) تلك النبتة التي تحمل الريح الطيب من تلك الشجرة.

في أي بيت تربت زينب ﵊؟

زينب ﵊ كيف نشأت؟ وفي أي بيئة تربّت؟ هناك عوامل مهمه في صناعة شخصية الإنسان ومن أهمها البيئة التي بنبت فيها.. علماء التربية يقررون انه هناك عاملان اساسيان يؤثران في شخصية الإنسان الوراثة والمحيط والبيئة.. التربية هي مجموع العاملان اذ ليست التربية الا إيجاد الأرضية المناسبة والشرائط اللازمة للرشد باتجاه الكمال.

الوراثة هي انتقال بعض الخصوصيات من نسل إلى نسل.. والوراثة تؤثر في

الشكل والمضمون أيضا جاء في الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**حسن الاخلاق برهان كرم الأعراق**»

لأن جمال الأخلاق كاشفة عن طيب الأصل.. السخاء الغرور كرامة النفس البخل الحسد للوراثة دخالة فيها، والعامل الاخر المحيط والبيئة.. ولنتحدث عن هذا العامل.. المحيط الذي ترعرعت فيه العقيلة.

القرآن وحي الله تعالى يشرح لنا هذه البيئة بالاعتماد على بيان مسألتين أساسيتين لفهم طبيعة هذه البيئة وهذا البيت الذي تربّت فيه زينب.

المسألة الأولى: لكل بيت شخصية وحدود:

إنّ لكل بيت ولكل أسرة شخصية خاصة كما أنّ لكل إنسان شخصية خاصة. لذلك كل بيت بمقدار ما فيه من حق وعدالة وحدود واستقامة وآمال وهموم وطموح وسعة أفق وإدراك وعلم تتشكّل شخصيته، مثلاً نحن الموجودون الآن في هذا المجلس، كل فرد منا له ظاهر، لكن مع ذلك عندما تحتك معه تكتشف أن له شخصية خاصة وراء هذا الظاهر، أي تعرف مقدار علمه وفهمه وهمومه وطموحه وعيه عمقه. وكما أن للفرد شخصية فإن للبيت أيضاً شخصية.

شخصية بيت آل محمد عليهم السلام:

عندما يتكلم القرآن الكريم عن الخمسة الأشباح صلوات الله وسلامه عليهم فهو يركز على عنوان البيت ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[1]، الألف واللام في (أهل البيت) هي ألف ولام عهدية، أي أنه بيت معين له تركيبة معينة وعناصر أخلاقية وروحية وعقائدية معينة، وليست للتأكيد على عصمة فرد من أفراد هذا البيت.

فعلاوه على خصوصيات هؤلاء الفردية هناك خصوصيه لهم مجتمعين بما

---

(١) سورة الأحزاب: من الآية ٣٣.

هم أهل البيت. ففي الرواية عن الصادق عليه السلام: «**إن بيت علي وفاطمة لا حد له، حده إلى ساق العرش**»[1]، أي أن إمكانياتهم الروحية ليس لها حد وتأثيرهم ليس له حد.

إذن فأول عامل من عوامل البناء الصحيح التربوي هو في الحقيقة وجود البيئة الصالحه، ولكل بيت شخصية أي لكل بيت فضائله وقيمه وأخلاقه، ولكن - والعياذ بالله - بعض المنازل شخصيتها الطرف المضاد.

إذن البيت الذي تربّت فيه زينب عليها السلام له شخصية خاصة، وسوف نوضح إن شاء الله تعالى بالتفصيل وبالآيات القرآنية خصوصية هذا البيت.

المسألة الثانية: مصدر المعارف هما الفطرة والأبوان

إن الإنسان يأخذ معارفه وعلومه عبر طريقين أساسيين:

الطريق الأول: يشترك فيه الناس وهو فطرة الإنسان.

الطريق الثاني: هو أول من يحتك بهم الإنسان في السنوات الأولى من عمره (أسرته).

إن اتصال الإنسان بعالم المعرفة وبالمجتمع وبالناس وبالحقيقة وبالواقع تشكله الأسرة، الأسرة - شئنا أم أبينا - هي التي تصنع في بداية النشأة الوجدان

---

(١) «فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى» الشيخ أحمد الرحماني الهمداني، نشر المرضية، الطبعة الثانية صفحة ٣٦، نقلاً عن «تأويل الآيات» للعلامة السيد شرف الدين النجفي، جزء ٢ صفحة ٨١٨:

عن عبد الله بن عجلان السكوني قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: بيت علي وفاطمة من حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله، وسقف بيتهم عرش رب العالمين، وفي قعر بيوتهم فرجة مكشوطة إلى العرش معراج الوحي، والملائكة تنزل عليهم بالوحي صباحاً ومساءً وفي كل ساعة وطرفة عين، والملائكة لا ينقطع فوجهم، فوج ينزل وفوج يصعد...

«فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى» صفحة ٤١ نقلاً عن مسند فاطمة الزهراء عليها السلام للسيوطي صفحة ٤٥:

عنه صلى الله عليه وآله: إن فاطمة وعلياً والحسن والحسين في حظيرة القدس في قبة بيضاء، سقفها عرش الرحمن.

النظيف أو الوجدان الملوّث - والعياذ بالله -.

إن الطفل يرى أن أباه وأمه وإخوانه مثل الأنبياء، فهم منافذ اتصاله بكل الأشياء من حوله. الإنسان حتى عندما يكبر، فإنه لو اتخذ قراراً بخلاف ما كان يبني عليه والداه فإن وجدانه وضميره يؤنّبه، وذلك لأن أول لبنة من لبنات بناء الوجدان وأول منفذ من منافذ المعرفة هو الوالدان.

الوجدان في الحقيقة ليس وعاءً تجعل فيه المعلومات، الوجدان هو طاقة وقدرة وقوة. وتتشكل هذه القدرة وهذه الطاقة من أخلاق الوالدين والإخوان ما يأنس به ويسكن إليه.

طبعاً هناك فطرة أساسية، لكن الذي يعطي هذه الفطرة لونها هم الوالدان، وفي الحقيقة إن الإنسان لا يمكن بلا هذه الواسطة أن يعيش حالة طبيعية، لذلك هذا احد معاني الحديث الشريف «**الجنة تحت أقدام الأمهات**»، فالأقدام تعني السير والسلوك والحركة والتصرفات والأقوال والأفعال، وهذه الحركة تصنع الجنة.

إذا كانت الأم مدرسة، وإذا كانت تدعم الفضيلة والأخلاق فهي لا توجّه الضمير والوجدان فحسب بل هي تصنع الضمير والوجدان. لذلك نجد حتى العرفاء والفلاسفة والعظماء لا يزالون يحتفظون بأقوال آبائهم وأمهاتهم.

البحث عن الأكمل فطرة أساسية في الإنسان:

الإنسان في البداية يعظّم أمه وأباه وأبناء مجتمعه ومن الفهم ويراهم أحسن الناس وأفضل البشر، لكن إذا تجرد الإنسان بعقله وروحه وبحث عن الأكمل فإنه لن يكتفي بهذا المقدار وهذا الحد، بل ستبدأ المشاعر والأحاسيس والإدراكات الباطنية بالنضج والنمو والرشد تطلب وسائل أفضل ووسائط اكمل، حينما ينتقل الإنسان من حالته الأولية الساذجة تلك سوف يسعى لطلب الأكمل؛ فيدرك أنه لابد من معصوم صاحب حق وبرهان بين وواضح ومعرفة وعلم واحاطه فالإنسان مفطور على البحث عن الأفضل والأكمل دائماً.

والإنسان - وإن كان في فترة معينة يبدأ بالدفاع عن بيته وأهله وعياله والتعصب من طبعه الأولي ولكنه طبيعة وليس فطرة وهو بعقله ورشده يعدل طبائعه- فهو كلما بلغ أو تعلم أكثر أدرك أن هؤلاء لا يمثلون الحقيقة المطلقة وليسوا الوسائط للمعرفة بشكل مطلق.

الواسطة للمعرفة يجب أن تكون هي الأعلم، فالبحث عن الأعلم فطرة أساسية، وهو تعالى فطر الإنسان على البحث دائماً عن موجود أكمل، لذلك هناك مرحلة تسمى (البلوغ الروحي)، فكما أن هناك بلوغا بدنيّا فكذلك هناك أيضاً بلوغ روحي وعقلي، فالإنسان عندما يبدأ بالبلوغ فإنه يبدأ شيئاً فشيئاً بالشعور بأنه إذا كان بيته فيه خلل ما، فإنه لا يجب أن يلتزم به بشكل دائم ومطلق، بل يلتزم بالحق والحقيقة. نعم، صلة الأرحام في مكانها، حب الأهل في مكانه، هذا شيء آخر، لكن فكروا في أصل البناء الفطري للإنسان وإن كان كثير من الناس يشعر بمعاناة شديدة إذا أراد أن ينفصل عن التركيبة المنزلية التي تربى في وسطها، العادات التي اعتادها، الرسوم التي الزم بها نفسه حتى ما كان يفتقر إلى الصحة منها، إنه إذا أراد أن ينفصل عنها فإنه يشعر بمعاناة، لكن هذه معاناة العقل. صاحب العقل دائماً في معاناة، أما المجانين فهم في نعيم! الإنسان الذي لا يعمل بمقتضى عقله وتفكيره لم تبلغ روحه وأحاسيسه وعقله فإنه لن يبحث عن الأكمل، ولكن كلما كانت النفس أسلم وأسمى، كلما أصبح يبحث عن قدوة وأسوة أكبر وأفضل.

في الحقيقة إن الإنسان يحب بيته وأهله وهذا له طعم ولون، لكن أن يحب الفضلاء والعلماء والعرفاء فهذا له طعم ولون آخر! وكلما كبر وبلغ فإن طبيعة العلاقة تتغير وتتسع.

زينب عليها السلام في أحضان أهل البيت عليهم السلام ماذا سوف تكون؟!!

لكن تصوروا ماذا لو ولد الإنسان في بيت معدن الرحمة، في بيت أناس خصهم الله ببرهانه، هل يبحث عن أناس آخرين؟! ما هو البرهان؟

تعريف البرهان: هو الحجة البيان الواضح.. أعطى الله الإنسان العقل

والفطره ليصل إلى المعرفة الصائبة. وهذا هو الطريق الوحيد للناس العاديين للوصول للبرهان لتميز الاشياء وعرفه الحق من الباطل والخير من الشر ولهذا خلق الله الإنسان بحيث يتدبر أموره ويتفكر فيما يرى.

ومن الأدلة التي تشهد لأهل البيت عليهم السلام بالأفضلية والأكملية أن الله خصهم ببرهانه، وهذا بحث سوف يأتينا في القسم الثاني من حياة العقيلة صلوات الله عليها توضيحه أكثر، ولكن باختصار نشير هنا إلى أن أحد أسماء الله البرهان «**يا برهان يا مستعان**» كما في دعاء الجوشن الكبير.

الله برهان لكل الموجودات وجوده دليل على كل شيء لأن الله نور السماوات والأرض.

الله هو الحقيقة التي بها توجد الاشياء.

وهناك معنى أدق ان الله برهان أي أنه دليل على وجود ذاته «**يا من دل على ذاته بذاته**» كما جاء في الدعاء المنسوب لسيد الشهداء «**أيكون لغيرك من الظهور ما لا يكون لك**» فقيومية الله ومعيته مع كل شيء.. فهو برهان بذاته بين واضح ظاهر إذ هو الظاهر.

إن شاء الله سوف يأتي تفصيل الحديث في ذلك عند الحديث حول كونها عليها السلام تشارك المعصومين في علومها اللدنية.. وأن الله خصها بمعرفته معرفة خاصة..

ولكن الخلاصة الآن نقول: الله خصهم ببرهانه، بكل المعاني، وبكل الطرق التي يهتدي بها المخلوقات للوصول والمعرفه الحقه ومطابقة الواقع..

من تربت في أحضان هذا البيت.. فقد أغناها الله ورسوله وآل بيته بفضله ﴿**وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ**﴾.

إذا كانت كل شؤونهم هي برهان ودليل وحجة وبينة، على روحانية الله.

إذا كان كل حديثهم وشؤونهم هي دليل على وجود الواحد، دليل على عبودية الله تعالى، دليل على الفصل بين الحق والباطل، فهل يبحث الإنسان خارج هذا البيت عن أدلة وبراهين؟

وهل يبحث الإنسان خارج دائرة هذا البيت عن كمال؟ أم أنه كلما بلغ عقله وكبرت روحه أصبح تعلّقه بهذا البيت أكثر وأشد؟؟ من المؤكد أنه يتشبث ويتعلق بهذا البيت أكثر وأكثر.

ترى إذا تربّى الإنسان في هذا الوسط، ماذا سوف يكون؟! إذا كان الإنسان العاقل الواعي الذي يملك أرضية طيبة خيّرة طاهرة وقد تربى في بيت مخصوص ببرهان الله تعالى مرضي «**وارتضاكم لسره**»[1]، وإذا كانت عناصر هذا البيت «**وبموالاتكم تُقبل الطاعة المفترضة ولكم المودة الواجبة**»[2]، هل لنا أن نتصور كيف سيكون المتربي في مثل هذا البيت وإلى أين سيصل؟!!

أحياناً يتساءل البعض حول هذه الآية ﴿**قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾[3] فيقول: كيف تكون مودتهم واجبة؟! هل من الممكن أن يفرض الله تعالى علينا حب آل محمد عليهم السلام؟! هل الحب يمكن أن يكون بالقوة؟ الجواب: الحب في الحقيقة هو نتيجة والآية في الحقيقة تريد أن تقول: اسعوا للوصول لهذه النتيجة. لم يأمرنا الله بشيء الا وأعطانا الاستعداد والقدره عليه. الحب ينشأ بشكل طبيعي عن المعرفة وقد خلقنا الله بظرفية وقابلية لهذه المعرفة.

زينب عليها السلام تعرف أن الحسين عليه السلام هو مَعبر القربات:

زينب عليها السلام نشأت والمنفذ الوحيد لها إلى معرفة العالم الخارجي هو هؤلاء الخمسة، زينب عليها السلام وُلدت وهي تدرك وترى أن صلاتها لا تعبُر إلا من خلال الإمام الحسين عليه السلام زينب عليها السلام تدرك أن معبر القربات والعبادات والطاعات هم محمد

(١) الزيارة الجامعة.

(٢) أصول الكافي.

(٣) سورة الشورى: من الآية ٢٣.

وآل محمد عليه السلام «**بموالاتكم تقبل الطاعة المفترضة ولكم المودة الواجبة**»(١).

هذه المعرفة لم تُفرض على زينب فرضاً، زينب عليها السلام نبتت وهي ترى أن معبر القرُبات هو الحسين عليه السلام فكلما بلغت أكثر كلما اشتدت علاقتها به أكثر.

لا أمان لزينب عليها السلام في بيت الله!

الآن زينب عليها السلام في بداية المسير الذي اخره فقدان امامها وولي زمانها وملاذ حاجتها ومدبر امورها... الحسين سلام الله عليه فكل حاجاتها تقضى بالحسين عليه السلام، إنها في بداية خطواتها لكي تنفصل- مجبره- عن الحسين عليه السلام، لاحظوا مسيرة الفصل هذه، لقد بدأت بالابتعاد والخروج عن حرم جدها... عن قبر رسول الله صلى الله عليه وآله المسكّن الأول لقلب زينب عليها السلام، إذ أن امها كانت الزهراء عليها السلام تقول:

ماذا على من شم تربة أحمد أن لا يشم مدى الزمان غواليا

أي أن قبر محمد صلى الله عليه وآله هو مُسكّن، ماذا على من يشم ترابه ألا يشم غوالي وتراب محمد صلى الله عليه وآله مسكّن، والمُسكّن الثاني هو أمها الزهراء عليها السلام ولكن زينب تودعه وترحل. المسكّن الثالث هو بيت الله ولكنها سلام الله عليها ترحل أيضا عن بيت الله تعالى، أليس بيت الله تعالى يأمن فيه حتى الفاجر، المشرك، الطير، الشجر، الحجر، المدر؟! كلهم يأمنون في بيت الله تعالى، لكن لا أمان لزينب في بيت الله تعالى!!!

ألا لعنة الله على الظالمين.

---

(١) الزيارة الجامعة.

خلاصة المحاضرة الثانية

١- ثمرة شجرة طوبى هي العلم والفضائل والهداية، وهي الأخلاق والمعرفة الحقّـة، وما اهتدى أحد في هذه الدنيا إلا إثر تعلقه بهذه الشجرة.

٢- لكل بيت وأسرة شخصية تمثل ما فيها من حق وعدالة وحدود واستقامة وآمال وهموم وعلم وإدراك.

٣- أفضل بيت نزل من عرش الله تعالى هو بيت علي وفاطمة عليهما السلام، أي أن شخصية هذا البيت هي أكمل شخصية.

٤- معرفة الحسين عليه السلام والقرب من الحسين، وذكر الحسين هو الذي يبدل معادن الأرواح.

٥- لحصول التأثير في أنفسنا وأرواحنا لابد من إزالة الحجب والموانع، حجب الغفلة والجهل ولا بد من الحصول على البرهان.

٦- الإنسان يأخذ علومه العملية من طريقين: أولها الفطرة الباطنية من لدن الله تعالى، والثاني الوالدان والأسرة، فالوالدان والأسرة يشكلان أول لبنة من لبنات بناء الإنسان والمعرفة.

٧- كلما كانت النفس أسلم وأسمى كلما أصبحت تبحث عن قدوة أكبر وأكمل وأعظم.

٨- زينب عليها السلام نشأت في وسطٍ المنفذ الوحيد لها إلى معرفة العالم هو هؤلاء الخمسة الأشباح عليهم أفضل الصلاة والسلام الذين كل حديثهم وشؤونهم دليل وبرهان وحجة وبينة على وحدانية الله وعبوديته، فاتحدت عندها المتعلقات الطبيعية والأسرية، والمحبوبات الفطرية الإنسانية بأكمل وأجمل ما

يكون، ولذلك كلما بلغت وكبرت كلما اشتدت علاقتها بهم أكثر صلوات الله وسلامه عليها وعليهم.

الحمد لله رب العالمين.

حدود بيت علي وفاطمة عليهما السلام

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾[1].

إن هذه المحاضرات -على hحسن التقادير- هي مقدمات حتى نصل بها إلى اليوم السابع والثامن والتاسع والعاشر فتخشع قلوبنا أمام محراب الحسين عليه السلام.

تحدثنا بالأمس حول البيئة التي تربّت فيها زينب عليها السلام والبيت الذي نشأت فيه، أما في هذا اليوم فسوف نحدد محيط ومعالم هذا البيت كما جاء وصفه في القرآن الكريم وفي الروايات، وكذلك سوف نأتي ببعض الشواهد من أحاديث زينب عليها السلام.

زينب عليها السلام في أحضان الفطرة:

أودع الله تعالى الفطرة في الإنسان وشكّلها وسواها وأعطاها ظرفية الولاية، والإنسان يُدرك آثار هذه الفطرة، وقد جاء في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام في شرح الآية ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾[2] قال عليه السلام: «**أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن علياً**

(١) سورة النور: ٣٦ -٣٧.

(٢) سورة الروم: من الآية٣٠.

ولي الله إلى ها هنا الفطرة»[١].

والمعنى أن الولاية ليست شيئاً دخيلاً على الإنسان، وليست علماً أو معرفةً تُفرض على الإنسان الولاية ليست إلا الظرفية والفطرة الأولية للإنسان، فإذا ركبت في الإنسان طبائع لا تتلاءم مع الولاية، فهذه الطبائع غير أصيلة، والفطرة ليست إلا حب علي وأبناء علي عليه السلام حب الكمال والانتماء للكمال والانتساب له وقد جاء في تفسير علي بن إبراهيم القمي -الذي يعد من أفضل التفاسير- في شرح قوله تعالى: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً**﴾ قال: **أقم وجهك لولاية علي** عليه السلام [٢]. وزينب عليها السلام التي تربت في أحضان علي عليه السلام فقد تربّت في أحضان تتناسب مع الفطرة، بل قد تربت في أحضان الفطرة!

قلوب الأطفال اللطيفة وتشكيل الحجب:

قلنا بالأمس أنّ أول من يأنس بهم الإنسان في طفولته هم والديه وإخوته والمقربين منه، فهو يعتقد أن هؤلاء هم الوسائط في الوصول إلى المعرفة، بل أكثر من ذلك، الطفل يعتقد أن كل الخصائص الإلهية متواجدة في أمه وأبيه.

الطفل الذي لم يعرف التوحيد بعد ولم يعرف العدالة والقيم يعتقد أن القيم موجودة في هؤلاء، حتى أنه ورد في الرواية أنه كلما بلغ الطفل مرحلة من مراحل العمر لقّنوه شهادة أن لا إله إلا الله ثم بعد الشهر الثاني، الثالث لقّنوه نبوة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله ثم في الشهر الرابع مثلاً وجّهوه باتجاه القبلة ولقّنوه اسم علي عليه السلام فإذا أتقنه فلقّنوه اسم فاطمة عليها السلام فإذا أتقنهما فلقّنوه... فلماذا هذه الرواية وبهذا

---

(١) (تفسير القمي) ج٢/ ص ١٥٥:
حدثنا علي ابن موسى الرضا عليه السلام عن أبيه عن جده محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام في قوله ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قال: هو لا إله إلا الله محمد رسول الله علي أمير المؤمنين ولي الله إلى هاهنا التوحيد.

(٢) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج٢ / ص ١٥٤: عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً﴾ قال: هي الولاية.

التفصيل؟![1]

الجواب: لأنها تريد أن تقول أنه يجب على الإنسان أن يفصل بين المشاعر والأحاسيس والحب والأنْس الذي لوالديه وبين المشاعر والأحاسيس والأنْس الذي يجب أن يكون لأولياء نعمته لأنه أيضا قد يتفق أن يرزق الله الإنسان أبوين صالحين مواليين.. ولكن بالطبع طالما هو صاحب النعمة المطلقة. وهذه الأمور كثيراً ما تختلط عند الإنسان.

لاحظوا الروايات التي تنهى عن وجود التصاوير في البيت مثلاً أو الأحكام الفقهية التي منها الكراهية المشددة على شراء المجسمات للطفل، قد يقول البعض أن هذه النواهي والمكروهات ليس لها معنى. وقد انتهى وقتها لان الناس والمجتمعات المتقدمة زمانا كانوا مبتلين بالشرك وعبادة الاصنام ويخشى على المؤمنين من التلوث والتشبه بأهل الشرك والآن الإنسانية والبشرية تقدمت ولا معنى لهذه المكروهات الآن.

أي لماذا يحرم صناعة المجسمات الحيه في عصر التقدم والحضارة.

أتعرفون متى يكتشف الإنسان أن لها معنى؟! إذا كَبر الإنسان ورأى أن هناك حُجُباً بينه وبين هذه الحقائق عندها يدرك مبدأ هذه الحجب. وليس كبير النار إلا

---

(١) «حقوق الأولاد والأبناء في مدرسة أهل البيت عليهم السلام»، محمد جواد طبس، دار الرسول الأكرم، دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ ق نقلا عن «أمالي الصدوق»، ص ٣٥١: قال عبد الله بن فضالة، سمعت عن الباقر أو الصادق عليهما السلام أنهما قالا: إذا بلغ الغلام ثلاث سنين يقال له سبع مرات، قل: لا إله إلا الله، ثم يترك حتى يتم له ثلاث سنين وسبعة أشهر وعشرون يوما، فيقال له: قل: محمد رسول الله صلى الله عليه وآله سبع مرات، ويترك حتى يتم له أربع سنين، ثم يقال له سبع مرات قل: صلى الله على محمد وآل محمد، ثم يترك حتى يتم له خمس سنين، ثم يقال له: أيهما يمينك وأيهما شمالك، فإذا عرف ذلك حول وجهه إلى القبلة، ويقال له اسجد، ثم يترك حتى يتم له ست سنين، فإذا تم له ست سنين صلى، وعلم الركوع والسجود حتى يتم له سبع سنين، فإذا تم له سبع سنين قيل له: اغسل وجهك وكفيك، فإذا غسلهما قيل له: صل، ثم يترك حتى يتم له تسع، فإذا تمت له علم الوضوء وضرب عليه، وعلم الصلاة وضرب عليها، فإذا تعلم الوضوء والصلاة غفر الله لوالديه.

من مستصغر الشرر.

بمعنى أن كثيراً من الأعمال والتصرفات وكثيراً من ألوان التعاطي مع الطفل هي في الحقيقة أولى الخطوات لتشكيل الحجب بين الإنسان وأوليائه.

فمن ذا يستطيع ان يحد منافذ قلب الإنسان أو يحدد انعكاسات المؤثرات عليه.

الطفل روحه حساسة ظريفة لطيفة واللطيف يتأثر بسرعة حسه خياله بسيط ساذج.

لاحظوا الأمير عليه السلام في وصيته للإمام الحسن الواردة في نهج البلاغة يقول له: «**بادرتك بالأدب قبل أن يقسوا قلبك**».

تعبير رائع أولا المبادرة المسارعة أي التربية في الطفولة مع خلو القلب من الحجب فرصة يجب أن تغتنم ولا تضيع ويسارع إليها لأنها تجعل عملية التربية غير معقدة وإذا كبر الإنسان ضاعت هذه الفرصة. ثم القلب الخالي أو الحس الأولي أسرع لقبول المجردات الواقعي منها والوهمي.. فيجب أن تستغل هذه الفرصة والمرحلة لتلقين المفاهيم الدينية الصحيحة عبر الكلمة والصورة.. وكل المؤثرات..

أنتم عدوا المؤثرات في هذا الزمن بالقياس للمؤثرات في الزمن السابق..

الواقع الخارجي الآن يساعد أيضاً على الابتعاد عن الله تعالى والقيم الدينية مما يعقد عملية التربية الصحيحة.

المؤثرات لا تعد ولا تحصى.. لم يعد الإنسان الآن ابن المحلة والقرية والحي بل ولا البلد ولا ابن إذاعة معينة ولا فضائية معينة ولا بضائع فكرية ومادية وكل شيء..ونظام الحمية الثقافية والمعرفية.. أصبح بحكم المحال.. والله المغيث المعين.....

ماذا لو اتّحد حبّ الطبيعي الغريزي وحبّ الفطرة؟!

إذاً فالإنسان في الحقيقة مفطور على حب أولياء الله تعالى، فإذا كانت قد اتحدت مشاعر الأمومة والأبوة والأخوة الطبيعية والمشاعر الولائية الإلهية في مصداق واحد كامل.. ونحن نعلم أن الحب يأخذ حكم المحبوب ولو أحب الإنسان حجر لحشر معه لأنه سيؤول وينتهي لمحبوبه..

ولو أحب ملك سيتحول إلى ملائكي ويحشر ملكا.. فلو اجتمعت كل العناصر الباعثة للحب التي يمكن أن نتصورها.

فلنمد خيالنا إلى آخر ما يمكن ولنستعرض أشكال وألوان وأنحاء من المشاعر التي تطابق فيها قناعة العقل وارتباط القلب.. فكيف سيكون هذا الحب؟!

هذا التمركز والاتحاد في المشاعر ماذا سوف يُنتج؟! عند ذلك سوف يُدرك الإنسان أن واسطته إلى المعرفة والاتصال بالعالم الخارجي منحصرة في هؤلاء. كل خيرهم أصله.. كل رحمة.. أبواب العلم... منافذ المعرفة وليس هذا صرف فرض؛ اذ نقل لنا التاريخ من أشعرها ما يحكي هذ كيف وهي القائلة تخاطب أخاها الحسين: «**كنا نرجيك للشدائد.. فانقلبت بنا الليالي فخاب الظن راجينا..**».

بالأمس ضربت مثالاً حول الإنسان وطبيعة بحثه عن البرهان، فالإنسان كلما كبر فإن عقله يتفتح ويطلب المبرهن والبينة والدليل المستدل ويتفاعل مع الكلام العقلائي، خصوصا إذا كان العقل طبعه.. والتعقل شأنه - عقيلة الطالبين-.

فإذا وُلِد الإنسان في بيت «**خصّكم ببرهانه وانتجبكم لنوره... وتراجمة لوحيه**»[١] فإن هذا الإنسان سوف تتحد مشاعره وسوف ينسجم باطنه مع ظاهره.

يُروى شعر للسيدة زينب عليها السلام تخاطب به الإمام الحسين عليه السلام - السيدة زينب عليها السلام أكثرت من الشعر في الإمام الحسين عليه السلام - تقول صلوات الله وسلامه

(١) الزيارة الجامعة.

عليها[1]:

يا نور ديني والدنيا وزينتها   يا نور مسجدنا يا نور دنيانا

ولنقرا هذه القصيدة الرائعة للسيدة زينب صلوات الله عليها والتي تكشف عن علمها بالإمامة وأحاطتها بأبعادها فلقد جاء في الجزء٣٥ ص٢٨٥ من البحار نقلا عن كتاب المناقب القديم عن لسانها:

تمسك بالكتاب ومن تلاه   فأهل البيت هم أهل الكتاب
بهم نزل الكتاب وهم تلوه   وهم كانوا الهداة إلى الصواب
إمامي وحد الرحمن طفلا   وأمن قبل تشديد الخطاب
علي كان صديق البرايا   علي كان فاروق العذاب
شفيعي في القيامة عند ربي   نبيي والوصي أبي تراب
وفاطمة البتول وسيد أمن   يخلد في الجنان مع الشباب
على الطف السلام وساكنيه   وروح الله في تلك القباب
نفوسا قدست في الارض قدما   وقد خلصت من النطف العذاب
مضاجع فتية عبدوا فناموا   هجودا في الفدافد والشعاب
علتهم في مضاجعهم كعاب   بأوراق منعمة رطاب
وصيرت القبور لهم قصور   مناخا ذات افنية رحاب
لئن وارتهم أطباق أرض   كما اغمدت سيف في قراب
كأقمار إذا جاسوا رواض   وآساد إذا ركبوا غضاب
لقد كانوا البحار لمن اتاهم   من العافين والهلكى السغاب
فقد نقلوا إلى جنات عدن   وقد عيضوا النعيم من العذاب

---

(١) «كلمة السيدة زينب عليها السلام» السيد الشهيد حسن الشيرازي: «زينب عليها السلام حينما تراءت لها القبور لحرم رسول الله صلى الله عليه وآله العائدات من الأسر... ثم أخذت تعدد مصائبها لأخيها وهي تبكي كالثكلى ثم أنشأت:

يا نور ديني والدنيا وزينتها   يا نور مسجدنا يا نور دنيانا

بنات محمد اضحت سبايا	يسرن مع الاسرى والنهاب
مغيرة الذيول مكشفات	كسبي الروم دامية الكعاب
لئن ابرزن كرها من حجاب	فهن من التعفف في احتجاب
ايبخل في الفرات على حسين	وقد اضحى مباحا للكلاب
فلي قلب عليه ذو التهاب	ولي جفن عليه ذو انسكاب

عندما تتلى علينا هذه الابيات البديعة الرقيقة الناطقة بعمق الولاء والارتباط المشعرة بأن قائلتها سلام الله عليها ترى دنياها ودينها وأولها وآخرها يبدأ وينتهي في الحسين صلوات الله عليه.

فزينب عليها السلام لم ترَ واسطة للفيض ولا للعلم ولا للمعرفة ولا للبرهان إلا هؤلاء الخمسة صلوات الله وسلامه عليهم، ونحن في هذا البحث نحاول أن نصل إلى التشبه وإلى التقليد فمن تشبه بأخلاق قوم كاد أن يكون منهم، نحن نريد أن نصل - وهذا مقام من مقامات زينب عليها السلام - إلى مقام نخاطب فيه الحسين عليه السلام يوم العاشر من المحرم: «**يا نعيمي وجنتي.. يا دنياي وآخرتي**» علينا أن نسعى إلى أن نصل إلى مقام قريب من هذا المقام. على ان تكون زينب صلوات الله عليها والها فيه اماما ونحن زينبيات.. أو على الأقل أن نشعر به ولو للحظات.

لاحظوا أخواتي، أن هذا النوع من المشاعر كاليقين قد لا تستقر، وقد ورد أن اليقين خطرات، اليقين لحظات، اليقين يعرض على الفؤاد وقد يزول، والله تعالى يوم القيامة يثيب الإنسان على كل أعماله بمقدار هذا اليقين ﴿**لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا**﴾[1] أي بأحسن حالة وصل إليها الإنسان المؤمن. فالله تعالى يجعل كل أعمال ذلك الإنسان في كفّة وفي الكفة الأخرى اليقين وبمقدار يقينه يثيبه، وهذا في الحقيقة يجعلنا نكون أكثر جدية في طلب هذه الأمور. وكما قلنا سابقاً إن الدار الوحيدة التي يمكن أن يصل فيها الإنسان إلى حب محمد وآل محمد عليهم السلام هي هذه

(١) سورة النور: من الآية ٣٨.

الدار ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾[١] «**خسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً**»[٢]، فمن لم يحصل على المحبة في هذه الدار فلا يمكن أن يحب في تلك الدار، لأن الظرفية في تلك الدار ليست ظرفية فاعلية وحركة، تلك الدار هي دار الاستقرار والثبات.

إذاً كيف نصل إلى هذه المحبة؟! لنبدأ خطوةً خطوة لعل الله سبحانه وتعالى يلطف بنا، لعل نظرةً لطف منهم صلوات الله وسلامه عليهم تشملنا، لأننا لا نتقرب لهم بأعمالنا فنحن نشك في كل نوايانا ونشك في كل أعمالنا ولكن لا نشك أنهم هم أهل بيت الرحمة صلوات الله وسلامه عليهم.

ماذا تعني حدود البيت؟

قبل أن ننتقل إلى الرواية التي توضح حدود بيت علي وفاطمة عليهما السلام سنوضح أولاً معنى حدود البيت ومحيط البيت، فماذا تعني حدود البيت؟!

البيت الظاهري الذي يسكنه الإنسان حدوده هي الجدران المادّيّة، للبيت الظاهري الحسي فيه وله حدود وحجم معين فيه غرف ومكان استقبال ومرافق معينه حجم معين هيئه معينه بناء معين.. هندسة ألوان.. الخ

لكن شخصية البيت وحجم البيت الحقيقي والوانه وهندسته وهيئته المعنوية أمر آخر.

والحدود الواقعية للبيت ليست كذلك. أمير المؤمنين عليه السلام يتحدث عن حدود حياة الخليفة الثالث فيقول: «**قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه**»[٣]، فالنثيل هو مكان تفريغ الغذاء، والمعتلف هو مكان جمع الغذاء أي أن حدود هذا

---

(١) سورة الإسراء: ٧٢.

(٢) (مفاتيح الجنان) عباس القمي. دعاء الحسين عليه السلام يوم عرفة / ص ٣٣٩.

(٣) (نهج البلاغة)، تحقيق الدكتور صبحي الصالح. خطبة ٣ «الشقشقية» ص٢٨: نافجاً حضنيه: رافعاً لهما، الحضن: ما بين الإبط والكشح. يقال للمتكبر: جاء نافجاً حضنيه. النثيل: الروث وقذر الدواب. المعتلف: موضع العلف.

الخليفة وحدود شخصيته بين نثيله ومعتلفه أي أنه يأكل ويفرّغ، يفرّغ ويأكل، فكأنه يدور من هذا إلى ذاك، لطيف هنا يقول الشيخ جوادي الحدود عادة أربع.

ولكن هذا حيث حد نفسه في حياة عرضيه ليس فيها طول.. فليس هناك إلا شرق وغرب... وليس عنده شمال وجنوب، أي أنه لا طريق له إلى الأعلى في هذه الدنيا. والخليفة الثاني لما كان يُسأل فلا يجيب، كان يقول: «**انشغلنا في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله بالصفق في الأسواق**»[1]، يعني أنه لا يملك حدوداً أكثر من ذلك.

فكل بيت له حدود وشخصية وذلك بحسب طموح الوالدين والأبناء واهتمامهم، قد تضيق هذه الحدود وقد تتسع وذلك بمقدار وعي الوالدين أو حتى حين يملك فرد من أفراد هذا البيت وعياً، علماً، فهماً، أخلاقاً، فقهاً، اهتماماً أكثر وأوسع فإنه يوسّع حدود هذا البيت أكثر.

إذا راجعتم الروايات في سعة وضيق البيوت فهي تتكلم عن شخصية البيوت، فأمير المؤمنين عليه السلام عندما أراد أن يخطب أم البنين لنفسه قال: «**انظر إلى امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها فتلد لي غلاماً فارساً**»[2]. عندما نأتي - إن شاء الله تعالى - لشرح معنى الآية ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ**﴾[3] ونطبّق عليها رواية الإمام الصادق عليه السلام سوف ترون سعة هذه البيوت. وهذه المسألة ليست مسألة وهمية وإنما لها آثار في الدنيا وخارج الدنيا، كما في الروايات التي طبّقناها بالأمس على شجرة طوبى وسعة شجرة طوبى وآثار شجرة طوبى وكون زينب عليها السلام هي الثمرة الناضجة لشجرة طوبى.

---

(١) (صحيح مسلم) لمسلم النيسابوري. ج٦ ص١٧٧. (الأدب المفرد) محمد بن إسماعيل البخاري ٢٨٨ج١٠٦٥. فقال عمر: أخفي علي من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله ألهاني الصفق بالأسواق.

(٢) قال أمير المؤمنين عليه السلام لأخيه عقيل ذات يوم: انظر إلى امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها فتلد لي غلاماً فارساً، فقال له: تزوج بنت حزام الكلابي فإنه ليس في العرب فإنه ليس في العرب أشجع من آبائها.

(٣) سورة النور: من الآية٣٦.

بيت علي وفاطمة عليهما السلام لا حدّ له:

عن أبي جعفر عليه السلام يقول: «**بيت علي وفاطمة من حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله، وسقف بيتهم عرش رب العالمين، وفي قعر بيوتهم فرجة مكشوطة إلى العرش معراج الوحي والملائكة تنزل عليهم بالوحي صباحاً ومساءً وفي كل ساعة وطرفة عين، والملائكة لا ينقطع فوجهم، فوج ينزل وفوج يصعد**»[1].

هذه الرواية عندما نطبقها على واقعة كربلاء وإدراك زينب عليها السلام لسعة هذه الواقعة، سوف نعلم أنه لولا تفجّع زينب عليها السلام لما تفجّعنا، وندرك أنه لولا حب زينب عليها السلام للإمام الحسين عليه السلام لما وصلنا إلى شيء من حب الحسين عليه السلام.

يعني كما أنه لم يدرك واقعة السقيفة إلا الصدّيقة الزهراء عليها السلام. فلو أن الزهراء عليها السلام سكتت ولم تعترض فهل تتصورون أن أحداً في يوم من الأيام يستطيع أن يعترض على السقيفة؟! هذا مستحيل، فلولا اعتراض الزهراء عليها السلام لما اعترض أحد، كذلك لولا تفجّع زينب عليها السلام لما تفجّع أحد. لولا أنّ زينب عليها السلام أحسّت بهذه الواقعة وحددت مسار تلك الأحاسيس لما أحسّ بها أحد.. هذه ليست مبالغة وسوف نوضح هذا المعنى - إن شاء الله - في اليوم السابع.

فلنلتفت الآن إلى حدود بيت علي وفاطمة عليهما السلام حتى نعرف كيف نشأت زينب عليها السلام في هذه الحدود، عند التطبيق على الآيات سوف نلحظ كبر وعلو وسعة دائرة شخصية السيدة زينب عليها السلام.

لقد جاء في الرواية السابقة هذا المقطع «**وفي قعر بيوتهم فرجة مكشوطة إلى العرش**» أي مفتوحة إلى العرش. عندما يقول أن بيت علي وفاطمة عليهما السلام لا سقف له

---

(١) (فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى) الشيخ أحمد الرحماني الهمداني صفحة ٣٦: عن عبد الله بن عجلان السكوني قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: بيت علي وفاطمة من حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله، وسقف بيتهم عرش رب العالمين، وفي قعر بيوتهم فرجة مكشوطة إلى العرش معراج الوحي، والملائكة تنزل عليهم بالوحي صباحاً ومساءً وفي كل ساعة وطرفة عين، والملائكة لا ينقطع فوجهم، فوج ينزل وفوج يصعد.

فهذا لا يعني أن الشمس تصيبهم وأن المطر يسقط عليهم، لا. عندما نقول هم اهل بيت العصمة والطهارة هل نقصد الطوب والحجر والحصى والرمل هذه تتسوى فيها الناس... نحن إنّما نحتج على المخالفين بذلك البيت المعنوي الذي تحدثنا عنه، ويقصد حدود البيت الواقعي الذي يكبر فيه الإنسان أو يصغر.. هذا هو الذي يعطي الإنسان شخصية كبيرة أو صغيرة، مشاعر كبيرة أو صغيرة، أحاسيس كبيرة أو صغيرة. هذا هو الذي إمّا أن يخلق في قلب الإنسان الحُجُب أو يخلق النّورانيّة، والبيت الذي يكون أفقه محدوداً فإن الفرد الذي ينشأ فيه يجد صعوبة في التفاعل مع قضايا الأئمة عليهم السلام.

البيت الذي لا تنمو فيه هموم وطموح ورغبات الإنسان فلا يعد بيتاً راشداً.

لماذا يعيش الإنسان هذا الضيق؟! لماذا يشعر الإنسان دائماً أنه يريد أن يكسر السدود والحجب التي أمامه حتى يرتبط بهذه الحقائق؟!

نحن في هذه المجالس نأتي مريدين، راغبين، قاصدين، هذا من حيث نوايانا العقليّة ولكن لنأتي ونرى كم من الحجب يجب علينا أن نحطمها!!

أتعرفون من أين تبدأ هذه الحجب؟! من صغر هذه البيوت التي يعيش فيها الإنسان، من ضيق همّة الإنسان وهموم الإنسان، من ضيق معرفة الإنسان ورغبة الإنسان، ومشاعر الإنسان. إنّ تبلّد هذه المشاعر يحولها إلى سدود والعياذ بالله.

لنتحدث قليلا عن المرشد الديني الذي يساعدنا ويعيننا على التفاعل مع قضايانا الدينية.

حقيقة مسألة الرشد:

الإنسان في وجوده يختلف عن الحيوان فالحيوان يعرف كل ما يحتاج اليه بطبعه من حين ولادته يعرف عدوه فيهرب منه ويعرف مصلحته غريزته تهديه إلى مصلحته ومضرته.

وأما الإنسان فرشده اكتسابي يجب ان يدرس ويتعلم ويتربى لان له حياة

خاصه علميه وروحيه واجتماعيه واقتصاديه ثقافيه فرشده واسع غير محدود هناك رشد ايماني وسفه ﴿**وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ**﴾ كلما كان وعي الإنسان على نفسة ووجوده وجوهر ذاته وما حوله فهو أكبر ولهذا في الرواية «**أعلمكم أكبركم**».

للأسف إذا كبرت الدور والبيوت الظاهرية والبيوت الواقعية طفولية.

أمامنا بيت علي وفاطمه ما أوسع ساحته تنزل عليهم فيه الملائكة بلا عد ولا حصر أين تنزل وما هي الساحات التي تسعهم.. إنها نفوسهم التي أوسع ما في الكون.. قلوبهم التي شرحها الله بالطاعة وحسن الذكر.

جاء في الرّواية أيضاً: «**والملائكة تنزل عليهم بالوحي صباحاً ومساءً وفي كل ساعة وطرفة عين**» فلماذا تنزل عليهم الملائكة؟! الملائكة تنزل عليهم وتأتي لهم لتتعلّم منهم التسبيح والتهليل والتحميد «**سبّحنا فسبّحت الملائكة، هللنا فهلّلت الملائكة**»[1].

كما جاء في الرواية أيضاً «**والملائكة لا تنقطع أفواجهم، فوج ينزل وفوج يصعد**». أهل البيت عليهم السلام يريدون إرسال الملائكة إلى هذه المجالس. في هذا المجلس الآن ضجيج من الملائكة أنا لا أراهم، أنتم لا ترونهم، هذا أمر آخر، ﴿**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ**﴾[2] لا أحد يعرف ولا أحد يدرك ذلك، لكن الملائكة يترددون على أصحاب هذا البيت عليهم السلام، لماذا يترددون عليهم؟! سوف نعرف ذلك في اليوم العاشر عندما نتحدّث عن حضور الملائكة، وكيف أنّها تمسح بأجنحتها على من بكى على الحسين عليه السلام، عند ذلك سوف نعرف أثر حضور الملائكة في مثل هذه المجالس.

سأشرح الرواية بالتدريج إن شاء الله تعالى، فهذه الرواية هي عصارة سورة «هل أتى»، فكل عبارة في سورة «هل أتى» هي في هذه الرواية.

---

(١) (بهجة قلب المصطفى) ص ٤٤-٤٥، نقلًا عن «تأويل الآيات» ج ٢ ص ٥٠٩: ن الرسول صلى الله عليه وآله قال: «كنا في سرادق العرش نسبح لله فسبحت الملائكة بتسبيحنا».

(٢) سورة المدثر: من الآية ٣١.

«هل أتى» سورة بيت علي وفاطمة عليهما السلام:

الآن سوف نبدأ بشرح المعنى اللفظي فقط لسورة «هل أتى»، أمّا لماذا نزلت سورة هل أتى؟ فكلكم تعلمون قصة نزول هذه السورة التي استشهد بها أمير المؤمنين عليه السلام في يوم الشورى واستشهد بها في كل المواقع، وكذلك الإمام الحسين عليه السلام، فسورة (هل أتى) تعتبر المفصل في فهم حدود بيت علي وفاطمة عليهما السلام، فهي لا تتحدّث عنهم ولا عن ذواتهم ولا عن خصائصهم، السورة تتحدث عن بيتهم صلوات الله وسلامه عليهم وما هي طبيعته وحقيقته.

لماذا سميت «هل أتى» بسورة الإنسان؟!

السورة تبدأ بـ﴿**هَلْ أَتَى عَلَى الإنسان حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً * إِنَّا خَلَقْنَا الإنسان مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً**﴾.

بعض السور سماها ا المسلمون بمناسبة معينه كسوره البقرة لانها ذكرت فيها البقرة فغلب عليها الاسم كسورة البقرة مثلاً، فإنها سُمّيت في البداية بالسورة التي ذكرت فيها البقرة ثم أصبح اسمها سورة البقرة، كذلك سورة الفيل سميت في البداية بالسورة التي ذكر فيها الفيل ثم أصبح أسمها شيئاً فشيئاً سورة الفيل، وكذلك سورة براءة أحد أسمائها الفاضحة حيث إن الإمام الصادق عليه السلام كان يسمي سورة براءة بالفاضحة[1] لأنها تفضح تيار المنافقين منذ بداية تأسيسه إلى انقلابه على أمير المؤمنين عليه السلام، لذلك فاسمها ليس براءة إنما اسمها الفاضحة ولكن المسلمون شيئاً فشيئاً سموها براءة باعتبارها تبدأ بكلمة براءة.

إذاً لماذا سميت سورة الإنسان بهذا الاسم؟! الجواب: يقول أستاذنا الجوادي لأنها تحكي لنا قصة الإنسان الكامل أمير المؤمنين ومن يرتبط به بحق الذي يرتبط ببيت علي وفاطمة عليهما السلام وتعطينا حدود وسعة وشخصية الإنسان الذي يرتبط ببيت علي وفاطمة عليهما السلام.

---

(١) الإمام الصادق عليه السلام كان يسمي سورة براءة بالفاضحة. (نور الأنوار).

التفتوا إلى أن سورة الإنسان لا تتحدث عن مقام علي وفاطمة عليهما السلام لأن الحديث عنهم كان في سورتي الواقعة والمطففين، فسورة الواقعة اسمها سورة علي عليه السلام وأبناء علي، وسورة المطففين تتحدث عن مقام علي وفاطمة عليهما السلام، أما سورة الإنسان فلأن فضة ضمن هذه المجموعة، فإنّ السورة تتحدث عن هذه المجموعة في هذا الأفق، وفي هذا البُعد، لذلك هي سورة الإنسان الذي يأخذ جوهره ويصنع نفسه بالارتباط بعلي وفاطمة عليهما السلام، فهي تتحدث عن فضة وكيف أن التصاقها ببيت علي وفاطمة عليهما السلام قد وسّع حدود شخصيتها.

كيف بمن صنعها الله تعالى لنفسه؟!

ولكن الآن تجاوزوا فضة إلى زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام، إذا كان علي عليه السلام قد وسع أفق فضه وجعلها تذوب عشقاً وحباً وولاءً وعلماً ومعرفةً حتى أنها لم تكن تتحدث إلا بالقرآن الكريم[1]. إذا كان قرب فضة من علي وفاطمة عليهما السلام - وهي خادمة في البيت - أدى إلى هذه الصناعة فكيف بمن صنعها الله تعالى على عينه؟! كيف بمن صنعها الله تعالى لنفسه؟!! كيف بمن صنعها علي عليه السلام لتكون نبتة فواحة بعطر علي عليه السلام؟! كيف ستكون زينب عليها السلام وقد اتحد فيها الفطرة

---

(١) (كلمة السيدة زينب عليها السلام) السيد الشهيد حسن الشيرازي: «انقطعت في البادية عن القافلة فوجدت امرأة، فقلت لها: من أنت؟ فقالت: ﴿وَقُلْ سَلامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ الزخرف: ٨٩ فسلمت عليها. فقلت: ما تصنعين هنا؟ قالت: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾ الزمر: من الآية٣٧. فقلت: أمن الجن أنت أم من الإنس؟ قالت: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ الأعراف: من الآية٣١، فقلت: من أين أقبلت؟ قالت: ﴿يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ فصلت: من الآية٤٤. فلما أدركنا القافلة قلت: ألك أحد فيها؟ قالت: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ ص: من الآية٢٦ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ آل عمران: من الآية١٤٤ ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ﴾ مريم: من الآية١٢ ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ﴾ النمل: من الآية ٩ فصاحت بهذه الأسماء فإذا أنا بأربعة شبان متوجهين نحوها، فقلت: من هؤلاء منك؟قالت: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الكهف: من الآية ٤٦. فلما أتوها قالت: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ القصص: من الآية٢٦ فكافؤني بأشياء. فقالت: ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ البقرة: من الآية٢٦١، فزادوا علي، فسألتهم عنها. فقالوا: هذه أمنا فضة جارية الزهراء عليها السلام، ما تكلمت منذ عشرين سنة إلا بالقرآن. نقلا عن البحار ٤٣/ ٨٦ضمن حديث٨.

والعقل والوجدان؟!

بالأمس قلت لكم أننا عندما نقرأ الزيارة الجامعة فإننا نتأثر وننفعل بهذه المعاني، لكن زينب عليها السلام عندما تدخل على الحسين عليه السلام فإنها كانت ترى كل الزيارة الجامعة رؤيا العين في حركة الحسين عليه السلام، لذلك إذا كان الحسين عليه السلام لها النعيم والدنيا والآخرة كما تقول له: يا نور ديني والدنيا وزينتها...

فكيف تمشي زينب عليها السلام في طريق تعرف أن معه سينقطع اتصالها بالحسين عليه السلام؟! بل أشد من ذلك، كيف تودع زينب عليها السلام الحسين عليه السلام في آخر اللحظات وهي تعرف أنّ به تقبل الطاعة المفترضة؟!.

ربما لا تعني الصلاة الكثير لي ولك، لكن صلاة زينب عليها السلام تعني لها كل شيء في الحياة. والإنسان المؤمن إذا ابتلي ببلاء فإنه عادة ما يلجأ إلى الدعاء والصلاة والتوسل، أناشدكم بالله إذا كانت صلاتها هي الحسين عليه السلام فلأي شيء تلجأ زينب عليها السلام؟! وإذا كان دعاؤها هو الحسين عليه السلام فلأي شيء تلجأ زينب عليها السلام؟! إذا كان الإنسان المؤمن يُسكّن قلبه بالدعاء فبأي شيء تسكّن زينب عليها السلام قلبها؟! هل الدعاء إلا الحسين عليه السلام؟! وهل الصلاة إلا الحسين عليه السلام؟! «**بموالاتكم تقبل الطاعة المفترضة**»[1].

ألا لعنة الله على الظالمين.

---

(١) الزيارة الجامعة.



خلاصة المحاضرة الثالثة

١- إن الولاية ليست شيئاً دخيلاً مفروض على طبع الإنسان، وإنما الولاية ليست إلا الطبيعة الأولية للإنسان.

٢- يجب على الإنسان أن يميز بين المشاعر والأحاسيس الطبيعية التي لوالديه وأقاربه، وبين مشاعره وأحاسيسه الفطرية الإنسانية التي هي لأولياء النعم عليهم السلام.

٣- الكثير من الأعمال والتصرفات والكثير من ألوان التعاطي مع الطفل هي في الحقيقة بداية تشكل الحجب بينه وبين أوليائه والواقع الخارجي.

٤- إذا ولد الإنسان - كما ولدت زينب عليها السلام - في بيت من «**خصكم الله ببرهانه وانتجبكم لوحيه**» فإنه سوف تتحد مشاعره وينسجم باطنه مع ظاهره.

٥- أغلب المناجاة التي نناجي بها الله تعالى هي قابلة لأن نناجي بها الإمام الكامل، لكن مع تجريده عن الربوبية.

٦- لابد من السعي للوصول إلى مقام من مقامات زينب عليها السلام والذي نستطيع أن نخاطب به الإمام الحسين عليه السلام بصدق: «**يا نعيمي وجنتي ويا دنياي وآخرتي**» ولو للحظات، فغالباً هذه الحالات لا تستقر ولا تدوم كثيراً، لكن لابد من التدرج خطوة خطوة.

٧- الذي يعين حدود البيت هو علم وهموم وطموحات أفراد هذا البيت.

٨- كبر وسعة دائرة شخصية السيدة زينب عليها السلام تتناسب مع سعة ورفعة البيت الذي نشأت فيه وهو البيت الذي لا سقف له إلا عرش الرحمن!

٩- سورة هل أتى تعتبر المفصل في فهم حدود وحقيقة تركيب بيت علي وفاطمة عليهما السلام.

١٠- سميت سورة «هل أتى» بسورة الإنسان لأنها تحكي لنا قصة الإنسان الكامل الذي يأخذ جوهره ويصنع نفسه بالارتباط ببيت علي وفاطمة عليهما السلام.

الحمد لله رب العالمين.

شرب الولاية

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾[١].

شجرة آل محمد عليهم السلام تنبت كل الفضائل:

المجلس في الحقيقة ليس مجلس أسئلة وأجوبة لكن البعض سأل عن شجرة طوبى، وحتى يكون التصوير قريباً وواضحاً التفتوا للروايات الواردة في الشجرة التي أكل منها آدم.. ما هي هذه الشجرة؟! بعض ا الروايات تقول أنها شجرة العنب وأخرى تقول أنها شجرة الحنطة وكذلك روايات اخرى تقول أنها شجرة العلم أو أنها شجرة الحسد بمعنى الغبطة وأقوال تقول أنها شجرة أنوار آل محمد، وقد سُئل الإمام الصادق عن هذه الشجرة وقيل له: أنه وردت عندكم في الروايات أنها شجرة العنب والحنطة والعلم والمعرفة والغبطة والحسد.. فأي شجرة هي هذه؟!، فقال له: كلها[٢]. يجب ان نعرف ان هذا الشراب فيه طعوم كثيره لانه مرتبط بعالم

---

(١) سورة النور: ٣٦-٣٧

(٢) تفسير نور الثقلين ج ١ ٦٠ [سورة البقرة (٢): الآيات ٣٥ إلى ٣٦] ص / ٥٩ «١١٢- في عيون الأخبار بإسناده إلى عبد السلام بن صالح الهروي قال: قلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله أخبرني عن الشجرة التي أكل منها آدم وحوا ما كانت؟ فقد اختلف الناس فيها فمنهم من يروى أنها الحنطة، ومنهم من يروى أنها العنب، ومنهم من يروى أنها شجرة الحسد؟ فقال: كل ذلك حق، قلت: فما معنى هذه الوجوه على اختلافها؟ فقال: يا أبا الصلت ان شجرة الجنة =

الآخرة أيضا.. والأشياء التي تأخذ خصائص ذلك العالم لها أحكام تختلف عن هذا العالم.. يقول الإمام الخميني قدس سره في شرح دعاء السحر تحت عنوان (ليس في الآخرة تزاحم بين الكثرات) قال:

«سمعت من أحد المشايخ من أرباب المعرفة رضوان الله عليه يقول: أنَّ في الجنَّة شربةً من الماء فيها جميع اللذات من المسموعات بفنونها من أنواع الموسيقى والألحان المختلفة، ومن المبصرات بأجمعها من أقسام لذات الأوجه الحسان وسائرها من الأشكال والألوان، ومن سائر الحواس على ذلك القياس حتّى الوقاعات وسائر الشهوات كلٌّ يمتاز عن الآخر. وسمعت من أحد أهل النظر رحمه الله تعالى يقول: أنَّ مقتضى تجسُّم الملكات وبروزها في النشأة الآخرة أنَّ بعضَ الناس يُحشر على صُوَرٍ مختلفة، فيكون خنزيراً وفأرة وكلباً إلى غير ذلك في آنٍ واحد. ومعلوم أنَّ ذلك لسعة الوعاء وقربها من عالم الوحدة والتَّجرد وتنزُّهها عن تزاحم عالم الطبيعة والهيولى انتهى كلامه أعلى..

فكل فضيلة لها بُعد مادي أو معنوي فهي تنبت من شجرة طوبى، والغرض من ذلك أن منبت هذه الشجرة ليس منبتاً دنيوياً، فالمنبت الدنيوي له طبيعته وخصائصه وعناصره التي تتناسب وهذه النشأة وهذه الطبيعة وهذا الظرف، ولكن إذا انتقلنا من هذا العالم إلى عالم له قوانين أخرى وأحكام أخرى تماماً، فإن هذه الشجرة

= تحمل أنواعا، وكانت شجرة الحنطة وفيها عنب وليست كشجرة الدنيا، وان آدم لما أكرمه الله تعالى ذكره بإسجاد ملائكته له وبإدخال الجنة، قال في نفسه، هل خلق الله بشرا أفضل مني؟ فعلم الله عز وجل ما وقع في نفسه، فناداه ارفع رأسك يا آدم وانظر إلى ساق عرشي، فرفع آدم رأسه فنظر إلى ساق العرش فوجد عليه مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، وزوجته فاطمة سيدة نساء العالمين، والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، فقال آدم عليه السلام: يا رب من هؤلاء؟ فقال عز وجل: هؤلاء من ذريتك وهم خير منك ومن جميع خلقي، ولولاهم ما خلقتك ولا خلقت الجنة والنار، ولا السماء ولا الأرض، فإياك أن تنظر إليهم بعين الحسد وتمنى منزلتهم، فتسلط عليه الشيطان حتى أكل من الشجرة التي نهى عنها، وتسلط على حوا لنظرها إلى فاطمة بعين الحسد حتى أكلت من الشجرة كما أكل آدم، فأخرجهما الله تعالى من جنته وأهبطهما عن جواره إلى الأرض. وقيل: هي شجرة الكافور يروى عن علي عليه السلام.

سوف ينبت منها كل فضيلة، أي أن ثمرة هذه الشجرة التي هي زينب عليها السلام ينبت منها كل فضيلة كذلك، والملاحظ في هذه الشجرة أنها هي الأصل في حاجة الإنسان، فطبيعة الإنسانية لها حاجات كثيرة.

يقولون: النفس في وحدتها كل القوى، فكما يشعر الإنسان بالعطش إلى الماء حتى يروى بدنه فإنه كذلك يشعر بالعطش إلى العلم والمعرفة.

الإمام هو الطريقة وهو الماء المعين:

لاحظوا الآيات القرآنية التي تتكلم عن العطش **﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾**(١) هناك روايات كثيرة تطبّق هذا الماء على الإمام(٢)، وفي آية أخرى: **﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً﴾**(٣) لولا حالة العطش عند الإنسان لما حُرّك باتجاه طلب الماء، فعندما يقول الله تعالى: **﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً﴾** فهذا يكشف عن أن هناك حالة عطش وإلا لما كان التبشير بسقي الماء فيما لو كانت الاستقامة موجودة.

المراد بالطريقة هي الشريعة من حيث المعنى الظاهري، فهناك روايات تقول أن الطريقة هي الشريعة والدين وأحكام الله تعالى، ولكن هناك روايات أخرى تقول أن الطريقة هي ولاية علي وأبناء علي(٤)، فكيف يمكن الجمع بين هذه الروايات؟!

---

(١) الملك: ٣٠.

(٢) تفسير نور الثقلين ج٥ ٣٨٧ [سورة الملك(٦٧): الآيات ١٢ إلى ٣٠]ص / ٣٨٢» ٤١- وباسناده إلي أبى بصير عن أبى جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ ماؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِماءٍ مَعِينٍ﴾ فقال: هذه نزلت في الإمام القائم يقول: ان أصبح إمامكم غائبا عنكم لا تدرون أين هو؟ فمن يأتيكم بإمام ظاهر يأتيكم بأخبار السماوات والأرض وحلال الله وحرامه، ثم قال عليه السلام: والله ما جاء تأويل هذه الآية ولا بد ان يجيء تأويلها.

(٣) الجن: ١٦.

(٤) تفسير نور الثقلين ج٥ / ٤٣٨ [سورة الجن(٧٢): الآيات ٣ إلى ٢٠] ص / ٤٣٥ «٣٢- في أصول الكافي أحمد بن مهران عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني عن موسى بن محمد عن يونس بن يعقوب عمن ذكره عن ابى جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً﴾ قال: يعنى لو استقاموا على ولاية أمير المؤمنين على والأوصياء من =

الروايات منها ما يفيد معنىً ظاهرياً ومنها ما يفيد معنىً باطنياً، فكل موجود في هذا الكون له ظاهر وباطن. في الفيزياء مثلاً يدرسون وضع الجسم من حيث أن له طول وعرض وعمق، ثم يدرسون ما وراء هذا البدن، البدن له ذبذبات وأمواج... فمن يدرس ويتعمق أكثر يرى أن تحت هذا الطول والعرض والعمق توجد أمور أخرى، فليست حقيقة هذا الجسم متوقفة على ظاهر هذا البدن، فلا يوجد تعارض بين الحركة الجوهرية الموجودة في داخل هذا البدن وظاهر هذا البدن، وإنما هناك ظاهر وباطن.

فالآية لها ظاهر وهو أن الاستقامة على الطريقة هي الالتزام بالشرع ولكن باطنها هو أن الاستقامة على الطريقة هي الالتزام بولاية علي وأبناء علي عليهم السلام. الولاية للعادل.. للكامل.. الانقياد للنظام الأصلح. في هذا الكون لكل شيئ نظام وحساب وقدر ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾.

وليس هناك من يشذ عن هذا النظام الاكمل.

الإنسان الموحد بايمانه بالتوحيد العملي يعلم انه لا وجود للصدفة في حسابات الكون.. وانما هناك علة غائية وحكمه تدار بولايه الله على هذا الكون.. وهي التي تجعل القيم والعدل.. والجمال.. والشرف والرفعة.. والإنسانية.. وهذه بالقيادة والنظام والولاية الاصلح يحصل عليها فلو التزم الإنسان بها واستقام عليها.. وهي الطريقة المثلى.

ثم تقول الآية: ﴿**لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً**﴾ إن سقي الماء وطلب ماء إلا عن عطش.. لأن الإنسان الراوي لا يحتاج للماء.. لاحظوا التهديد في الآية ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ**

= ولده عليهم السلام وقبلوا طاعتهم في أمرهم ونهيهم ﴿لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً﴾ يقول: لأشربنا قلوبهم الايمان، والطريقة هي الايمان بولاية على والأوصياء. البرهان في تفسير القرآن ج٥ ٥٠٩ [سورة الجن(٧٢): الآيات ١٠ إلى ٢٨] ص: ٥٠٧ ١١١٣٥/ - وعنه: عن أحمد بن محمد، عن محمد بن خالد، عن محمد بن علي، عن محمد بن مسلم، عن بريد العجلي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً﴾، قال: «لأذقناهم علما كثيرا يتعلمونه من الأئمة عليهم السلام».

﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ في الرواية ماؤكم أي إمامكم.. لسان الآية لسان تهديد إذا كان الماء هنا أحد مصاديقه الإمام.. فهل التهديد لمن لم يعطش لطريقة الإمام؟؟؟

من شرب من ملح أجاج (كما يعبر امير المؤمنين) هل يعطش:

إذا شرب الإنسان وامتلأت معدته بماء آجن.. هل يبقى عنده قدرة على شرب العذب. إذا تملى الإنسان بغير الطيب هل يبقى له ظرفية شرب الطيب الطاهر.

الممتنع عن الانسياق وراء الخبيث.. خلف الانحراف.. الممتنع عن التسليم للواقع الزائف.. هو الذي يشعر بالحاجه للمستقيم الطيب الطاهر النظيف.. فطلب الماء لا يكون إلا عن عطش.

يجب أن يكون قبله حالة عطش، فإذا لم يكن هناك حالة عطش فليس هناك معنىً للتحريك باتجاه الماء، وهذا دليل على أن هناك من يتعطشون إلى ولاية علي وأبناء علي عليهم السلام، فالذي لا توجد عنده حالة عطش فليس هناك معنى لتحريكه باتجاه الماء وليس هناك معنى لحضّه وحثه على الطريقة، لهذا نحن نرى أن البعيدين عن علي وأبناء علي عليهم السلام لا يوجد عندهم عطش ولاء ولا عطش محبة أصلاً، والآية لا تكلمهم وليست في معرض الحديث معهم، وكثير من الآيات إنما تكلم جزءاً من الناس فقط.

لاحظوا الآية التي قرأتها **﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾**[1] يقول الإمام: «**هذا الكلام عن إمامكم**»[2]، فهذا الكلام بحسب هذا المعنى موجه للشيعة فقط وليس لكل أحد، فإن أصبح ماؤكم غوراً أي إمامكم غوراً، فمن يأتيكم بماء معين؟!

حيث أن أصل الشعور بالعطش هو لطف إلهي. الشيخ جوادي آملي لدية

---

(١) الملك: ٣٠.
(٢) انظر الهامش رقم (٥٠).

عبارة رائعة يقول فيها: الشعور بالعطش للولاية وللارتباط بالولاية لطفٌ منهم عليهم السلام والإرواء لطفٌ آخر.

إن الإنسان عندما يريد أن يرتبط بمجالس أهل البيت عليهم السلام فإنّ أصل شعوره بالرغبة في الارتباط لطف، إذ ليس كل أحد لديه هذه الرغبة، ليس كل من يصلي لديه الرغبة في مناجاة الله تعالى، ليس كل من يقرأ الدعاء لديه عطش للدعاء، أصل الشعور بالرغبة في الارتباط والرغبة في البكاء والرغبة في إظهار المحبة لأهل البيت عليهم السلام، هذا العطش أصله لطف إلهي فالشعور بالعطش دلالة على وجود أرضية للولاية لإقامة العدالة.

ان الإنسانية المعذبة بالفساد والظلم والاستبداد والقهر والانظمة الفاسدة.. من يعيش هذا الهم ويدرك هذا العطش، يسعى وراء العدل والاستقامة والانصاف والحريه والنظافة أي الماء المعين

الذي تروي به الإنسانية جدبها وقاحلها:

وإلا الآيات لا تخاطب من لم يمر بهذه الحالة. الذي يعيش كالبهيمة المربوطة همها علفها وشغلها تقممها... فليس مقصودا بالخطاب. ولذا ماؤكم امامكم

من وجد هذا العطش في قلبه لمعرفة أهل البيت عليهم السلام فليترحّم على والديه[1]، لأنّ ذلك دلالة على أنه مولود من منبت طاهر، وأنّ والديه طاهرين.

من هنا فإنّ ارتباط الإنسان بهم صلوات الله وسلامه عليهم هو بقدر حالة العطش التي يعيشها فعلاً. إننا حين نتحدث عن مصيبة مسلم بن عقيل نرى أن عطشه كان يزداد لشيئين: عطشه من حيث الظاهر كان شديداً، ولكنه يزداد شدة لأجل الحسين عليه السلام. لهذا أهل البيت عليهم السلام يروّون من كل جهة، فإذا كان الماء يروي الجسم البدني المادي فأن العلم والمعرفة تروّي الروح. والروايات كثيرة

(١) «بهجة قلب المصطفى» الشيخ أحمد الرحماني الهمداني، ص ٤٤ -٤٥، نقلًا عن «تأويل الآيات» ج ٢ ص ٥٠٩: الرسول صلى الله عليه وآله: «و لا يحبنا إلا من طاب مولده».

في هذا المعنى ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ لأسقيناهم بكأس من يد علي بن أبي طالب، ولأسقيناهم من علوم علي بن أبي طالب [١]، لهذا فإنّ هذه الشجرة -شجرة طوبى- تُنبت الماء العادي، الطبيعي، وينبت منها أيضاً ماء العلم وماء المعرفة ولا يوجد هنا تناقض حتى من جهة عقلية.

نعود الآن إلى البيت والبيئة التي نمَت فيها زينب عليها السلام.

سعة البيت وضيقه بسعة صاحبه وضيقه:

لقد أنزل الله سورة كاملة يتحدث فيها عن سعة ومحيط ودائرة هذا البيت. ولكي تكون الأمور واضحة بالنسبة لكم لاحظوا كيف أنّ الإنسان عندما يكسب فضيلةً أو خُلقاً فإنه يجد انبساطاً في نفسه ان روح الإنسان مجرده بمعنى انها لا تحتاج إلى مكان او تنحصر في مكان الروح والنفس لهما أحكام غير أحكام البدن.. هما أيضا يكبران ويصغران ويشرحان ويضيقان.

ارضاء الضمير والوجدان والقلب والعقل واتباعهم بالاستقامة والعمل الصالح والفكر المنير يؤدي كل هذا إلى احياء جانب الإنسانية في الإنسان وإنسانية الإنسان واسعه بلا نهاية...

هل للكرم نهاية.. للجود.. الشجاعة الشهامة.. وهي تنسجم مع فطره الإنسان.

هناك بحث واسع ومفصل في شؤون الروح كيف نزلت.. من اين نزلت في بدنة.. ما هي احكامها سأمر بمقدار ما يتحمل المجلس على بعض الامور التي تساعد على تصور سعة الروح وضيقها. الروح والنفس في الإنسان نفخة الهيه.. يقول أستاذنا الجوادي أن الروح حلت في بدن الإنسان على نحو التجلي وليس التجافي.

---

(١) انظر الهامش رقم (٥٢).

ومعنى هذا الكلام هو أن انتقال الاشياء الموجودة من محل إلى محل فيه حالتين نتصورها:

الأولى: كما ينتقل الامر المادي من الاعلى للاسفل مثل حبات ماء المطر فهي عندما تنزل إلى الأرض فهي لا تبقى موجوده في السماء مثلا. صح.. الامر المادي حين ينقل من مكانه إلى محل اخر.. فهو لا يبقى في المحل الاول صح؟

الحالة الثانية: الامور المجردة التي لا تحل في مكان وتنحصر فيه مثلا الفكرة.. الكاتب حين يكتب فكره ويبين مساله في كتاب ما او على الدفتر.. هل الفكرة تنتقل من عقله إلى الدفتر.. بحيث لا يعود لها وجود في عقله.

فنقول انتقلت الفكرة.. هل نقصد انها تركت محلها إلى محل آخر أم أنها موجودة في الاثنين وكل من يقرؤها ويفهمها تنتقل إلى عقله من دون ان تهجر مكانها الأول.. يعني أصلا هي ما تحتاج محل بالمعنى المادي.

هي تنتقل وتتجلى في الاذهان لكل من يستوعبها وبعدد من يفهمها..

الروح تجردها وحلولها في البدن امر اعظم من ذلك. هي نفخه من روح الله في بدن الإنسان تحل. لكن دون ان تفقد ارتباطها مع العوالم الثانية.. على أي حال هذا بحث اخر.. الغرض ان الروح تحن إلى موطنها الاول وترتبط به وتأخذ بعض احكامه.. وإذا أقسرت على خلاف ذلك فهي تضيق.. هي محلها الاول طاهر ونظيف كله استقامة وعدل.. وما يسعها الا العدل والاستقامة.. الطفل جاء من عالم طاهر ونقي.. ولا تسع روحه الا للطهر وما ينسجم مع احكام ذلك العالم لانه اذا ولد لا يفقد ارتباطه واتصاله بالمحل الذي جاء منه.. والشريعة افضل تمثل لذلك العالم.

وافضل تطبيق بين ذلك العالم على سعته وهذا العالم هو الاستقامة على النظام الشرعي.. وهناك وجدانيات خير دليل على ذلك.. مخالف العدل والانصاف والظلم والجرأة على الاخرين يدركها حتى الطفل بفطرته .. فيضيق قلبه لها.. الآن

لنفترض الحالة المقابلة حالة قبض، الانحراف فحالة الانقباض الأنانية الذاتية حب النفس الانكفاء على رغبات البدن الجهل... لا ينسجم ولا يستقيم مع الميل للتجرد..كلما زادت هذه القيود أصبحت سدا مانعا عن الكمال أغلال وأصر.. وتحد وتضيق الشخصية حتى تصغر وتتحجم بحجمها.. واذا تحولت إلى ديدن وطبيعة وحالة عادية في البيت فإن حجم البيت يضيق، وهذا الضيق في الحقيقة هو ضيق واقعي وحقيقي، فعندما يتساهل الوالدان في مسألة اغتياب الآخرين مثلاً أو عدم المبالاة في حرمة الآخرين أو عدم احترام الآخرين، ضعف الهمه.. الجهل.. الاهمال.. الترف اللهث وراء الملذات.. ولا يضعان لهذه المسائل حداً معيناً، فإن هذا الوضع يضيّق من حدود هذا البيت تضييقاً واقعياً، وكذلك عندما يختلف الوالدان مع المؤمنين في خارج البيت ثم ينقلون خلافاتهم هذه إلى داخل البيت، هل تعرفون ماذا يحدث؟! أول من يشعر بالضيق والألم هم الأطفال. هذه الحالة التي يأتي بها الإنسان بشكل طبيعي ويعتبر أنّ من حقه أن يتكلم كما يريد، فهذا في الواقع يضغط ويحد من الجدران الواقعية للبيت.

بيت الأبرار لا يكون إلا واسعاً:

القرآن الكريم يتحدث عن سعة بيت علي وفاطمة عليهما السلام: ﴿**إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً**﴾[1] فما معنى الأبرار؟! الأبرار من (البَر)[2] بمعنى الواسع المتسع المتسلط، الذي يستطيع أن يتسلط على غيره.

لنبدأ الآن مع السورة «سورة هل أتى»، فالسورة لها قضية في واقعة، وجميع المسلمين وجميع المذاهب الإسلامية ينقلون هذه القصة وهذه الواقعة، ولا أحد ينكرها.

---

(١) الإنسان: ٥.

(٢) مفردات الراغب الأصفهاني: البرّ خلاف البحر، وتصوّر منه التوسع فاشتق منه البرّ، أي: التوسع في فعل الخير، وينسب ذلك إلى الله تعالى تارة نحو: إنّه هو البرّ الرحيم [الطور/ ٢٨]، وإلى العبد تارة، فيقال: برّ العبد ربه، أي: توسّع في طاعته، فمن الله تعالى الثواب، ومن العبد الطاعة.

القصة تقول أن الحسنين صلوات الله وسلامه عليهما مرضا فنذر أمير المؤمنين ونذرت الصدّيقة الزهراء عليها السلام ونذرت معهما فضة أنه إذا شفى الله تعالى الحسنين سيصومون قربة لله تعالى، هذه القضية وهذه القصة فيها نكات لطيفة ثبّتها القرآن الكريم.

فعافى الله تعالى الحسنين عليهما السلام، فصام أمير المؤمنين والصدّيقة الزهراء وفضة والحسنان، فجاء الأمير بصاع من شعير في مقابل صوف أُعطي للزهراء لتغزله - وهذا فيه نكتة أيضاً - أي أن غزل هذا الصوف ثمنه هذا الصاع من الشعير، فأخذت الزهراء الصوف وغزلته ثم أخذت هذا الصاع من الشعير وعملته أقراصاً، ثم رفع الأذان وصلّوا ثم وضعوا السفرة، فجاء مسكين فأعطاه الأمير ثلاثة أقراص وباتوا على الماء القراح.. أما لماذا أعطاه الأمير ثلاثة أقراص؟ ولماذا لم يعطه قرصاً واحداً؟! فالآيات تأتي وتوضح أن هناك غرضاً من إعطاء الثلاثة أقراص، وفي اليوم الثاني والثالث أيضاً كذلك. هناك روايات تقول أنه في نفس اليوم جاء المسكين فأعطوه وجاء اليتيم فأعطوه وجاء الأسير فأعطوه، وقد جاء ذلك في رواية عن علي بن إبراهيم أنها في يوم واحد ولكن تكررت الواقعة ٣ مرات[1]. وروايات علي بن إبراهيم عادة مقبولة عند الكثيرين، وهناك روايات تقول أنها ثلاثة أيام وأنهم أطعموا الطعام لمدة ثلاثة أيام[2]. وفي اليوم الثالث وصل حال الحسنين إلى أنهما أصبحا يرتعشان، فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وآله وانطلق معهما فرأى الزهراء عليها السلام تصلي في

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم القمي ج ٢ ص٣٩٩ «فإنه حدثني أبي عن عبد الله بن ميمون القداح عن أبي عبد الله عليه السلام قال كان عند فاطمة عليها السلام شعير فجعلوه عصيدة، فلما أنضجوها ووضعوها بين أيديهم جاء مسكين، فقال المسكين رحمكم الله أطعمونا مما رزقكم الله، فقام علي عليه السلام فأعطاه ثلثها، فما لبث أن جاء يتيم فقال اليتيم رحمكم الله أطعمونا مما رزقكم الله، فقام علي عليه السلام فأعطاه ثلثها الثاني، فما لبث أن جاء أسير فقال الأسير يرحمكم الله أطعمونا مما رزقكم الله فقام علي عليه السلام فأعطاه الثلث الباقي، وما ذاقوها فأنزل الله فيهم هذه الآية إلى قوله وَكانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً في أمير المؤمنين عليه السلام وهي جارية في كل مؤمن فعل مثل ذلك لله عز وجل».

(٢) كما جاء في تفسير فرات الكوفي، أمالي الصدوق، شواهد التنزيل،... في سبب نزول هذه الآيات.

محرابها وقد التصق ظهرها ببطنها فساءه ذلك، فنزل جبرائيل عليه السلام وقال: «**هذا ما هيأه الله لكم**»[1].

إنسانية الإنسان باختياره الواعي:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم * هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً * إنا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَليه فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾.

الحديث في الآية حول خلق البُعد الإنساني في الإنسان وسعة مشاعر البُعد الإنساني في الإنسان لأنه قال **﴿نَبْتَلِيهِ﴾**، فمقدمة الابتلاء أن يُجعل **﴿سَمِيعاً بَصِيراً﴾**. **﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾** هذا قبل أن يخرجه الله تعالى إلى عالم الاختيار والانتخاب وقبل أن يهديه السّبيلين، وهو من أمشاج، والأمشاج هو الخليط من الشيء، أي أن له بُعداً مادياً وبُعداً معنوياً.

﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ وليس سامعاً ومبصراً، فـ«سميعاً بصيراً» صيغة مبالغة تفيد شدة السمع وشدة البصر.

ولكي يختار الإنسان سلوكه وحياته وتصرفاته وشخصيته فإنه يحتاج إلى مقدمات للإدراك والمعرفة.

الآيات تتحدث عن الاختيار الواعي **﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾** الكلام عن الذين استطاعوا أن يختاروا أعلى مراتب الإنسانية، وليس عن الساقطين عن الإنسانية، الكلام عن الإنسان الأكثر استفادة من سمعه، عن الإنسان الذي لا

---

(١) تفسير كنز الدقائق وبحر العجائب ج١٤ ص٧٠ عن أمالي الصدوق... قال شعيب في حديثه: وأقبل عليّ عليه السلام بالحسن والحسين نحو رسول اللّه صلى الله عليه وآله وهما يرتعشان، كالفراخ، من شدّة الجوع فلمّا أبصر بهم النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: يا أبا الحسن، شدّ ما يسوؤني ما أرى بكم! انطلق إلى ابنتي فاطمة. فانطلقوا إليها وهي في محرابها قد لصق بطنها بظهرها من شدّة الجوع، وغارت عيناها فلمّا رآها رسول اللّه صلى الله عليه وآله ضمّها إليه وقال: وا غوثاه [بالله]، أنتم منذ ثلاثة أيّام فيما أرى، فهبط جبرئيل فقال: يا محمّد، خذ ما هيّأ اللّه لك في أهل بيتك، قال: وما آخذ، يا جبرئيل؟ قال: هَلْ أَتى- إلى: مَشْكُوراً.

يسمع أي شيء، إنما يسمع العلوم التي تنفعه[١]، والمعاني التي تنمّيه، بحيث يسمع ويدرك ما يسمع، هذا لا يكون سامعاً وإنما يكون سميعاً.

الفرق بين الشاكر والكفور:

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾ لطيفٌ ذلك الفرق بين شاكر وكفور، الشاكر: اسم فاعل يعني مختار، أي الذي يأتي بأفعاله الكمالية على نحو الانتخاب والاختيار، أما الكفور[٢] فليس المنظور فيه صدور الفعل باختيار أو بغير اختيار، وإنما المراد فيه الطمس على مشاعره وأحاسيسه وذلك بسبب كثرة الخطايا، فهو ليس كافراً وإنما أصبح كفوراً، فهو يأتي بأفعاله لا على نحو الوعي ولا على نحو الانتخاب ولا على نحو الحرية، يعني أنه فقدَ قدرته على التمييز والإدراك والحس والعطش الروحي والبحث عن المعرفة، كل ذلك قد طمس وفُقد.

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلا وَأَغْلالاً وَسَعِيراً﴾ تابعوا كلمة السلاسل في القرآن الكريم، لماذا استخدم كلمة السلاسل؟ ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ﴾[٣] ذلك لأنّ أفعال الإنسان مترابطة، مقدمة، ثم فعل. هذا الفعل يجر إلى الفعل الثاني، يبدأ بخطيئة وهذه الخطيئة حلقة للخطيئة التي تأتي بعدها، تجاوز يأتي بعده تجاوز أكثر منه، لذلك هي في الحقيقة تقيّد الإنسان، فالخطيئة وضعف النفس وضعف الهمة وفقد الرغبات الواقعية هي في الحقيقة تقيّد الإنسان وتحدد محيطه الداخلي - محيط ذاته -، لأن السلاسل تنطوي عليه وتضيّق قدرته على السيطرة على نفسه، فتضيق سيطرته على العالم كذلك. وكلما كان الإنسان أكثر سيطرة على نفسه كلما كان أكثر سيطرة على كل الموجودات التي حوله.

---

(١) نهج البلاغة، تحقيق الدكتور صبحي الصالح. ص٤٠٩ خطبة١٩٣ يصف فيها المتقين: «غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم».

(٢) مفردات الراغب الأصفهاني، ص / ٧١٤ كفر في اللّغة: ستر الشيء، ووصف الليل بالكافر لستره الأشخاص، والزّرّاع لستره البذر في الأرض، والكافور: اسم أكمام الثّمرة التي تكفرها، كفر النّعمة وكُفْرَانهَا: سترها بترك أداء شكرها، وأعظم الكفر: جحود الوحدانيّة أو الشريعة أو النّبوّة، والكَفُورُ: المبالغ في كفران النعمة...

(٣) الحاقة: ٣٢.

شراب الأبرار:

﴿**إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً * عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً**﴾. لاحظوا الكلام عن الأبرار، إن نظرة هؤلاء للوجود أوسع من نظرة الآخرين بكثير وزاوية انطلاقهم لفهم الواقع أوسع، وذلك لأن ذاتهم ذات سعة ولأن صفاتهم - كرمهم، جودهم، إيمانهم - لا حد له، لذلك لم تقيد الآية الأبرار، «إن الأبرار».

ما هو فعل هؤلاء الأبرار؟ إنهم ﴿**يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً**﴾ ولنا أن نتساءل.. ما هو هذا الشرب؟! ما فائدة هذا الشرب؟! ومتى يشربون؟! هل يشربون في الآخرة أم أنّهم يشربون بطريقة سلوكهم في الحياة؟! الجواب: الظاهر من الآيات هو أن هذا الشرب وصف لحالهم في الآخرة وهذا صحيح ولكن هذا لا يتنافى مع شمول الآية لوصف حالهم على نحو الحقيقة الشاملة للدنيا والآخرة، هؤلاء دائماً في حالة شرب، إنهم دائماً في حالة تروّي، دائماً في حالة اتصال. وإذا سألنا: بأي سبب يشربون؟! تجيب الآية: ﴿**عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ**﴾ لأنها شرب من نحو العبودية، هؤلاء يشربون من هذا الكأس لأنهم عباد الله.

إنّ من أدق وأكثر الكلمات التي نشتبه في فهمها في القرآن الكريم هي الماء والشرب. فما هذا الشرب الذي يشربه هؤلاء؟! الجواب: أنهم يشربون كل العوامل في هذا الكون التي تؤدي إلى سعة دائرتهم أكثر، وتؤدي لا إلى صلاحهم فقط ولكن إلى صلاح الآخرين أيضاً، ولا تؤدي إلى تطهيرهم فقط بل إلى تطهير الآخرين أيضاً.

لاحظوا، لماذا لا يدخل الإنسان الجنة إلا بعد أن يشرب من نهر الكوثر؟ لماذا الكوثر نهر على باب الجنه؟! ذلك لأن وظيفة نهر الكوثر مسح كل آثار الخطايا وابراز الجوانب الخيره في الإنسان.. اثاره عوامل الخير، تعديل الفاسد من الإنسان تقويم المعوج التطهير.. الجنه لايدخلها الا الطاهر من الناس.. ولا يمكن أن يشرب إلا بكأس من يد علي بن أبي طالب عليه السلام، لأن طبيعة هذا الشرب تتناسب

مع صفتهم كأبرار، فلأنهم أبرار واسعون فما يشربونه أيضاً يؤكد حالة السعة هذه، فهؤلاء لا يمكن أن يكون هناك حد لفضيلة من فضائلهم ولا حدّ لسيرهم وطرقهم إلى الله تعالى.

الإمام الصادق عليه السلام وهو يتحدث عن أثر أهل البيت عليهم السلام على شيعتهم وعلى عباد الله يقول لأبي حنيفة في الآية ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾[١] يا أبا حنيفة أي شيء هي عندك ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾؟! فقال له: كل طعام وشراب وضع بين أيدينا، فقال له الإمام: **ليس كذلك، النعيم هو ولايتنا أهل البيت**[٢].

«**بنا قصّر الله الطريق على الناس**» يعني بقدر ما يحتاجه الطريق إلى الله تعالى من خطوات طويلة فإنه بواسطة أهل البيت عليهم السلام يقصّر الله الطريق على الناس، يعني أن الله تعالى قال التزموا فقط بالولاية، التزموا فقط بحبهم، فهؤلاء شجرة تنبت كل شيء، التزموا بشيء واحد ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[٣] أي التزموا بالولاية والانقياد والاتباع الواقعي.. وماعدا ذلك فهو تابع له، إذا حققتم الالتزام الصحيح بالولاية. لذلك هناك ارتباط بين الأبرار وفعلهم ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً﴾ هم ابرار وفعلهم يشربون.

كأس الولاية يطغى ولا يُطغى عليه:

﴿مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ لماذا الكافور؟! ذلك لأنه في الكافور أربع صفات[٤]،

---

(١) التكاثر: ٨.

(٢) تفسير نور الثقلين، ج٥، ص٦٦٣ «في مجمع البيان وروى العياشي بإسناده في حديث طويل قال: سأل أبو حنيفة أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الآية فقال له: ما النعيم عندك يا نعمان؟ قال: القوت من الطعام والماء البارد، فقال: لئن أوقفك الله يوم القيامة بين يديه حتى يسألك عن كل أكلة أكلتها أو شربة شربتها ليطولن وقوفك بين يديه، قال: فما النعيم جعلت فداك؟ قال: نحن أهل البيت النعيم الذي أنعم الله بنا على العباد، وبنا ائتلفوا بعد أن كانوا مختلفين، وبنا ألف الله بين قلوبهم وجعلهم إخوانا بعد ان كانوا أعداء وبنا هداهم الله للإسلام وهو النعمة التي لا تنقطع، والله سائلهم عن حق النعيم الذي أنعم به عليهم وهو النبي وعترته».

(٣) الشورى: من الآية٢٣.

(٤) يأتي توضيح وتتمة هذا المطلب في المحاضرات الآتية.

الصفة الأولى: أنه طيب الرائحة، والصفة الثانية: أنه يطغى ولا يُطغى عليه، فإذا كان هناك كافور وروائح أخرى فإنه لا توجد رائحة تطغى على رائحة الكافور.

سوف يتضح فيما بعد أن ولاية أهل البيت عليهم السلام تطغى على كل شيء ولا يطغى عليها شيء. فالكافور أولاً خصوصيته ذاتية، ثم إن الكافور يطغى ولا يُطغى عليه ثم لاحظوا الآية ماذا تقول «كان مزاجها كافوراً» فـ(كان) هنا ليس فعلاً ماضياً ناقصاً، بل هو فعل ماض تام، يعني أن هذه الكأس من أصل الوجود كان مزاجها كافورا. لاحظوا «كأسا» و«عيناً» فهل رأيتهم كأساً هو عين؟! هذا الكأس لا يغرف من عين، الكأس هو نفسه عين، كل هذه المعاني توسع من دائرة بيت علي وفاطمة عليهما السلام لأنها تريد أن تقول أنهم لا يشربون هذا الكأس، بل يشربون منه، يعني أنه شراب لا ينقطع أي أن هذا الكأس هو في حد ذاته عين. فما هي هذه العين؟!

ألسنا نخاطب الإمام «**السلام عليك أيها العَلَم المنصوب والعِلْم المصبوب**»[1] فالإمام عينٌ تصب العلم صباً، وهذا ليس علماً مؤقتاً بل هو علم مصبوب.

إن أعداء آل محمد لا يريدون هذه المعارف ولا هذه العلوم ولا هذه الحقائق ولذلك هم يقاتلونهم، لأن هؤلاء الأعداء قد طمسوا إنسانيتهم فهم ليسوا كافرين فقط بل كفورين، فالكافر لصرف انه كافر. ومنكر لا يحارب اهل البيت وإنما الذي يحاربهم هو الكفور. إنّ الذي لم تبقَ فيه ذرة من الإنسانية هو الذي يواجه آل محمد عليهم السلام. الذي يقاتلهم كفور.. منكر النعمه العظمى الكبرى كفور.

ألا لعنة الله على الظالمين.

(١) مفاتيح الجنان، عباس القمّي، زيارة آل يس، ص٥٩٨ «السلام عليك أيها العلم المنصوب والعلم المصبوب والغوث والرحمة الواسعة».



خلاصة المحاضرة الرابعة

١- كل فضيلة لها بعد مادي أو معنوي فهي تنبت من شجرة طوبى.
٢- الشعور بالعطش للولاية وللارتباط بالولاية لطف منهم، والإرواء لطف آخر.
٣- الإنسان له بعد مادي وبعد معنوي.
٤- صفتا «السمع» و «البصر» مقدمتان لتحصيل الوعي والإدراك وهما مقدمتان للاختيار الحر والابتلاء الإلهي.
٥- السميع والبصير هو من يمتلك رهافة السمع والبصر، ويقف سمعه وبصره على العلم النافع له في كسب المراتب العالية في إنسانيته.
٦- الشاكر هو الذي يأتي بأفعاله الكمالية على نحو الانتخاب والاختيار.
٧- الكفور فقد قدرته على التميز والإدراك والحس والعطش الروحي بسبب كثرة الخطايا، فلا تصدر أفعاله عنه بالاختيار الواعي.
٨- الخطيئة وضعف النفس والهمة وفقدان الرغبات الواقعية تحدّ من محيط الإنسان الداخلي فهي تنطوي عليه كالسلسلة، فتضعف قدرته في السيطرة على نفسه وتضيق، وبالتالي تضعف سيطرته على العالم من حوله ﴿**إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلا وَأَغْلالاً وَسَعِيراً**﴾[1].
٩- الأبرار متسعون في وجودهم وفي فضائلهم وعلمهم وما يشربونه يؤكد هذه السعة، وهذا الشرب الذي هو من نحو عبوديتهم لله تعالى له انعكاسات وآثار في الخارج من صلاح وهداية وطهارة للآخرين.

---
(١) الإنسان: ٤.

١٠- وظيفة نهر الكوثر هي مسح كل آثار الخطايا وبناء الشخصية بناء جديداً ولا يمكن إلا بكأس من يد علي بن أبي طالب عليه السلام.

١١- المسؤولية الوحيدة أمام الله تعالى هي ولايتهم عليهم السلام، فبهم قصر الله الطريق للوصول إليه، وولايتهم هي النعيم الذي نسأل عنه يوم القيامة.

١٢- الكأس الذي يشرب منه الأبرار هو في ذاته عين تفيض بلا انقطاع.

١٣- الإمام عليه السلام هو العِلم المصبوب الذي لا انقطاع له.

١٤- لا يحارب آل محمد عليهم السلام إلا من طمست فيه كل معالم الإنسانية، فهو لا يريد الحقائق ولا المعارف الإلهية.

بيت الهداية والتوحيد

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾[1].

لولا زينب عليها السلام لما كان هناك طريق للحسين عليه السلام!

ما أعذب سيرة آل محمد صلوات الله عليهم وما أحلى أسمائهم فكيف بأفعالهم. كنا في الحديث عن البيت الذي نشأت فيه زينب عليها السلام وحدود البيت الذي درجت فيه صلوات الله وسلامه عليها.

أتصور أن الأيام تنتهي بشكل سريع بحيث قد نضطر لقطع بعض المواقع والمواقف المهمة التي تشكلت منها هذه الشخصية وكانت سبباً لنجاتنا، فلولا زينب عليها السلام وتضحياتها لما كان هناك طريق لمعرفة الحسين عليه السلام. فهي التي تولت تصدير هذه الثورة.. ونحن قريبين عهد بمفهوم تصدير الثورة..

اذ ليس الحديث عن تصدير مقاومه عسكريه او حرب ميدانيه بل قيم ومبادئ ومعاني اعظم من حملها بابعادها.. واستوعب اثارها وفكك رموزها.. وابان فلسفتها.. هي عقيلة الطالبين ربيبة الولاية والنبوة زينب.

لولا أنها حملت في جوانحها وفي جوارحها الصورة الحسينية لما عرفنا

---

(١) سورة النور: ٣٦-٣٧.

الحسين عليه السلام. هذا الكلام ليس مبالغاً فيه، لكن لأننا دائما ونقرأ التاريخ من النتائج..

نقرأ التاريخ قراءة قهقرائية، أي نبدأ من النتائج؛ لذا يصعب علينا تصور تلك الظروف والاحداث والعوامل والعلل والوسائط التي صاغت لنا هذه النتائج.

أي أننا الآن بعد أجيال وقرون وتضحيات ودماء وتاريخ نرى أنفسنا نعرف أهل البيت عليهم السلام بهذه الكيفية فنتصور أن هو الحال الأولي الذي عليه الناس. إن الأمر كان واضح وبديهي وجلي وسهل وفي متناول الأيادي.. الخ.

والأمر ليس كذلك أن هذه النعمة التي نحن فيها هذا النعيم الولائي الذي نرفل فيه مر بطريق كله تضحيات ودماء وجهاد وصبر وتحمل وحلم وعلم وحكمه وحسن تقدير وتدبير. لم تصل الينا النتائج التي أصبحت جزء من واقعنا الا بعناء السابقين المقربين.. لولا بذلهم للنفوس والنفيس وازهاقهم أرواحهم الطيبة الطاهرة في سبيل هدايتنا لعلم الله في أي موقع كنا.

إنّ هذه المعرفة وهذا الحضور وهذه المشاعر ليست مبدأ الحركة وانما مرحلة متأخرة ونتيجة لحكمتهم وحلمهم فهم صلوات الله عليهم تولوا إدارة ولايتهم والتي من شؤونها هدايتنا لهذه النتائج ان اهتدينا اليها.

ترى أي ليل أي نهار أي ساعات أي حالات.. مرت على زينب صلوات الله عليها حتى تصدر لنا هذه الثورة وقيمها. الامر اكبر من ان ندركه فضلا عن ان نتحدث فيه. المشكلة هي الخلط بين المبادئ والنتائج، في الواقع لولا هذه المقدمات لما كان هناك طريق لمعرفة الحسين عليه السلام وزينب عليها السلام هي الواسطة في اتصالنا بالحسين عليه السلام وهي الطريق الذي ربطنا بالإمام الحسين عليه السلام حتى من جهة تاريخية - بغض النظر عن المسائل في عالم الحقيقة والواقع وما عند الله تعالى -. لولا أن زينب عليها السلام كانت هي الحافظة والحامية وهي (الإعلام الحسيني) - إن صح التعبير - لما وصلت لنا كربلاء، وبالنتيجة لما عرفنا الحسين عليه السلام. هذا الكلام ليس خطيراً وكبيراً وإنما الدليل عليه واضح وملمسه جليّ.

الحديث عن شخصية بيت علي وفاطمة:

لم يقتصر وصف القرآن الكريم للأئمة عليهم السلام بالأبرار، بل هم فوق ذلك، فهم المقربون أيضاً. تلاحظون عندنا في الروايات «**حسنات الأبرار سيئات المقربين**»[١].

الآيات موضع البحث تتحدث عن الأبرار. فالأبرار الذين يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً، هذا المزاج المضاف على الكافور هو من عين تسنيم التي هي شراب المقربين لاحظوا تعبير الآية: ﴿**وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ**﴾[٢] أهل البيت عليهم السلام يشربون من تسنيم، وتسنيم هي أعلى قمة في عالم إرواء الوجود الإنساني[٣].

أهل البيت عليهم السلام ﴿**سَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً**﴾، أمّا المؤمنون فـ﴿**يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ**﴾ وهناك فرق بين أن يكون الساقي هو الله تعالى بلا واسطة وبين أن يكون الساقي هو «الولدان المخلدون». سياق الآيات أم الآيتين تتحدثان عن طائفة واحدة.

عندنا في الروايات «**شيعتنا خلقوا من فاضل طينتنا**»[٤] ما معنى فاضل الطينة؟

---

(١) المطففين: ٢٨_٢٧.

(٢) اين مصدر الرواية.

(٣) «البرهان في تفسير القرآن»، ج٥، ص٦١٠: [١٥]- وعنه، قال: حدثنا أحمد بن محمد عن أحمد بن الحسن قال: حدثني أبي عن حصين بن مخارق عن أبي حمزة عن أبي جعفر عن أبيه علي بن الحسين عليهما السلام عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: قوله تعالى: وَمِزاجُهُ مِنْ تَسْنِيم، قال: «هو أشرف شراب في الجنة، يشربه محمد وآل محمد» وهم المقربون السابقون، رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب والأئمة وفاطمة عليهم السلام [١٦]- وروي عنه عليه السلام أنه قال: «تسنيم: أشرف شراب في الجنة يشربه محمد وآل محمد صرفا ويمزج لأصحاب اليمين ولسائر أهل الجنة».

(٤) «تفسير نور الثقلين»، ج٣، ص ١٠: وبإسناده إلى اسحق القمى عن أبي جعفر الباقر عليه السلام حديث طويل يقول فيه عليه السلام: لما كان الله منفردا بالوحدانية ابتدأ الأشياء لا من شيء، فأجرى الماء العذب على أرض طيبة طاهرة سبعة أيام مع لياليها، ثم نضب الماء عنها فقبض قبضة من =

فاضل الطينة هو بقية الطينة، بقية العناصر، بقية الخصائص والميزات، وأما هم صلوات الله وسلامه عليهم فهم المقربون، لذلك إن شاء الله تعالى في المجالس الأخرى نتكلم عن أهل البيت عليهم السلام وسورة الواقعة، لماذا كان اسمها سورة علي وأبناء علي؟ ذلك لأن سورة الواقعة تقسم الناس تقسيمات واقعيّة وحقيقية تتناسب وعالم الواقع، فعند التقسيم بحسب الواقع الصرف يُعطى أهل البيت عليهم السلام مقاماً آخراً. أما هنا في هذه السورة - سورة الإنسان - ليس الكلام عن مقامات أهل البيت عليهم السلام وإنما عن المناخ العائلي، الفضاء المنزلي، الشؤون والممارسات الأسرية الحياتية التي ترتبط بأهل البيت عليهم السلام. لذلك فإن الأبرار من الدرجة الأولى هم آل محمد صلوات الله عليهم، وشيعة آل محمد أبرار من الدرجة الثانية جاء في زيارة سلمان المحمدي «**السلام عليك يا بقية الله من البررة**» المفاتيح ص٥٦٧ وهنا الآيات تتكلم.

والاوصاف تشمل ايضا (فضة) خادمة الزهراء عليها السلام فالكلام عن سطح وسقف هذا البيت بما في ذلك من ارتبط بهم، فالكلام هنا عن صفات الأبرار وهذه ليست كثيرة على أهل البيت عليهم السلام، ففي الرواية أن الإمام الحسين عليه السلام عندما وصل

= صفاء ذلك الطين وهي طينتنا أهل البيت، ثم قبض قبضة من أسفل ذلك الطينة وهي طينة شيعتنا ثم اصطفانا لنفسه...

«تفسير نور الثقلين» ج٥، ص ٥٢٩: في أصول الكافي عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد عن محمد بن خالد عن أبى نهشل قال: حدثني محمد بن إسماعيل عن أبى حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ان الله خلقنا من أعلى عليين وخلق قلوب شيعتنا مما خلقنا، وخلق أبدانهم من دون ذلك فقلوبهم تهوى إلينا لأنها خلقت مما خلقنا، ثم تلا هذه الآية ﴿كَلَّا إِنَّ كِتابَ الْأَبْرارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَما أَدْراكَ ما عِلِّيُّونَ كِتابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ وخلق عدونا من سجين، وخلق قلوب شيعتهم، مما خلقهم منه وأبدانهم من دون ذلك، قلوبهم تهوى إليهم لأنها خلقت مما خلقوا منه ثم تلا هذه الآية ﴿كَلَّا إِنَّ كِتابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ وَما أَدْراكَ ما سِجِّينٌ كِتابٌ مَرْقُومٌ﴾.

تفسير علي بن إبراهيم (القمي) ج٢، ص ٤١١: قال حدثني أبي عن محمد بن إسماعيل عن أبي حمزة عن أبي جعفرع قال إن الله خلقنا من أعلى عليين وخلق قلوب شيعتنا مما خلقنا منه وخلق أبدانهم من دون ذلك فقلوبهم تهوي إلينا لأنها خلقت مما خلقنا منه ثم تلا قوله: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتابَ الْأَبْرارِ لَفِي عِلِّيِّينَ إلى قوله يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾.

«الشيعة في أحاديث الفريقين»، السيد مرتضى الأبطحي، ص٥١٣: الشيخ جعفر التستري: الصادق عليه السلام قال: «شيعتنا منا وقد خلقوا من فاضل طينتنا وعجنوا بنور ولايتنا...».

إلى الثعلبية وهو يريد كربلاء لقي رجلاً، فسأله الإمام: من أي البلاد أنت؟ قال: من أهل الكوفة، قال الإمام عليه السلام: أما والله يا أخا الكوفة لو لقيتك بالمدينة لأريتك أثر جبرائيل عليه السلام من دارنا ونزوله بالوحي على جدي...[(١)]

السقف الأخلاقي لكل بيت:

كل بيت له سقف أخلاقي وممارساتي خاص به، نلاحظ بعض الأسر مثلاً يفتحون التلفزيون على أي قناة.. المسألة عندهم عاديّة جداً فلا يوجد ضابط ولا سقف معين لما تقع عليه الباصرة، أو لا يوجد سقف لما تسمع الأذن، أو لا يوجد سقف لما يدور من كلام في هذا البيت. أو قد يكون هناك سقف وسد سلبي وهو سبب للنقص والمحدودية وضيق الأفق وضحالة الإناء، من نوع السقوف التي يقول عنها لله تعالى **﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾**[(٢)].

قد يتساءل الإنسان: لماذا لا ندرك بعض الأمور، لماذا لا نتفاعل معها؟ ذلك لأنه قد جُعل دونها سدّ منذ الطفولة، من هنا جاءت الروايات التي تتكلم عن كراهية اقتناء التصاوير للأطفال.

بل إنّ بعض الألفاظ لا يجوز شرعاً قولها للطفل.. لماذا؟! وماذا تفعل هذه الألفاظ؟! الجواب: هذه الألفاظ تمس بُعد الحياء والعفة لدى الطفل، فهناك الكثير من الأمور التي إذا تعود عليها الإنسان فإنه يفقد ثقله واتزانه وصفاءه الباطني، ويفقد طهارته وعمق نظرته وحدّة بصره ورهافة سمعه.

السميع البصير والابتلاء الإلهي:

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ «سميعاً بصيراً» صفة مبالغة تفيد أعلى حد في السمع وأعلى حد في البصر، لم تقل الآية

(١) «منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل»، الشيخ عباس القمي، ج١، ص٦٠٥.
(٢) يس: ٩

«سامعاً مبصراً» وإنما قالت «سميعاً بصيراً» فما الفرق؟

الجواب: السمع والبصر هما منفذان أساسيان للمعرفة، الإنسان في الغالب بسبب انكبابه على الحياة المادية يستخدم سمعه وبصره فقط لقضاء حاجاته المادية فإذا أراد أن يشتري ثوباً مثلاً فإنه يستطيع أن يميّز، وإذا أراد أن يفهم الأمور الاجتماعية يفهمها، فسمعه يعمل بهذا المقدار فقط، لكنه لا يرقى إلى درجة أن يكون سمعه رهيفاً بحيث يدرك الواقع والحقيقة التي وراء عالم المادة وبحيث يتأمل فيما يسمع حتى ينتفع بما يسمعه في مورد الابتلاء الإلهي ويستفيد منه في الدخول في الابتلاءات الدنيوية، وفي النجاح في الامتحانات اليومية.

في الحقيقة لا يكفي أن يكون الإنسان سامعاً مبصراً. إذا استخدم الإنسان سمعه وبصره في حاجاته المحدودة فقط وفي حدود سطحية غير عميقة، وفي حدود حاجاته الغريزية أي ليبيع ويشتري ويتزوج ويقترن ويعاشر... فإنه لا يسمى سميعاً بصيراً. لأنّ «سميعاً بصيراً» تفيد العمق والدقة في متابعة المسموعات والمبصرات. لذلك لاحظوا أن الله تعالى عندما يتكلم عن أهل النار يقول: ﴿**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾[1] لماذا يقولون هكذا؟ ليس غرضهم أنهم لا يستطيعون السمع، لا.. فهم يسمعون لكنهم لم يستخدموا السمع بحيث يكون نجاة لهم من الأخطاء ومن الشبهات، يعني لم يستطيعوا تصويب سمعهم بالاتجاه النافع المفيد.

(السميع) هو الذي يستطيع أن يصوّب مسامعه فيصل إلى قلب الهدف فيسمع الحق ويتبعه. السميع هو صاحب الحس المرهف الذي لا يكتفي بسماع القضايا الحياتية المستهلكة، لأن هذا لا يعينه في الدخول في امتحاناته الكبرى، والتي لا يهيئه لاتخاذ المواقف التي تتناسب وإنسانيته.

لقد خلق الله تعالى الإنسان ليبتليه[2]. يعني أنّ كل لحظة من حياته هي لحظة

---

(١) الملك: ١٠

(٢) ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (الملك: ٢).

ابتلاء، الإنسان في الواقع لا يفرغ ثانية واحدة من الابتلاء. يقول الفقهاء إنّ التكليف والابتلاء متداخلان، فما دام الإنسان مكلفاً فهو في غرفة الامتحان. ورد مثلاً في بعض الروايات أنه من نظر إلى مؤمن نظرة رحمة أُخِذ به إلى ساق العرش، ومن نظر إلى مؤمن نظرة يخيفه بها أخافه الله عز وجل يوم لا ظل إلا ظله[1].

قد نتساءل: من هو الإنسان البصير؟ ليس شرطاً أن يعرف البصير الأشياء عن طريق بصره المادي فقط، بل قد يعرفها عبر الإلهام، أو عبر الوحي. بصير بالأمور يعني أنه يستطيع أن يصل إلى كبد إلى حقيقة هذه الأمور.. والإنسان يطلب الواقع بالضرورة. وآل محمد عليهم السلام وصلوا ببصرهم إلى درجة اتصلوا بها بأظرف الأمور وهو الوحي، وذلك لأنهم لم يوقفوا أسماعهم على قضاء حاجاتهم المادية. لنستمع إلى الأمير عليه السلام وهو يتحدث عن المتقين.. إنه يقول: «**وقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم**»[2] يعني أنهم يجيزون لأنفسهم سماع الشيء الذي يفيدهم علمياً ويرقيهم، أما ما لا ينفعهم ولا يرقيهم فهم لا يسمعونه،

تعبير الأمير بالوقف.. الوقف من احكامه انك لا تستخدم الشيئ الموقوف في غير ما اوقف له من اغراض. إذا ما اوقف الإنسان بيتا لغرض معين.. هل يصح ان نستخدمه لغرض اخر؟؟؟

المتقون الواعون المدركون لقيمة السمع والبصر أوقفوا قواهم على العلم النافع لهم لأن الطريق إلى النجاح في الامتحان في الابتلاءات والطريق إلى عدم الغرق في هذه الدنيا هو نجاح هاتين الحاستين (السمع والبصر). (لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير) لقد ورد في الدعاء «**واجعل سمعي وبصري الوارثين مني**» فما دام السمع والبصر بخير فالطريق إلى قمة الكمال مفتوح.

---

(١) «الكافي»، الشيخ الكليني، ج ٢ / ص ٣٦٨: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من نظر إلى مؤمن نظرة ليخيفه بها أخافه الله عز وجل يوم لا ظل إلا ظله.

(٢) «نهج البلاغة» تحقيق الدكتور صبحي الصالح، ص٤٠٩ / خطبة ١٩٣ يصف فيها المتقين: غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم.

الفلاح في الامتحان بإرهاف السمع وحدة البصر:

قد يقول بعض الناس هل خلقنا الله تعالى لنكون كلنا علماء؟! إحدى الأخوات تقول: هل خلقنا الله سبحانه وتعالى لكي نسمع العلم ليلاً ونهاراً، هذا شيء ممل ومتعب!

أتعرفون متى يكون هذا الشيء متعباً ومملاً؟! عندما تكون السامعة قد جُعل فيها سدود، يعني هي تسمع قضايا كثيرة وقد استهلكت فيما لا يفيد، وتعتقد أنها تتنفس بهذا السماع. لكن الإنسان الذي يملك حسّا مرهفاً يلحظ أنه إذا سمع شيئا غير ذكر الله تعالى فإنه لا ينسجم مع فطرته ووظيفته. يقول الإمام زين العابدين عليه السلام «**واستعملني بما تسألني غداً عنه**»[1] يعني أن هناك شيئاً واحداً يُسأل عنه الإنسان. والسائل واحد هو الله تعالى «**يا من يسأل ولا يُسأل**»[2].

هناك مسؤولية واحدة إذا قام بها الإنسان إذا أداها الإنسان سوف لا يسأل عن غيرها، لهذا فإن إيقاف السمع والبصر على المسؤولية الأساسية سيُشعر الإنسان بأنه لبى حاجته الواقعية. فالإنسان إذا قام بوظيفة عبادية أو أخروية أو خدمة واقعية فإنه يشعر في أعماقه أنه كبُر، وقد أشرنا إلى هذه النكتة - في محاضرات الحج وكانت عن التكليف ومعنى التكليف - وقلنا إن الإنسان في أعماقه يعرف أنه مكلف، فكل عمل يقوم به وهو في الواقع ليس مورداً لتكليفه فإنه يشعر بلغويّة هذا العمل ولهويّته وأنه لا فائدة منه، فما الذي يوصل الإنسان إلى هذه المسألة؟! الجواب: كلما كان الإنسان أرهف سمعاً كلما برزت له وظائف تتناسب مع إنسانيته، فتجده يرى نفسه مسؤولاً عن ذاته وعن إصلاح نفسه ومسؤولاً عن الآخرين ومجتمعه ووضعه، ويرى أنه محتاج أن يتعلم أكثر وهذه مسيره لا تتوقف مادام الإنسان في دار الابتلاء والامتحان ومجهولات الإنسان أكثر بكثير من معلوماته..

متى تشعر الأم بأنها يجب أن تتعلم؟! إذا حدثت عندها مشكلة في البيت ولم

---

(١) «الصحيفة السجادية»، دعاء مكارم الأخلاق: «واكفني ما يشغلني الاهتمام به، واستعملني بما تسألني غداً عنه واستفرغ أيامي فيما خلقتني له».

(٢) «مفاتيح الجنان»، ص ١٣٧، دعاء الجوشن الكبير، المقطع ٥٠.

تستطع حلها. لكن قبل أن تقع المسؤولية الكبرى فإن الإنسان لا يشعر أنه بحاجة إلى رصيد وذخيرة الا في الشدة. فالثروة المعنوية تتأسس مع الإحساس بالمسؤولية والطريق الطبيعي لتكوينها حاستي السمع والبصر لانهما قنوات لعبور المعاني والعلوم والمعارف عبر السمع وعبر البصر، يعبر الإنسان المحيطات والمجرات ويخرق حجب المادة لذلك هؤلاء صلوات الله وسلامه عليهم هم الذين فلحوا في الاستفادة من السمع والبصر، فسمعهم كان أرهف من الناس بحيث يسمعون ما يجري في السماء عند ملائكة الله تعالى، حاجات الناس، ما يجري في ضمير الناس. فهناك روايات كثيرة تقول أن الأئمة عليهم السلام يعرفون حاجاتكم قبل أن تنطقوا بها[1].

لذلك السميع والبصير دائماً يقدم في الابتلاء باختياره وانتخابه بوعي ويقضه ويؤدي أفضل النتائج. إذاً يفترض على الإنسان أن لا يستخف بنعمة سمعه وبصره، لذلك إذا قال الإسلام أن الغيبة حرام ولها كثير من الآثار والاستخفاف بالآخرين له الكثير من المضار فهذا حديث عن حقائق واقعية.

السمع والبصر وفتح أبواب الهداية:

﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾ كلما تفتحت آفاق السمع والبصر -أي أصبح هناك قدرة وإمكانية للسمع والبصر الباطني- كلما امتلك الإنسان أنواعاً وألواناً من الهداية وأستطاع أن يدخل في عالم الهداية أكثر. فقابليات الإنسان عجيبه حتى القابليات الجسدية فضلا عن الروحية ولكن المتقين الواعين الصالحين.. الراشدين.. كشفوا عن قابلياتهم وقدراتهم واستفادوا من نعم الله عليهم.. يعلمنا علماء التربية أن قابليات الإنسان تقع ضمن

---

(١) على سبيل المثال: الرواية الواردة في كتاب «الشيعة في أحاديث الفريقين»، السيد مرتضى الأبطحي، ص ٥١٣، الشيخ جعفر التستري: الصادق عليه السلام قال: شيعتنا منا وقد خلقوا من فاضل طينتنا وعجنوا بنور ولايتنا، رضوا بنا أئمة ورضينا بهم شيعة، يصيبهم مصابنا وتبكيهم مصائبنا ويحزنهم حزننا ويسرهم سرورنا، ونحن أيضا نتألم بتألمهم ونطلع على أحوالهم، فهم معنا لا يفارقونا ونحن لا نفارقهم، اللهم إن شيعتنا منا! فمن ذكر مصابنا بكى لأجلنا استحيا الله أن يعذبه بالنار.

الشرائط التي تحيط به.

والذي يبحث عن رغباته ويدور في دائره مشتهياتها فهو لا يكتشف قابلياته الا بمقدار ما يتمتع به من ظاهر الامور.. «**من اتقى الله اربعين صباحا فجر الله ينابيع الحمه في قلبه**».. عالم الهداية والاستفادة من الهداية الالهية بالنسبة للإنسان تعتمد على نجاحه في استخدام سمعه وبصره وبالتالي بصيرته فيما خلق له.

الهداية على أقل تقدير خمسة أنواع، لست بصدد شرحها الآن لأن لها مطالب كثيرة يطول شرحها، لكن إجمالاً هناك هداية تكوينية، هداية إلهامية، هداية فطرية، هداية للحواس الباطنية هداية عقلية، هداية عبر الاتصال بالوحي.

نتساءل أحياناً لماذا لا نتصل بالعالم في الأفق الآخر؟! لماذا لا نعلم الغيب؟! لماذا لا نرى مثلاً حضور السيدة الزهراء عليها السلام؟! وجواب هذا التساؤل لأنّ السمع والبصر محدود، ولأن السمع والبصر إلى الآن لم يصلا إلى المرتبة الراقية التي أودعها الله تعالى في الإنسان. ألا ترون أن بعض الأجواء الاجتماعية والبيتية هي في الحقيقة تسبب كدورة وضيق وضنك.. لماذا؟! لأنها تفتح أبواباً تركز همة الإنسان على الدنيا والوانها وزبارجها وزخارفها فيشتغل قلبه بما تراه عينه فتفتح ابواب ومنافذ للاوهام والشبهات الروحية والفكريه وتغلق أبواباً من الهداية على الإنسان.

بيت علي عليه السلام بيت الهداية والتوحيد:

ماذا لو هيأ الله لإنسان ما العيش في ظرف تفتّحت فيه كل هذه الإمكانيات البشرية وهذه الأنواع من الهدًاية؟ إذا عاش الإنسان في مناخ بيتٍ الكلام فيه يوافق هذه الهداية ويدور مدار هذه الهداية، أسلوب المعايشة والمعاشرة والتعاطي فيه كله يفتح أبواباً من الهداية. القران عما يتحدث عن الحركات العادية اليومية والسلوكيات والممارسات في بيت ال النبي صلى الله عليهم أجمعين.. تتحول إلى عباده.. بل هم يتذرعون بكل شيء لعباده الله هؤلاء في صلواتهم دائمون.

الروايات تفيد أن كمال الإنسان في معرفته بالله تعالى، فإذا أردتم أن تعرفوا شخصية ما، أولاً أنظروا كم هي معرفتها بالله تعالى. رأيت أكثر من رواية تقول أن

أحدهم يسأل الإمام الحسين عليه السلام عن الله تعالى ووحدانيته، فيجيبه الإمام الحسين عليه السلام، فيلتفت الإمام الحسين عليه السلام وإذا السائل يبكي، فيقول له الإمام عليه السلام: ما يبكيك؟ فيقول: يا بن رسول الله من حسن وصفك.. يعني من يتربى وهو يعرف الله تعالى إلى هذا الحد اللامتناهي، ويكون قريباً من معرفته إلى هذا المستوى الراقي فإنه يعشقه.

ورد في الروايات أنّ أصحاب الإمام الحسين عليه السلام لم يكونوا يجدون أنفسهم إلا بالقرب من الإمام الحسين عليه السلام. هذه رواية أوردها على سبيل الاستشهاد، في ليلة العاشر بعد أن أعطى الإمام الحسين عليه السلام الإذن لأصحابه وأبناء عمومته بالانصراف، ماذا قالوا له؟؟ قالوا: لا نفارقك، ويحزننا ما يحزنك ويصيبنا ما يصيبك وإنا أقرب ما نكون إلى الله إذا كنا معك[1].

زينب عليها السلام زائرة الحسين عليه السلام وهو حي!!

لابد أن نقف على قول الأصحاب «**إنا أقرب ما نكون إلى الله إذا كنا معك**»، جملة لابد أن نوظفها فيما نرمي إليه.

لاحظوا الفرق بين زيارة الإمام الحسين عليه السلام بعد شهادته وزيارة الإمام الحسين عليه السلام في حياته. هذه المسألة تحتاج إلى ظرافة. التفتوا إلى كلام رسول الله صلى الله عليه وآله حين يريد أن يقرب أثر زيارته بعد وفاته فيقول: «**من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي**»[2] وذلك يعني أنّ الأصل هو زيارة الحي ولكن في خصوص

---

(١) «موسوعة كلمات الحسين عليه السلام»، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم، ص٤١٨: ولما امتحن الحسين عليه السلام، قال لعسكره: أنتم في حل من بيعتي فالحقوا بعشائركم ومواليكم. وقال لأهل بيته: قد جعلتكم في حل من مفارقتي، فإنكم لا تطيقونهم لتضاعف أعدادهم وقواهم، وما المقصود غيري فدعوني والقوم. فإن الله عز وجل يعينني ولا يخليني من حسن نظره كعادته في أسلافنا الطيبين. فأما عسكره ففارقوه، وأما أهله والأدنون من أقربائه فأبوا وقالوا: لا نفارقك ويحزننا ما يحزنك، ويصيبنا ما يصيبك، وإنا أقرب ما نكون إلى الله إذا كنا معك.

(٢) «نقد بر آيين وهابيت»، ص١٢٩: الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: من حج فزار قبري بعد وفاتي كمن زارني في حياتي. كذلك في كتاب الغدير عن الرسول صلى الله عليه وآله: من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي.

رسول الله وأهل البيت عليهم السلام الأمر يختلف. «**من زار قبر الحسين عليه السلام يوم عاشوراء عارفاً بحقه كان كمن زار الله عز وجل في عرشه**»(١) إذا كان هذا أثر زيارته عليه السلام بعد موته فكيف بمن يزور الإمام الحسين عليه السلام وهو حي ويتحدث ويناقش ويجيب على الأسئلة ويلطف، هذا ماذا يزور؟!

لماذا نجد عند الشيعة إصرار على زيارة الإمام الحسين عليه السلام؟! ذلك لأن زيارته عليه السلام تغيّر حال الإنسان. عندما نرى أرواحنا قاسية لا نعلم ما بها، عندما نرى معالجة قلوبنا صعبة لا نعلم ما السبب. أكثر هذه الأسباب هي لحرماننا من زيارة الإمام الحسين عليه السلام. ذكرنا بالأمس هذه الرواية «**بنا قصّر الله الطريق**» فالإنسان إذا دخل حضرة أحد المعصومين عليهم السلام ألا يرى حاله يتغير؟ عند الإمام الحسين عليه السلام الحال كله يتغير، لذلك نرى كل هذا التشبث بالإمام الحسين عليه السلام.

إذا أردنا أن نعد زيارات زينب للإمام الحسين عليه السلام ونحصي آثارها فهل يمكننا ذلك؟! فبالله ماذا كانت ترى؟! الله تعالى وحده أعلم!!

زينب عليها السلام القرآن الممثّل:

زينب عليها السلام أدركت التوحيد منذ نعومة أظفارها. ادركت التوحيد وظل التوحيد.. ولاية الله وظل الولاية.

هنا نذكر رواية سمعتموها وقرأتموها لكن نريد أن نلفت إلى معاني في هذه الرواية «أجلس أمير المؤمنين عليه السلام زينب وهي طفلة في حضنه وهو يلاطفها فقال لها: بُنيّة زينب قولي واحد، فقالت: واحد فقال لها: يا نور عيني قولي اثنين، فسكتت صلوات الله وسلامه عليها، فقال لها: تكلمي يا قرة عيني لاحظوا لم يقل لها قولي اثنين مرة أخرى، قال لها تكلمي فهو يريد أن يعرف لماذا لا تريد أن تقول، فالأمير عليه السلام كان يريد أن يرى زينب عليها السلام إلى أي مرحلة وصلت من العرفان، إلى أي مرحلة وصلت من الانقطاع إلى الله تعالى، يريد أن يرى هذه الطفلة كم نجحت - فقالت:

---

(١) «الإقبال بالأعمال الحسنة» لابن طاووس ج ٣ / ص ٦٤، فصل في فضل زيارة الحسين عليه السلام.

يا أبتاه لا أطيق أن أقول اثنين بلسان أجريته بالواحد. فضمها أمير المؤمنين عليه السلام إليه وقبّلها بين عينيها»[١].

ما معنى الإجراء (أجريته بالواحد)؟ الماء عندما يجري بلا تكلف كل ذكر لغير الواحد لا يطاق.

الله ما أروعها عبارة وأبلغها عند أهلها.

وكل ما اتصل به، لسان زينب عليها السلام عندما يجري عليه ذكر الواحد فإنه ليس فقط ذكراً لسانياً. يقول الإمام زين العابدين «**وتحمدك نفسي ولساني وعقلي حمداً يبلغ الوفاء وحقيقة الشكر، حمدا يكون مبلغ رضاك عني، فنجني من سخطك**»[٢]. يعني أن قول زينب «واحد» قد جرى مجاريه أولاً في العقل وفعّل مفاعليه في القلب من التجلّيات والبروقات. هل تعلمون لو أراد شخص أن يفسر هذه الرواية ماذا يحتاج وبلا مبالغة؟! يحتاج إلى دوره في الحكمة المتعالية! ودوره كاملة في علم النفس!

عندنا مقوله تقول أنه إذا خرج الإمام (عج) قرأ للناس مقتلاً جديداً، يقول الإمام زين العابدين عليه السلام «**ما قلناه لكم ليس إلا عشر معشار ما جرى على الحسين**» هل تعلمون أن ما نعلمه من مصيبة الإمام الحسين عليه السلام بالقياس إلى ما سوف يتحدث عنه الإمام عليه السلام ليس إلا كنقطة من بحر. لو تحدثنا عن هذه المصيبة من اليوم ولمدة عشر سنوات بكل العلوم التي نملكها من آيات وروايات وقرآن ودراسة سوف لن ننقل إلا شيئاً قليلاً مما رأته زينب عليها السلام. ما أريد أن أقوله هنا هو أن هذه الرواية التي

---

(١) «زينب الكبرى من المهد إلى الحد»، السيد محمد كاظم القزويني، ص ٤٧، نقلا عن كتاب «زينب الكبرى» للنقدي، ص ٣٤: أن والدها أجلسها في حجره ـ يوم كانت طفلة وبدأ يلاطفها، وقال لها: بنية قولي: واحد. فقالت: واحد. قال: قولي: اثنين، فسكتت! فقال لها: تكلمي يا قرة عيني. فقالت: يا أبتاه ما أطيق أن أقول اثنين بلسان أجريته بالواحد. فضمها إلى صدره وقبلها بين عينيها.

(٢) «الصحيفة السجادية الجامعة» السيد محمد باقر موحد الأبطحي، دار الصفوة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ/ ص ٣٧٧.

قرأتها تحتاج في تفسيرها إلى علوم كثيرة لا أمتلك أنا هذه الكفاءة والإمكانية بل ولا حتى ربعها أو عشرها. يقول أمير المؤمنين عليه السلام وهو يصف الموحّدين: «**وبرق له لامع كثير البرق**»(١)، وقد ورد عندنا في المناجاة الشعبانية الواردة عنهم صلوات الله وسلامه عليهم: «**حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور**»(٢).

تقول زينب عليها السلام هذا اللسان الذي جرى عليه هذا الجريان لا يطيق أن يقول اثنين. لاحظوا ردة فعل الأمير عليه السلام: فضمها إليه وقبّلها بين عينيها، هذه الحركة حركة رسول الله صلوات الله عليه مع الصديقة الزهراء سلام الله عليها. عندنا رواية لطيفة تقول أن زينب عليها السلام إذا دخلتْ على الحسين عليه السلام وهو يقرأ القرآن وضع القرآن على الأرض وقام لزينب عليها السلام وقبّلها على رأسها (٣)، لماذا؟ لأنها القرآن المجسد والمتمثل. الشهيد الصدر- قدس سره الشريف - يقول: يستحيل أن تخلو الأرض من قرآن ممثَّــل. هل تعرفون لماذا؟ لأنه ليست النظريات هي التي تجذب الإنسان إلى الدين، وإنما ينجذب الإنسان إلى الدين عندما يتجسد الدين ويتمثل القرآن الكريم.

جرح العقول بمصاب آل الرسول:

لاحظوا نحن كم نحب أهل القرآن، ومن يقرأ القرآن ومن يفهم القرآن ويعرفه كم يكون له مكان في القلب، فكيف بمن جرى القرآن في أنفسهم واندكوا في القرآن، فاستطاعوا أن يكونوا قرآناً ممثلاً، كم يكون لهؤلاء مكان في الفؤاد؟

أخواتي نحن أحياناً نبكي على أهل البيت عليهم السلام لأنهم مظلومون ولم يُظلم

---

(١) «نهج البلاغة»: «قد أحيا عقله وأمات نفسه حتى دق جليله ولطف غليظه وبرق له لامع كثير البرق، فأبان له الطريق وسلك به السبيل وتدافعته الأبواب إلى باب السلامة ودار الإقامة وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الأمن والراحة، بما استعمل قلبه وأرضى ربه».

(٢) «مفاتيح الجنان»، ص ٢١٠ المناجاة الشعبانية «إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمة».

(٣) عندنا رواية لطيفة إذا دخلتْ زينب عليها السلام على الحسين عليه السلام وهو يقرأ القرآن وضع القرآن على الأرض وقام لزينب عليها السلام وقبلها على رأسها.

بشر مثلهم، ولكن إذا ترقينا أكثر تأملنا أكثر لا يكون بكاؤنا صرف التعاطف معهم بنا أنهم مظلومون، إنما يصبح عقلنا يبكي. ما هو بكاء العقل.. بكاء العارف «**عارفا بانك حجه الله وانك قتلت مظلوما**»، ﴿**تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ**﴾. وجداننا يبكي.. تصورنا يبكي:

لست أبكيك لجيّاش الحنين   لا ولا كي يرتضي قلبي الحزين

إنـــه جـــرح العقول   يـــا ثـنـا آل الرسول

أنـــا أبــكـــي مـقـتـل الـحـق المبين

كيف يدنو الذئب من أسـد الفلا   كيف يعلو الـنـاقـصُ المكتملا

حـكـم الـدهـر وجار   خـاض فـي عيب وعار

كيف تتعالى أدوَنُ البيوت على هذه البيوت الرفيعة التي أذنَ الله لها تكويناً بالعلو؟! هذا جرح العقول في الحقيقة.

في مثل هذه الأيام وفي مثل هذه اللحظات اجتمع على الإمام الحسين عليه السلام - على أقل الروايات- ثلاثون ألفاً.

هناك مسألة: القتل والقتال ليس عيباً «**القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة**» لكن هناك شيء ليس قتلاً، ونحن جرّبناه الآن، إنه الإرهاب!.

من عاش في أجواء العراق الان يدرك أن الإرهاب هو الذي يفتّ عضد الإنسان وليس القتل. ما جرى على أهل البيت عليهم السلام هو إرهاب وإرعاب، لذلك لاحظوا: «**أرعبت قلوب الفاطمياتِ**»[1] أليس إرهاباً أن ترى الفاطميات أن الصحراء تمتلئ جيشاً والعساكر.. على مدّ البصر.. منظر مرعب ورهيب.. كلهم يأخذ ثاراته من آل

(١) «منتهى الآمال» عباس القمي، ج ١ / ص ٦٣٨: ثم ضرب فرسه [الحر الرياحي] قاصداً إلى الحسين عليه السلام ويده على رأسه وهو يقول: «اللهم إليك أنبت فتب علي فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد بنت نبيك».

محمد صلوات الله عليهم؟.

ورد في الرواية أن سكينة عليها السلام عندما خرجت ورأت الأعداد الهائلة التي تجمّعت لقتل الحسين عليه السلام ذهبت إلى عمتها زينب باكية ناحبة، فتحدثت زينب مع الحسين عليه السلام وقالت له: يا أخي! ردنا إلى حرم جدنا. - زينب كانت تعلم أن واقعة كربلاء ستحدث ولكن لخوفها على الحسين عليه السلام كان لسان حالها يقول: ما المانع أن تتأجل، لأنّ الحدث إذا كان كبيراً فإن القلوب عادة تحاول أن تطرده عنها، فكأن زينب عليها السلام تحاول أن تطرد هذا الحدث بقلبها -، فقال لها عليه السلام: يا أختاه! ليس لي إلى ذلك سبيل[1].

ألا لعنة الله على الظالمين.

---

(١) «موسوعة كلمات الإمام الحسين»، ص٤٨٣، نقلًا عن الدموع الساكبة، ج ٤ / ص ٣٨١، أسرار الشهادة ص٢٦٨ «لما امتحن الحسين أصحابه وأذن لهم بالانصراف» قالت سكينة فو الله! ما أتم كلامه إلا وتفرق القوم من عشرة وعشرين فلم يبق معه إلا واحد وسبعون رجلاً فنظرت إلى أبي منكساً رأسه فخنقتني العبرة، فرأتني عمتي أم كلثوم فقالت: ما دهاكِ يا بنتاه! فأخبرتها الخبر، فعلا منا البكاء والنحيب، فسمع أبي ذلك فأتى إلينا يعثر في أذياله ودموعه تجري وقال: ما هذا البكاء؟ فقالت: يا أخي! ردنا إلى حرم جدنا. فقال عليه السلام: يا أختاه! ليس لي إلى ذلك سبيل.

خلاصة المحاضرة الخامسة

١- لولا تضحيات زينب عليها السلام ولولا أنها حملت في جوارحها وجوانحها أن توصل لنا الصورة الحسينية لما كان هناك طريق للحسين عليه السلام ولا لمعرفته.

٢- هذه المعرفة وهذا الحضور وهذه المشاعر ليست إلا نتاجاً ومحصولاً لأجيال وتاريخ مملوء بالدماء والتضحيات والجهود المتضافرة.

٣- أهل البيت عليهم السلام هم المقربون، والمقربون يشربون من تسنيم التي هي أعلى قمة في عالم إرواء الوجود الإنساني، سقاهم ربهم شراباً طهوراً وبلا واسطة.

٤- الأبرار من شيعة أهل البيت عليهم السلام يشربون من كأس كان مزاجها من تسنيم.

٥- الكلام في سورة «الإنسان» عن سطح وسقف وحدود بيت أهل العصمة والطهارة بمن فيهم المرتبط بهم كـ(فضة).

٦- السميع هو الذي يستطيع أن يصوّب مسامعه فيصل إلى قلب الهدف فيسمع الحق ويتبعه.

٧- الذي يستخدم سمعه وبصره في حاجاته المحدودة وبصورة سطحية لا يسمى «سميعاً بصيرا» ولا يستطيع خوض الامتحانات الكبرى بنجاح.

٨- الإرهاف في السمع وحدة البصر إلى حد تلقي الوحي يستلزم إيقافه على العلم النافع.

٩- الثروة المعنوية تتأسس مع الإحساس بالمسؤولية عبر السمع والبصر.

١٠- كلما تفتحت للسمع والبصر آفاق باطنية كلما امتلك الإنسان أنواعاً وألواناً من الهداية.

١١- زينب عليها السلام تفتحت في بيتٍ أسلوب المعايشة والمعاشرة والتعاطي فيه يفتح

كل أبواب الهداية.

١٢- المعرفة بشخصية الإنسان تكون بالنظر إلى مقدار معرفته بالله تعالى.

١٣- زينب عليها السلام تلقت في بيت علي وفاطمة عليها السلام أسمى معاني التوحيد، وقد جرى التوحيد على قلبها وعقلها ووجودها وفعل فيه مفاعيله!!.

١٤- الإنسان لا يتأثر بالنظريات كما يتأثر بالحس، فهو يتأثر بالقرآن الممثل والإسلام المتجسد في الأولياء الكُمّل لأنه يحس بذلك ويدركه عياناً وملامسة.

١٥- زينب عليها السلام كانت قرآناً متمثلاً متجسداً يقوم لها المعصوم عليه السلام إجلالاً وتعظيماً.

وسائط الفيض الإلهي

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾[1].

لا زال الحديث في مرحلة النماء والإنبات والرعاية العلوية والفاطمية، إذ إن التربية إنبات ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً﴾[2]. في هذا المحيط وفي هذا الفضاء العلوي الفاطمي نمت وترعرعت زينب عليها السلام.

بما أنّ القرآن الكريم هو الخطاب الأهم لما جرى ويجري وسوف يجري فهو يتحدث عن بيت علي وفاطمة عليهما السلام وعن محيط هذا البيت، وعن الممارسات والسلوكيات التي حولت العقائد إلى شؤون عائلية.

الإنسان إما شاكراً أو كفوراً:

سورة هل أتى حديث عن هذا المحيط، من ابتداء السورة، فهي تتحدث عن هذه الرحلة التكاملية في بيت علي وفاطمة عليهما السلام وكذلك البيوت التي توالي علياً وفاطمة عليهما السلام. لاحظوا أن السورة قسمت الناس إلى صنفين لا ثالث لهما ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾[3].

---

(١) سورة النور: ٣٧.
(٢) سورة نوح: ١٧.
(٣) سورة الإنسان: ٣ـ٢.

قد تقولون إن هذا التقسيم طبيعي، لكن إذا دققتم من جهة عملية تجدونه خلاف البديهة الموجودة عندنا. الإنسان يتصور أنه يمكن أن لا يتصف بصفات الكفور وأن لا يتصف بصفات الأبرار فيكون برزخاً بين الوصفين. إذا لاحظتم فالقرآن الكريم يؤكد أنه لا يوجد صنف ثالث. إن التقسيم في اللغة العربية إما هذا وإما ذاك. يعني أنه ليس هناك خيار لبيت أو لأسرة أو لشخص أن يقول: أنا لست من الكفار ومن الخارجين عن الخط كما أنني لا أستطيع أن أكون من الأبرار، فأنا لا من هؤلاء ولا من هؤلاء.

الأمور الواقعية الحقيقية تقول لنا أن الأمر ليس كذلك لأن الإنسان في ممارساته وفي أقواله وفي أفعاله وفي حركته لا بد أن يحدد أحد الشقين، إما مع هؤلاء أو مع أولئك، فمن خرج عن هؤلاء فإنه بالضرورة دخل في أولئك ومن خرج عن أولئك فهو بالضرورة دخل في هؤلاء. القرآن الكريم يؤكد هذه المسألة عند حديثه عن النفس وسلوك النفس، نجد القرآن يقول: ﴿**فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ**﴾[1] ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ**﴾[2] فليس عندنا شق هو ليس في الحسبان، أو شق مغفول عنه، شق لم يوصف ولم يفتح له الطريق بل كلا الشقين مفتوح لهما الطريق.

حدة البصر برؤية هذه الأنوار:

أول بذور وإمكانيات الهداية والارتباط هي هذه المنافذ الباطنية والروحية وهذه الطاقات وهذه الخزائن التي أودعها الله تعالى في النفوس، الناس معادن، الناس خزائن، الأنبياء والأولياء والصالحون هم الذين يستخرجون هذه الخزائن. كيف تستثمر هذه الخزائن؟ عبر منفذين ﴿**سَمِيعاً بَصِيراً**﴾، السمع والبصر آلتا العلم والمعرفة.. فالإنسان يقرأ ويسمع بهما.. بالطبع قصدنا الإنسان الطبيعي فإذا كان الإنسان يستخدم سمعه في الوصول للحقائق القيمة فهو سميع، وإذا اهتدى إليها

---

(١) سورة هود: ١٠٥ـ١٠٦.

(٢) سورة هود: من الآية١٠٨.

فهو بصير وأما إذا استخدمها في أمور ليست أصلية، وليست هي مسؤوليته، فهو في الحقيقة مصداق لـ﴿**لَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا**﴾[1] إنهم يملكون آلات السمع لكن ليست المسألة في آلات السمع، المسألة في المسموع ما هو؟!

في أي شيء استخدمت هذه الآلة..

فإذا كان الإنسان سميعاً أي يستطيع أن يسمع بإدراك ووعي فسوف يصل إلى أكبر نتيجة في هذا الكون وهي وحدانية الله تعالى، وحضور الله تعالى، فالذي يسمع ويبصر ولكنه لم يصل إلى وحدانية الله تعالى ولم يدرك حضور الله تعالى في كل ذرات هذا الكون فهو في الحقيقة لم يسمع.

إنّ الماء الذي يجري في الأرض يسبّح بحمد الله، الهواء، البر، البحر، الحيوان، النبات.. كلها توحّد الله تعالى. كلها تعترف لله بالتوحيد وهي عندما تعترف لله بالتوحيد فهي تعترف لأولياء نعمتها بأنهم أولياء نعمتها، فإذا وصل الإنسان إلى قدرة على السمع، واستفاد من السمع والبصر - سواء بالتأمل العميق او الكشف والشهود- استفادة عميقة سوف يرى أن كل هذه الموجودات تدرك ولي نعمتها.

لا يمكن أن يصل الإنسان إلى الله تعالى ولا إلى أي فضيلة بدون أهل البيت عليهم السلام «**إن ذُكر الخير كنتم أوله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه**»[2] يعني أي شيء يذكر من الخير.. أخلاق، فضيلة، عقيدة، عمل، أحاسيس، مشاعر، إدراك، انبعاث باتجاه شيء، انقباض عن محرم - فالانقباض عن المحرم خير والانبعاث للأعمال الواجبة خير والمستحبات خير- فأنتم أوله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه.

ما أريد أن أصل إليه هو أن العارف يرى أوّلاً أنوار آل محمد صلوات الله

(١) سورة لأعراف: من الآية١٧٩.

(٢) «مفاتيح الجنان»، عباس القمي، ص٦٢٥، الزيارة الجامعة.

عليهم ثم بعد ذلك يرى المبصر، فعلامة رهافة الحس وعلامة شدة البصر هي رؤيا هذه الأنوار. عندنا روايات عن أمير المؤمنين عليه السلام مفادها: «**معرفتي بالنورانية معرفة الله عز وجل، ومعرفة الله عز وجل معرفتي بالنورانية**»[1]. فمعرفة الله تعالى هي معرفة علي عليه السلام بالنورانية ولا أريد أن أدخل في أبحاث مفصلة، أنا فقط أستعرض روايات، لأنّ الاستفادة - في جمع كهذا - من الروايات أسهل من الاستفادة من المطالب المبرهنة.

أهل البيت عليهم السلام الواسطة التي لا تنفك!!

أقصر طريق لفهم هذه الحقيقة، هو أننا ندرك ونؤمن وقد تلقنا في التلقينات الشرعية أن آل محمد هم الواسطة.

الآن أريد منكم أن تفرقوا بين الوسائط من جهة عقلية. هناك واسطة توسُّطها توسط آلي، (السيارة) مثلاً واسطة توصلك إلى المدينة، وعندما تصل إلى المدينة فأنك تستغني عنها، فالعلاقة بينك وبين هذه الواسطة علاقة منفصلة فليس لها اتصال بك وليس لها ارتباط بذاتك، وليس لك تعلّق واقعي بها وليس لها تعلق واتصال بالهدف، لها في الحقيقة صرف الواسطة الآلية فقط. هذه آلة.. لكن هناك واسطة أرقى قليلاً، (الماء) مثلاً واسطة الإرواء وعلّة الإرواء ولكن هل يمكن للماء أن لا تذوب فيه ويذوب فيك ويبقى واسطة؟! أو هو في الحقيقة واسطة بشرط الذوبان

---

(١) «بحار الأنوار» العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ١٤٠٤ هـ، ج٢٦، ص١:
...ثم قال صلوات الله عليه: يا سلمان ويا جندب! قالا: لبيك يا أمير المؤمنين. قال عليه السلام: إنه لا يستكمل أحد الإيمان حتى يعرفني كنه معرفتي بالنورانية، فإذا عرفني بهذه المعرفة فقد امتحن الله قلبه للإيمان وشرح صدره للإسلام وصار عارفا مستبصرا، ومن قصر عن معرفة ذلك فهو شاك ومرتاب. يا سلمان ويا جندب. قالا: لبيك يا أمير المؤمنين. قال عليه السلام معرفتي بالنورانية معرفة الله عز وجل ومعرفة الله عز وجل معرفتي بالنورانية، وهو الدين الخالص الذي قال الله تعالى ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (البينة: ٥) يقول: ما أمروا إلا بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وهو الدين الحنيفية المحمدية السمحة وقوله ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ فمن أقام ولايتي فقد أقام الصلاة، ولايتي صعب مستصعب، لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد مؤمن امتحن اله قلبه للإيمان...

في بدنك؟! متى يحدث الإرواء؟! الإرواء يحدث بشرب الماء، لكن هل يمكن التفكيك بينك وبين الماء؟! إذا كان هناك تفكيك لا يكون هناك إرواء، فالإرواء لا يتحقق إلا بهذا الربط والاندكاك.

الآن كلما ترتقون أكثر يكون هناك اندكاك بين الواسطة وبين المتوسط. لنأخذ مثلاً آخر، المعلّم الذي تأخذ منه معارفك وعلومك دائماً، الرابط بينك وبينه وبين هذه المعارف التي في قلبه ونفسه وفؤاده، هل يمكن أن تنفصل عنها أم أنك تأخذها وتذوب فيها؟!

هذه الواسطة هي نوع من الوسائط لا ينقطع بعد الوصول إلى الهدف، بل كلما مشيت أكثر كلما توضّحت لك الواسطة أكثر، كلما تجردت اكثر سترى ان هناك وسائط لايمكن ان تنفكأ. فهم عليهم السلام ليسوا واسطة مفصولة عن النتيجة التي تنتهي لها أنت، لا، الواسطة هي عين النتيجة وهي عين الهدف الذي سوف تصل إليه. هذه الواسطة كلما ازددت غرفاً منها فإنها تزداد ذوباناً فيك، فلا يوجد انفصال وانفكاك بين هذه الواسطة وبينك، ثم إنّ هذه الواسطة ليست تشير فقط إلى الطريق إلى الله تعالى بل إنك لا يمكن أن ترى الله تعالى إلا عبر هذه الواسطة.

أنوار أهل البيت صلوات الله عليهم في قلوب المؤمنين:

موقع أهل البيت والأئمة عليهم السلام في قلوب المؤمنين موقع ذوبان وحضور وتجلي. يقول الإمام الباقر عليه السلام: «**لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار وهم والله ينوّرون قلوب المؤمنين**»[1].

نحن في المناجاة الشعبانية نخاطب الله سبحانه وتعالى فنقول «**وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمة**»[2] هنا نتساءل هل يمكن للإنسان أن يخرق أنوار آل محمد صلوات الله وسلامه عليهم ويصل إلى الله تعالى أو لا يمكنه ذلك؟؟ ونحن نجيب: إنّ كل نور

(١) «الكافي»، الشيخ الكليني، ص١٩٤.
(٢) «مفاتيح الجنان»، عباس القمي، ص٢١٠، المناجاة الشعبانية.

في قلب الإنسان فهو منهم، وعادةً النور الأقوى هو الذي يخرق النور الضعيف. **«ومترجما لكتابك وصادعا بامرك.. وحجتك على خلقك ونورا تخرق به الظلمه»** زيارة الامام الجواد صلوات الله عليه.

أخلاقنا إذا كانت مستقيمة وصالحة فهي نور، عقائدنا إذا كانت صحيحة وسليمة فهي نور أعمالنا إذا كانت صحيحة وسليمة فهي نور، نياتنا الخيّرة الطيبة إذا كانت صحيحة وسليمة فهي نور، كم حجم نورانية هذه الأمور بالقياس إلى النور الذي عندهم وهم في بيوت تشرق فيها وعليها الانوار الإلهيه

كيف يخرق نورنا الضعيف نورهم القوي فنتصور اننا نستغني عنهم ونصل إلى ما وراء نورهم؟؟؟

في عالم النور لا يتسلط النور الضعيف على القوي ويخترقه ال؟!..!! إذن كيف يخرق الضعيف القوي؟! هذا مستحيل.

لا يمكننا أن نتصور أن يستغني موجود عن آل محمّد عليهم السلام . حتى في الجنة عند الله تعالى، فهذا تصور خاطئ **«فاز الفائزون بولايتكم»**[1]، (الفائزون) صفة مشبهة يعني كل من فاز ففوزه بولايتكم. (الفائزون) مطلقة، الأنبياء عليهم السلام وألو العزم بأي شيء فازوا؟ بولايتكم. **«من اتبعكم فالجنة مأواه»** وكل من خالف أين كان **«فالنار مثواه»**.

فهل يمكن للإنسان أن يستغني عن هذه الواسطة في حالة من الحالات؟ الجواب: أبداً لا يمكن. وكلما كان الإنسان أكثر بصيرة كلما أدرك أن هذه الواسطة أكثر حضوراً في نفسه. وكلما رقّ سمع الإنسان أكثر، وكلما أبصر أكثر، أدرك أن هذه الواسطة هي الموصلة وربط نفسه بها واعطاها من نفسه وذاته مالا يعطيه لنفسه فهم اولى بها. فلم يسبقها وكذلك لم يتاخر عنها **«المتقدم عنكم مارق والمتأخر عنكم زاهق»**.

---

(١) «مفاتيح الجنان»، عباس القمي، ص٦٢٥، الزيارة الجامعة.

أنوار أهل البيت عليهم السلام في قلب زينب عليها السلام:

زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام التي وصلت إلى هذه المقامات، زينب التي عاشت في فضاء منزل كله إشارة لوحدانية الله تعالى ولربوبية الله تعالى. فهم (سادة المتقين وكبراء الصديقين وامراء الصالحين واعلام المهتدين وعباد الرحمن وشركاء القران ونهج الإيمان.. أبواب الله ومفاتيح رحمته.. مقاليد مغفرته.. وانصار توحيده واركان تمجيده وحرسة خلائقه) زيارة جامعه ائمه المؤمنين

هل تنسى زينب المُشير إلى طريق الله وكلها ذائبة في وحدانية الله تعالى؟! بمعنى هل يمكنها أن تقوم بطاعة ولا ترى أن أنوار هذه الطاعة هي أنوار هؤلاء الخمسة الذين هم الواسطة؟! هل يمكن أن تقوم بعمل، أو أن تصبر، أو تضحي، أو تؤثر أو تصدر عنها فضيلة ولا ترى أن واسطة هذه الفضيلة هو الإمام الحسين عليه السلام؟! هذا محال، لأن «لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار». نحن لأننا لا نتأمل ولا نعيش عملياً هذه الأمور وهذه المطالب لذلك لا نعيها ولكن زينب عليها السلام فتحت عينها على هذه المعاني، بل هي تعيشها قبل أن تدركها بعقلها، -اقصد قبلية رتبية- فكيف بعد ذلك لا ترى أولياء نعمتها؟! وكيف لا تدرك أن حقيقة ووجود هؤلاء هو الواسطة؟!

إذا التزمت زينب عليها السلام بعبادة وقربة لله تعالى ستعرف أن الطريق الموصل لهذه الخيرات كلها هم هؤلاء الخمسة صلوات الله وسلامه عليهم.

الشكر عبادة الأحرار:

﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً**﴾[1] لماذا قال تعالى: ﴿**إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً**﴾؟! لماذا لم يقل إما مؤمناً وإما كفوراً؟! المقابلة تكون عادة بين الإيمان والكفر وليس بين الشكر والكفر. ما هو الشكر؟ هناك نكتة أساسية، إن كلمة الشكر هي العنصر الأساسي الذي تتحلق حوله خصال الإيمان والعبودية.

---

(١) سورة الإنسان: ٣.

الشكر تابع للمحبة. فالإنسان يشكر حين يصل إلى حالة من الاعتراف الكامل بنعم الله تعالى. الفارق في الحديث عن شكر الله وعن الخوف من الله، عن الالتزام بطاعة الله رغبة في الجنة هو حديث عن فارق أخلاقي.، إذا كانت المزايا الأخلاقية ممتزجة مع روح الإنسان ومتأصلة في أعماقه، ترى حركته نابعة من منطق الشكر. الناس الذين يتحركون في طاعة الله تعالى خوفاً من النار أو رغبة في الجنة.. هؤلاء لم تتحرك فيهم بَعدُ المزايا الأخلاقية، ولم تتجذر فيهم الخصائص الإنسانية العميقة. لذلك قالوا: آخر الدواء الكيّ، يعني أن الحديث عن نار جهنم يكون آخر الدواء بعد أن تعجز عن إحياء الجانب الأخلاقي الظريف العميق في الإنسان بحيث يشكر، إذا عجزت عن ذلك وعجزت عن ترغيبه فآخر شيء تلجأ إليه تخويفه.

حتى طريقة تربيتنا من المفترض إنّ أول مسألة في العقائد هي وجوب البحث عن المنعم، لماذا لم تكن وجوب البحث عن الواحد؟! الجواب: لأن الإنعام يخلق حالة من المحبة وصلة من التعشّق وهي صلة ليست مفروضة على الإنسان.

إن الأعمال التي تأتي بها وأنت في حالة خوف من جهنم تسبّب حالة ضغط ولا تؤدي إلى حالة الأبرار، ولا تعمل حالة سعة في الروح، إن الأمور التي تسلبك حريتك واختيارك وانتخابك لا تجعلك عبداً حراً لله تعالى، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإن قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإن قوما عبدوا الله شكرا فتلك عبادة الأحرار**»[1].

يعتبر مطلب الحرية من أعمق المطالب عند الإنسان، والذي يجعلنا لا نقبل على العبادة والصلاة أننا نأتي بها على نحو العبودية، والإنسان يرفض أن يكون عبداً ويرفض التعبد بسبب الخوف، لذلك كانت الروايات التي تتحدث عن العبودية تشير إلى المجازاة بعذاب نار جهنم، أما الروايات التي تتحدث عن حالة العبد فهي تأتي بالتلطف في إدراك نعمة الله.

إنّ الذي يأتي بأعماله على نحو الشكر يكون ذا خصائص إنسانية كثيرة، فهو

(١) «نهج البلاغة»، ص ٥١٠.

إنسان مدرك، وصل إلى المزايا الإنسانية الراقية. ولو طرح السؤال الآتي: متى يشكر الإنسان؟ ومتى يشعر بأنه مدفوع للشكر بلا تكلف؟

نقول في مقام الجواب: أحيانا الإنسان يشكر على نحو المجاملة واداء التكليف، لكن الله تعالى هو الغني المطلق ولا يزيد في ملكه شكر أحد ولا يـُنقصه من أعرض عن شكره وكل أعمال العباد لا تؤدي لذات الله المقدسةً شيئاً. الله تعالى يقول أنه لا يرضى لعباده الكفر ﴿**إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ**﴾[1] فالله ليس عنده مشكلة، ولكنه لا يرضى لك أن تكون كفوراً، إنه تعالى يرى أنه من الممكن أن يصدر منك عمل كبير وشيء قيم، وأنت لا تأتي بهذا العمل. وهو سبحانه عندما لا يجبرنا على الشكر تكويناً فهو قد رفع عنّا ضغطاً، فنحن نشكر من باب الحرية، ومن باب الانتخاب. إنّ الله تعالى ينتظر العبد حتى يصل إلى أعماقه، فيرى أنه تعالى منعم فيشكر الله سبحانه على النعم. وهذا ما يجعل العبد مدفوعاً لشكر المنعم بلا تكلّف. «**ما انعم الله على عبد وعرف ذلك بقلبه فقد شكر نعمة الله عليه ولو لم يحرك لساناً**».

الشكر من أرقى الخصائص الإنسانية:

ولكن كيف يرى الإنسان أن الله تعالى منعم؟ وردت رواية تقول أن أحد العباد كان يعبد الله كثيراً وكانت الملائكة ترى أن ما يُكتب له ويسجل من الثواب والأجر أقل بكثير من قيام هذا الرجل وصيامه، فسألوا الله تعالى: إلهي يا ذا الجود والكرم نحن نرى من عبادك من يقوم بأقل من ذلك فتكتب لهم من الثواب والأجر الكثير، وهذا إنسان عاكف على عبادتك وبالمقابل ننظر إلى صفيحة أعماله، فنرى أنّ أجره قليلٌ في مقابل عبادته. فقال الله لهم: أنزلوا له وعاشروه. نزلت له الملائكة ورأت أنّ الله تعالى يرسل لهذا العابد كل يوم ماءً ورماناً وخبزاً، جرى حديث بين الملائكة وهذا العبد فسألته الملائكة: ما حالك؟ فقال: صابر ومتحمل لهذه الدنيا. قالوا له: قل الحمد لله، شكراً لله. قال: وعلى أي شيء أقول شكراً لله على هذه الرمانة أو على الماء والخبز!!

(١) سورة الزمر: من الآية٧.

فجعلت الملائكة تفكر في الأفلاك والأملاك التي تدور من أجل أن تأتي هذه الرمانة، وكم يحتاج ذلك من الأسباب والوسائط والملائكة، وكيف أنّ التقادير الإلهية لابد أن تمر بمراحل كثيرة حتى تأتي هذه الرمانة. وكيف أنّ الماء يحتاج - حتى يستطيع أن يشربه - لوسائط كثيرة من حركة للنجوم والأفلاك والملائكة. وكيف أنه حتى يرسل الله تعالى له الخبز كم من الأمور تتزاحم، الأرض والسماء والتراب كله يعمل... عندها قالت الملائكة: يا الله! هذا لا يستحق كل هذا الأجر الذي تعطيه.

مشكلة الإنسان أن هذه الوسائط والحجب المادية تجعله لا يرى يد الله تعالى ولا يرى عطاءه. إنّ على الإنسان أن يلتفت إلى أنه لو خُيـّر بين أن يُعطى ما في الأرض من ثروة مثلاً مقابل أنْ تؤخذ منه ولاية أمير المؤمنين عليه السلام هل يستبدل هذا بذاك؟ لا يستبدل. المشكلة أن الإنسان يتصور أن الشيء الذي لم يعطهُ هو الذي كان المفروض أن يعطى له، هذا في الحقيقة ليس ضيقاً في كرم الله تعالى، لم يمنعك الله سبحانه لأنه ليس كريماً، بل لأن الله كريم وحكيم أيضاً.

دائما تشبّه رحمة الله تعالى بعاطفة الأم، لكن الأم الحنونة وليست الحكيمة، فكلما أراد الطفل شيئاً أعطته، وهذا ليس رحمة، أمّا إذا رافقت الحكمة الرحمة فهنا سيأتي التدبير والتقدير إذ ليست الرحمة بالإنسان ان يعطى كل ما يطلب

إذن معنى ذلك ان يتحول إلى موجود مرتاح يطلب راحته المادية وبالتالي إنسان لا تصدر منه أي فعاليه

وليس من الحكمة والعقل والرحمة بالإنسان ان تتعطل فعالياته وقابلياته ولا من الرأفة به أن تعطل طاقاته وقدراته. بحجه أن هذا ما يريد ويحب.

إذ من قال إن الملاك في سعادة الإنسان أن تقضى له كل طلباته... فلابد من الرحمة في ضمن الحكمة والتقدير والتدبير.

التقدير الملازم لتكامله.

ولابد أن تفكر بعقلك ووعيك بما يتناسب مع ظرفك المحيط بك لتصل

إلى نتائج متفوقة في هذا البلاء والامتحان وتصل إلى النتيجة. إذا نظرت إلى كل هذه الأمور والظروف المحيطة، والمشاعر التي أعطاك الله تعالى إياها والإدراك والتوجهات سوف يتجلّى لك معنى ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا**﴾[1] لماذا قال ﴿نعمة﴾ واحدة؟ ذلك لأن كل ظرف أنت فيه مترابط مع ألف ظرف وظرف، لنتيجة واحدة كل ما حولك ينتهي بك إلى نتيجة واحدة.

عبادة الله!

هناك عبارة لصاحب الميزان ينقلها أستاذنا الشيخ الجوادي كثيرا في درسه «الأشياء كلها عوارٍ عُزَّل لا هي نعم ولا نقم وإنما إلى أين توصلك وفيما تنفقها» فإذا أوصلت الإنسان للإهداف الإنسانية والهدف من وجوده فهي نعمة، وإلا فهي نقمة أين كان ظاهرها.. مال أولاد علم.. عشيرة ذكاء...

وهنا قيل نعمة بالقياس لهذه الهدف الواحد الذي تنتهي بك اليه.

إما عبد الله أو عبد لأي غيره لا فرق. لذلك كان الشاكرون هم من وصل وجدانهم وقلبهم، أحاسيسهم وإدراكهم إلى إدراك هذه اليد التي تمتد لهم باللطف آناً آنا، ولذلك كان الشكر كاشفاً عن خصائص إنسانية راقية.

إنّ أرقى الأعمال هي تلك التي تصدر عن حالة الشكر، وأرقى الطاعات هي تلك التي تنشأ من حالة الشكر، ﴿**اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا**﴾.

ذلك لأن الإنسان يأتي بها طوعاً بدون ضغط، حرا مختارا لا خوفاً من النار ولا رغبة في الجنة إنما اندفاعاً من عمق إدراك الإنسان وعمق تحريك مزاياه الباطنية.

إن أقوى خصلة في الإنسان هي الحياء من المنعم. فعندما يقضي شخص ما لك حاجة في ظرف حساس جداً وأنت ترى أن قضاء هذه الحاجة بمخض اختياره وبلطف منه بك.

ولا يتوقع منك أي مصلحة مقابلها- خصوصا إذا كانت هذه الحاجة مهمة

---

(١) سورة النحل: من الآية١٨

جدا بالنسبة لك-،. عندها تشعر دائماً في أعماقك بالامتنان له، وأنك مهما عملت لا يمكن أن تجازيه.

من لم يشكر لم يسمع ولم يبصر:

نحن لا ندرك كل ما أعطانا الله تعالى إياه من دين وتشريع وأنبياء وأولياء، بل نعمة الوجود والإنسانيه والعقل والادراك

كما أن ذلك العابد لم يعرف كيف تكوّن الخبز.إننا لا نعرف كم من الأنبياء أريقت دمائهم حتى وصلنا إلى ما وصلنا إليه. وكم من الأولياء تعذّبوا وسُجنوا حتى يصل إلينا هذا المذهب.

إنّ من يدرك هذه الوسائط، ويتأمل في حياة هؤلاء، ويرى أن طريق هدايته من خلالهم، وأنهم معالم الطريق وأعلامه وفاتحيه ومحركيه، إنّ من يرى كل هذا فقد اهتدى.أما إذا لم يرَ هذه المعالم فهو لم يبصر ولم يسمع.

إذا أبصر الإنسان أصبح شكوراً، وإذا أراد الإنسان أن يشكر الله واولياء نعمه أهل البيت عليهم السلام ماذا يستطيع أن يقول؟؟. الإمام الهادي عليه السلام أنشأ لذلك الزيارة الجامعة، هذه الزيارة كلها بتفاصيلها العميقة تريد أن تعلّمنا كيف نقول: السلام عليكم، شكرا لما قدمتم أليس هذا فعلاً ما نريد قوله؟؟

لذلك لابد للإنسان من استخدام بصيرته في فهم القضايا الأساسية والمعالم الأساسية، الإمام الحسين عليه السلام يقول: «**وإني لم أخرج أشرا ولا بطر ولا مفسدا ولا ظالما، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي**»[١] ويقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام «**اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام ولكن لنرد المعالم من دينك**»[٢]. يعني أن الدين له معالم،

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، ص٣٥٤.

(٢) «نهج البلاغة»، ص ١٨٨: «اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر الإصلاح في بلادك فيأمن الظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك».

والناس إذا لم تعرف هذه المعالم لن تستطيع أن تقطع الطريق. اذا ضاع على الناس معالم الدين وشواهد الدين فكيف يهتدون للتدين.. وفعلا رد الامام الحسين معالم الدين.. كل قضيته بملابساتها شاهد وعلم ودليل.

والناس في تيه وضلال وظلام وانحراف لولاه عليه السلام.. لو بقينا نحن التاريخ المظلم لبني اميه وبني العباس واتباعهم.. هل يمكننا ان نتعرف على الدين.

أهل البيت عليهم السلام معالم هذا الدين، وإذا كنت لا تعرف المعالم فلن تقطع الطريق، وإذا لم تعرف الطريق فأنت لا تتلمس هذه النعمة، وحتى تصل إلى حالة الشكر لا بد أن تزيل حجاباً وثانياً وثالثاً لكي تخضع وتخشع وتنكسر وتصل إلى إدراك أولياء نعمتك. لذلك لم تقل الآية: «إما مؤمناً وإما كفوراً» وإنما قالت: ﴿**إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً**﴾ لأنّ الذي يصل إلى محبة الله وأوليائه والمنة الإلهية ﴿**وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً**﴾.

فقد خرج عن شقّ الكفر. ولا يخرج المرء من شقّ الكفر حتى يكون شاكراً لله ولوسائط نعمة الله وفيض الله تعالى.

التربية شق الطريق سلوكياً للمتربي:

لماذا قالت الآية (كفوراً)؟ لماذا لم تعبر بـ«إما شاكرا وإما كافرا»؟ ذلك لأنها تريد القول: أن هؤلاء حوّلوا العقائد إلى سلوكيات. وأهم شيء في التربية أن تعرف كيف تحوّل العقيدة إلى سلوكيات في البيت. فلكي تغرس في الطفل الخوف من اليوم الآخر، ليس بأن تقول له كل يوم اتق الله. المسألة تربية وتعليم وتهذيب. وليس ذلك هو مجرّد النطق بالعقيدة والنطق بنتائج العقيدة وإنما هو تحويل العقيدة إلى سلوك.

الإنسان يحتاج إلى فن وإبداع حتى يستطيع تحويل التوحيد للطفل إلى سلوكيات لسنا في معرض الكلام عن التربية لكن نمر على بعض نكاتها مروراً عابراً إنّ سبب النفور من كثير من العقائد يرجع إلى طريقة التعليم وأسلوب التربية.

العقائد في الحقيقة لا تعطى باللفظ، ولا تعطى كنتائج وإنما مهمتك أنْ تفتح الطريق حتى يصل الطفل بنفسه إلى النتيجة. وإذا أخذت النتائج بلا إدراك تكون منفـرّة، على عكس أخذها في ظرف السلوكيات.

إن هؤلاء الخمسة صلوات الله عليهم حوّلوا عقائدهم إلى أسلوب في الحياة، وأسلوب تعامل وأسلوب في السلوكيات فلا ترى منهم سلوكاً إلا ويجري لوحدانية الله تعالى. ولا ترى منهم سلوكا إلا ويجري إلى فضيلة، هكذا هم الأبرار. سوف يأتينا لاحقاً الحديث عن الأبرار بإذن الله.

ما معنى «الكفور»؟

ذكرنا أن الآية استخدمت لفظ «كفوراً» وليس (كافراً)... فما هو معنى الكفور؟ الكفور هو الذي حول الكفر إلى سلوك. (كفور) هي صيغة مبالغة على وزن «فعول». فالكفور هو من تجتمع فيه كل خصائص الكفر.

لو تأملتم في من واجه آل محمد عليهم السلام تجدونه ليس كافراً فقط وإنما سلوكياته سلوكيات الكافر، فالكفر إذا كان مجرد عقيدة ليس بمشكلة، لأنه يمكن أن يناقش ويحاور ويقتنع بالدليل. لكن الكفور ليس شخصاً عنده شبهة عقائدية أو أخلاقية، وإنما كل ما يصدر عن هذا الإنسان في الحقيقة هو غاية الكفر. لأنه لا يكفر بوجود الله تعالى فقط، وإنما ليس لدى هذا الإنسان حق ولا باطل، لا يوجد شيء تضع يدك عليه تقول هذا حق وهذا باطل، هذا هو معنى الكفور الذي يقابله معنى الأبرار.

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلا وَأَغْلالاً وَسَعِيراً﴾[1] آيات السورة كلها لا تتحدث عن عذاب الكافرين، ولا عن السلوكيات الكافرة ولا عن الأخلاق السيئة وإنما تتحدث عن آل محمد صلوات الله وسلامه عليهم، لكنها تمر على ثلاث حلقات منتظمة تقيّد الإنسان. ذكرنا أن هناك أحرار وأبرار وهناك في المقابل أناس مقيدون ومضغوطون. أصلا نفس جر الإنسان بالسلاسل إهانة روحية لا مثيل لها.

(١) سورة الإنسان: ٤.

ونحن نلاحظ أن الآيات أخّرت العذاب البدني على العذاب الروحي. في المقابل محبة آل محمد ومعرفة آل محمد صلوات الله عليهم تسبب فرجة روحية. فإذا صلى المرء على محمد وآل محمد صار عنده انبساط في المعرفة وانبساط في الوجدان. وإذا كانت عنده مشكلة وعجز عن حلها ماذا يفعل؟ يصلي على محمد وآل محمد، إنّ الصلاة عليهم تنفع لكل شيء، لأن الصلاة عليهم تحدث انبساطاً في النفس.

ما الفرق بين السلاسل وبين الأغلال؟ السلاسل تقيّد الإنسان. أن يمشي الإنسان بنفسه إلى نار جهنم هذا عذاب، لكن الأشد منه أن يؤخذ الإنسان بالسلاسل! أما الأغلال: فالغل: هو ما يوضع على الرقبة [1] ولا يخفى ما في ذلك من إهانة. أما السعير: فهو غير النار، النار عذاب نستطيع تصوره لكن السعير شيء لا ينطفئ، فالسعير عذاب لا ينفك.

البر فعل اختياري محض ومن أعماق النفس:

﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً**﴾[2] لماذا قال الأبرار؟! لماذا لم يقل الخيّرين؟ لماذا لم يتكلم عن فعل الخير؟! هناك نكتة لطيفة، من المفترض أنه عندما تكلم عن الكفار أن يتكلم في المقابل عن المؤمنين أو الشاكرين، فلماذا انتقل للكلام عن الأبرار؟؟ لنعرف الفرق أولاً بين (البر) و(الخير). الخير هو ما يأتي به الإنسان محباً أو مكرهاً ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾[3] فيمكنك أن تقوم بعمل خيّر وأنت تُكره نفسك عليه، ويمكن أن تضغط على نفسك وتأتي بفعل غير نابع من أعماقك فقط لأنه خير، ما المانع وأنت

---

(١) «معجم مقاييس اللغة»: غل: الغين واللام أصل واحد يدل على تخلل سيء وثبات شيء، كالشيء يغرز. من ذلك قول العرب: غللت الشيء في الشيء إذا أثبته فيه كأنه غرزته.
«مجمع البحرين»، الشيخ الطريحي، ج٣: الغل بالضم واحد الأغلال يقال في رقبته غل من حديد... الغل: القيد.

(٢) سورة الإنسان: ٥.

(٣) سورة البقرة: ٢١٦.

تبتغي به الأجر والثواب! لكن البر ليس له منبع إلا الأعماق، البر لا يقيّد بشيء أصلاً. البر هو انطلاق الخصائص الأصيلة والعميقة والخيّرة من أعماق الذات.

إنّ أي فعل تأتي به تحت الضغط لا يعدّ فعلاً حراً ولا يهبك الحرية، ويمكـنّك من تفعيل خصائصك النفسية الإنسانية، لذلك حتى في الأمور المستحبة إذا أقبلت النفس فأقبل وإذا أدبرت فأدبر.

في التصرفات العائلية والأسرية والأخلاقية والمنزلية لابد أن لا يفرض على الطرف المقابل كالزوجة مثلاـ أن تأتي بشيء بنحو الإكراه والإجبار، لأن الجو لابد أن يكون على نحو من الألفة والمحبة والمودة، لذلك لاحظوا علاقة الأمير عليه السلام بالصدّيقة الزهراء عليها السلام، وعلاقة الصدّيقة الزهراء بالحسنين عليهما السلام، وعلاقة زينب بالإمام الحسين عليه السلام.. كلها علاقة بـر، شيء نابع من الداخل، فالخير قد يأتي برغبة أو بدافع من الخارج، ولكن البر لا يأتي إلا من الأعماق ومن الداخل لأنه فعل اختياري محض.

ما رأيت إلا جميلا!!

أيضاً من خصائص الأبرار أن آفاقهم واسعة لا حدّ لها، إدراكهم واسع، روحيتهم واعية لا حد لها. الإنسان عندما تكون روحه واسعة كالبدن عندما يكون كبيراً فإنه لا يلبس ثوباً صغيراً، فالروح إذا كانت واسعة فهي لا ترضى إلا بالعلوم الواسعة والعبادة الواسعة، وعندما تضيق الروح فإنها تتعاطى مع الأمور تعاطياً طفوليّاً، ويصبح إدراكها إدراكاً طفولياً، بعض العلماء مثل الشيخ قراءتي - له تخصص في التفسير والبحث عن الروايات - عنده التفاتة لطيفة لمقولة زينب عليها السلام «**ما رأيت إلا جميلاً**»[1]. ماذا تعني هذه المقولة؟!

عندما تضع أمام الطفل سفرة مليئة بأصناف الأطعمة وبجانبها حلاوة، فهل سيأكل الطفل من هذه السفرة أم أنه سيطلب الحلاوة؟! أصلاً لا يستلذ إلا بالحلو،

(١) «اللهوف»، السيد علي بن طاووس الحلي، دار العالم، طهران، ١٣٤٨هـ ش

فهو لا يرى المالح والحامض لذيذاً، لكن عندما يكبر الإنسان تكبر ذائقته، ويكبر مزاجه، فيرى أن المالح والحامض لذيذ أيضاً، وإذا كبر مزاجه وكبر إدراكه للأمور فسوف يرى حتى المرّ جميلاً. المرّ الذي وراءه هداية الآخرين لأنه بر فهو جميل، بل هو يرى جمال العذابات التي تنتج منها الهداية والشفاعة والطاعة.

في الرواية عندما ولد الإمام الحسين عليه السلام دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على الصديقة الزهراء عليها السلام فأخذ الحسين وجلس يبكي، فقالت السيدة الزهراء عليها السلام: هل هناك شيء يا رسول الله صلى الله عليه وآله؟!، فكفكف دموعه وقال لها: هذا الطفل تنقلب عليه أمتي فبكت ثم فقالت: لا حاجة لي به، قال لها: فيقتل. فبكت فقالت: يا رسول الله لا حاجة لي به، قال لها: تُروّع به أخته فبكت وقالت: يا رسول الله لا حاجة لنا به، وكلما قال لها شيء قالت يا رسول الله سل الله أن يأخذه فلا حاجة لنا به، لأنه كل هذا فيه عذابات، حتى قال لها: فيبعث الله أقواماً تبكي عليه فيدخلون بذلك الجنة، فسكتت. لأن الزهراء عليها السلام بهذه الروح الواسعة البارة تريد أن توجد منفذاً لإنقاذ الناس، فالروح عندما تضيق فإنها لا تدرك هذه المعاني أصلاً.

ألا لعنة الله على الظالمين.



خلاصة المحاضرة السادسة

١- السورة قسّمت الناس إلى قسمين لا ثالث لهما ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾، والإنسان في أقواله وأفعاله وفي حركته لابد أنه سينضم إلى أحد الشقين، وهذا بخلاف ما نحسبه من جهة عملية من إمكانية الحياد فلا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء.

٢- الاستفادة الواعية العميقة من حاستي السمع والبصر هي الموصلة إلى الهداية وإلى أكبر نتيجة وهي وحدانية الله تعالى وتحقيق الارتباط بأولياء النعم.

٣- علامة رهافة الحس ورهافة السمع والبصر هي رؤية أنوار محمد عليهم السلام قبل كل شيء ومعه وبعده لأنهم هم الوسائط لكل خير وبركة ووجود.

٤- الواسطة على أنواع:

٥- واسطة آلية: تستغني عنها عند وصولك للهدف، فليس لك تعلق واقعي بها، وليس لها تعلق واقعي بالهدف. «كالسيارة الموصلة للمدينة».

٦- واسطة بشرط الاندكاك: فلا تصل إلى الهدف إلا بعد الذوبان واندكاك الواسطة فيك. «كالارتواء بالماء» و «والترقي بالعلم».

٧- واسطة بشرط الذوبان والإندكاك وهي عين الهدف والنتيجة: كواسطية معرفة وولاء آل محمد عليهم السلام لمعرفة الله تعالى التي هي الهدف.

٨- لا يمكن الاستغناء عن أنوار آل محمد عليهم السلام حتى في الجنة وبعد الوصول إلى الله تعالى لأنهم الواسطة والحجاب النوري الذي لابد من خرقه، وأن ذلك لا يتم إلا بالذوبان فيه.

٩- زينب عليها السلام عاشت في فضاء منزل كله إشارة إلى وحدانية الله تعالى وإلى ربوبية

الله تعالى، فمهما عبدت الله تعالى أو صدر عنها أي فضيلة فإنها لا تغفل عن الإشارة والواسطة في حصول هذا الخير وهي أنوار محمد وآل محمد عليهم السلام .

١٠- لم تكن المقابلة في الآية بين المؤمن والكفور بل بين الشاكر والكفور، وذلك لأن الشكر يتضمن أموراً كثيرة لا يتضمنها صرف الإيمان.

١١- المزايا الأخلاقية العميقة تتحرك دائماً من منطلق الشكر الملازم للمعرفة والمحبة، ولا تتحرك من منطلق الخوف والرجاء.

١٢- الأعمال الصادرة عن الخوف من جهنم تولّد حالة من الضيق والتقيد، وتسلب حالة الحرية والاختيار فلا يعيش الإنسان العبودية الحرة لله تعالى فلا يكون براً.

١٣- مشكلة الإنسان أن التفاتة إلى الوسائط المادية المباشرة يحجبه عن رؤية يد الله تعالى وعطائه فلا تتكون عنده حالة الشكر لله تعالى فلابد من إزالة الحجب.

١٤- أعمق وألطف خصلة فطرية عند الإنسان هي الحياء ممن ينعم عليه.

١٥- إبصار معالم الطريق وفاتحي الطريق هو الاهتداء، والمهتدي يصبح شكوراً.

١٦- التعليم والتهذيب ليس بالنطق بالعقيدة بل بتحويل العقيدة إلى سلوك.

١٧- تربية الطفل على العقيدة هي أن تفتح له الطريق حتى يصل بنفسه إلى النتيجة.

١٨- التنفير من الدين يكون بتحميل النتائج بلا إدراك.

١٩- الكفور هو من حوّل الكفر إلى سلوك وفعّل كل خصائص الكفر.

٢٠- العلاقة بمحمد وآل محمد عليهم السلام فرجة وسعة روحية، بخلاف الكفر والإعراض فإنه ضيق وغل وعذاب لا ينقطع.

٢١- الخير هو ما قد يقوم به الإنسان مكرهاً بدون أن يكون نابعاً من الأعماق. بخلاف البر، فالبر هو انطلاق الخصائص الأصيلة والعميقة والخيرة من أعماق الذات بلا إكراه.

الحمد لله رب العالمين.

شرابهم كافور

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾(١).

لقد عاشت العقيلة زينب صلوات الله عليها السنوات الخمس الأولى من حياتها في كنف رسول الله ﷺ، وكما يقول الاختصاصيون في العلوم الحديثة أن الخمس أو الست السنوات الأولى من عمر الإنسان تعتبر سنوات تأسيسية لشخصية الإنسان. حيث يبدأ الإنسان في الشهر الأول بمستوى من الإدراك والتلقي والأخذ، وبعد ستة أشهر تكون له نسبة من التلقي تختلف، وفي السنتين يتكون لديه مستوى آخر، وذلك من جهة نظرية ومن جهة عملية أيضاً.

كان الحديث عن الجو والمناخ والأسرة التي عاشت وتربت فيها زينب عليها السلام.

كيف بمن لم يخرج عن حريمهم عليهم السلام؟!

في الخبر عن رسول الله ﷺ: «أنا أديب ربي وعلي أديبي»(٢). لا بأس بتقريب مسألة الاتصال بأهل البيت عليهم السلام من واقع التجربة الإيمانية. نحن مثلاً نعتقد أن الذي يزور الإمام الحسين عليه السلام له ثواب، وثوابه هذا ليس صرف مسألة تعبدية، بل إننا نلمس أثر ذلك في أنفسنا وأعمالنا وإراداتنا الطيبة الخيرة، هذا الثواب له آثار

(١) سورة النور: ٣٧ـ٣٦

(٢) (مكارم الأخلاق) الشيخ الطبرسي ص١٨.

واقعية، كذلك الذي يزور الصديقة الزهراء عليها السلام فهذا أمان له من النار[١]، وأهل البيت يؤكدون أن «**من زارنا بعد وفاتنا كمن زارنا في حياتنا**»[٢]، إذن الأصل في الزيارة أن تكون في الحياة، فإذا كنّا نلمس آثار زيارتنا للمعصومين بعد وفاتهم وفي حالة عدم وجودهم الحسي ومع ضعف حضورنا الروحي ومحدوديته، وكيف أنها تصنع في أنفسنا الكثير الكثير. عندها هل لنا أن ندرك كيف هو تأثيرهم فيمن لا ينفك عن معايشتهم والالتصاق بهم كزينب عليها السلام ؟؟

في الرواية: أن أحد الأصحاب ذهب يبكي عند رسول الله صلى الله عليه واله، فقال له: على أي شيء تبكي؟ قال له ما مضمونه: يا رسول الله أصابني النفاق! لأني إذا دخلت عليك أرى نفسي معرضاً عن الدنيا منصرفاً للآخرة، فإذا خرجت من عندك وذهبت للدور والعيال تغير حالي!!

هذا حال يلمسه من عنده استعداد، وهم سلام الله عليهم كما يقول الأمير عليه السلام «مستثار العلم»[٣]. وهم أيضاً مستثار كل العوامل الخيرة النظيفة الطيبة في النفس.هم حياة العلم وموت الجهل. حياة العقل وإماتة النفس. إنهم يجذبون من صاحبهم جذبات تتعلق نفسه بها بالملأ الأعلى فتكون رغباته عالية، ولذا يجد نفسه معرضاً عن الدنيا وعن الدنيّ من الأمور.

هذا الحال لمن لقيهم لحظات فكيف بمن لم يخرج عن حريمهم؟! كيف بمن يعيش في بيت لا تهبّ فيه إلا نسائم الإنسانية الكاملة بفضائلها؟! وبمعنى أدقّ... كيف بالحوراء زينب العقيلة عليها السلام مع ما تملك من استعداد مميز واستثنائي؟؟!!

---

(١) «مفاتيح الجنان» عباس القمي / ص٣٨٨: «عن الزهراء عليها السلام قالت: قال لي أبي: من صلى عليك غفر الله عز وجل له وألحقه بي حيثما كنت من الجنة».

(٢) «كامل الزيارات»، ابن قولويه القمي. دار المرتضوية. النجف ١٣٥٦هـ ش. ج/ ١ص١٢: «عن النبي صلى الله عليه وآله: «من زارني بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي وكنت له شهيدا وشافعا يوم القيامة».

(٣) «نهج البلاغة» ص١٥٢: «فبادروا العلم من قبل تصويح نبته، ومن قبل أن تشغلوا بأنفسكم عن مستثار العلم من عند أهله».

نحن لا يمكننا أن نتصور أي عالم من القدس والطهارة والنشاط الروحي واللذائذ المعنوية تلك التي رضعتها زينب عليها السلام من الصديقة الزهراء عليها السلام، وأي جذبات تأخذها بها إلى أحضان الولاية العظمى! يقول الإمام العسكري عليه السلام: «نحن حجج الله على خلقه وجدتنا فاطمة حجة الله علينا» فأيّ علم تفيضه السيدة الزهراء عليها صباحاً ومساءً وكيف تباشرها عليها السلام بروح اليقين؟!

والتعليم ليس باللفظ فقط، بل كما تعلمون إن السلوك العملي يصنع للإنسان عقلاً عملياً لا يحتاج معه إلى التعليم اللفظي. ويمكننا أن نعبر عنه بالسلوكيات أو تفعيل المعتقدات.

الشرب في هذا العالم:

الآيات في سورة هل أتى تتحدث عن هذه السلوكيات العملية: ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً**﴾[1].

(يشربون) فعل مضارع يفيد الاستمرار، وكما أسلفنا، الكلام هنا عن كيفية صدور الأفعال منهم عليهم السلام في هذه الدار، وليس المراد أنهم يشربون في اليوم الآخر فقط.

يقول الشهيد المطهري: إن وحده السياق في قوله ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ**﴾ إلى قوله ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ**﴾ قرينة على أن ظرف الشرب لهذا الكأس وظرف الإطعام هو ظرف واحد - إي في ظرف الدنيا - وطبعاً هذا الشراب هو غير ما سوف يأتينا في آخر السورة ﴿**وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا**﴾[2] إلى قوله تعالى ﴿**وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً**﴾[3]، فذاك شرب آخر، ذاك جزاء لعملهم وليس هو عملهم، والحديث هنا عن عملهم وسلوكهم ونحو صدور الأفعال منهم، وكما تعلمون فإن فعل الإنسان ليس إلا وليد تصوراته ومعتقداته ونظرته للكون ورؤيته

(١) سورة الإنسان: ٥.
(٢) سورة الإنسان: من الآية١٢.
(٣) سورة الإنسان: ١٧.

للوجود. فالعمل البدني صورة تعكس ما في الروح.

الشرب الروحي هو شدة الارتباط:

لماذا قال القرآن أن هؤلاء يشربون؟! ما المقصود بالشرب؟ وماذا يشربون؟!. الشرب في القرآن أعم من شرب الماء، ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾[1] هل هذا يعني أنّهم شربوا العجل نفسه أم أنّ الآية تريد أن تقول في الواقع أنهم أُشربوا حبّ العجل؟!

إنّ شدّة تعلق بني إسرائيل بالحسيات وبالماديات سُميت شرباً، فقوة الارتباط تسمى شرباً، لأنّ الشرب ليس هو الشرب المادي فقط. نعم، لو أننا توهّمنا أن وجود الإنسان ينحصر في الوجود المادي وأنه ليس للإنسان إلا هذا البدن الظاهر المرئي فسوف لا نفهم هذه المطالب، الكثير منّا لا يفهم الآيات القرآنية والروايات لأن هناك حجباً مادية حسية تحول بينه وبين أن يفهم.

لا بد أن نفهم حقيقة أنفسنا أولاً، يقول صاحب الميزان: «من لم يفسّر نفسه لا يتصور أن يفسّر القرآن». لابد أن يفهم الإنسان أنّ نفسه هي أبعد من الوجود المادي وأنه روح وهذه الروح تعطش، وأنّ له مشاعر وهذه المشاعر تعطش وأنّ له عقلاً وهذا العقل يعطش، وأن له أحاسيس وهذه الأحاسيس تعطش، وأن له أخلاقاً قد تجف وتجدب فتصبح جدباء وقد ترقّ هذه الأخلاق فتصبح غضة طريّة بل قد تصبح واسعة كسعة البـَر.

من أين جاءت سعة الأبرار؟ من أين استمدّوا سعة الروح والفكر والتطلع وبُعد النظر؟ من أين أخذوا الصلاح، والإحسان الصدق... من أين جاءت هذه الصفات؟

إنّ الشرب هو الذي يحقق مجموعة كبيرة من هذه العناصر، لذلك فإنّ أغلب الآيات التي تتحدث عن الماء تريد أن تفهمنا أن الماء أعم من هذا المصداق الذي

---

(١) سورة البقرة: ٩٣.

نعرفه ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾[١] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾[٢] في الرواية: «**ماؤكم أي إمامكم**»[٣]، وكثير من الروايات تطلق لفظ الماء على الإمام، ألم يرد في الزيارة أننا نخاطب الإمام: «**السلام عليك يا عين الحياة**»[٤]، كما ورد أنّ الأمير عليه السلام يضرب على صدره ويقول: «**هنا عذب فرات فانهلوا**». كما أنّ (الحب) ماء وشراب، ولعل هذا ما يريده العرفاء حين يعبرون بالشراب عن المراتب العرفانية.

الطعام الواقعي هو العلم والمعرفة:

روي عن الإمام الباقر عليه السلام في معرض شرحه لقوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً * وَعِنَباً وَقَضْباً * وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً * وَحَدَائِقَ غُلْباً﴾[٥] أنه قال: «**فلينظر الإنسان إلى علمه الذي يتعلمه، من أين يأخذه**»[٦]. الطعام الظاهري هو هذا الطعام المادي، وهو لابد منه للجسم لكن ثمة طعام واقعي هو العلم والمعرفة، وهو الذي يغذي الحياة الواقعية للإنسان والعقيدة، لا الحياة المادية.

لذلك عندما يُسأل الإمام الباقر عليه السلام: لماذا سمي أمير المؤمنين عليه السلام بأمير المؤمنين؟! يقول: «**لأنه يميرهم العلم**»، ثم يقول: أما سمعت إخوة يوسف يقولون:

---

(١) سورة هود: من الآية٧.

(٢) سورة الملك: ٣٠.

(٣) (الكافي). الكليني، ج١/ ص٣٣٩: «عن علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ قال: إذا غاب عنكم إمامكم فمن يأتيكم بإمام جديد».

(٤) (بحار الأنوار) العلامة المجلسي، ج٨٩ / ص١١٥: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: ...سموهم بأحسن أمثال القرآن، يعني عترة النبي صلى الله عليه وآله، هذا عذب فرات فاشربوا وهذا ملح أجاج فاجتنبوا».

(٥) سورة عبس ٢٤- ٢٨

(٦) (لكافي) الكليني، ج١ ص٤٩: «عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عز وجل ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ قلت: ما طعامه؟ قال: علمه الذي يأخذه عمن يأخذه».

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾(١) يعني يأخذون منه الميرة، فمن هو صاحب الميرة؟ هو الذي يمير، أمير المؤمنين هو الذي يمير المؤمنين العلم(٢). هناك بعض الآراء لا تجوّز إطلاق اسم أمير المؤمنين على غير علي بن أبي طالب عليه السلام، أمير المؤمنين يميرنا العلم والمعرفة والعقيدة والقرآن والأخلاق والصفات، وعلى يديه يجري لنا هذا الرزق.

فإذا كان نظر الإنسان إلى طعامه بمعنى نظره إلى علمه وغذائه المعنوي، فسوف تتغير كثير من مصاديق معاني الآيات.. لذلك يقول الشيخ جوادي: «إذا فسّر الإمام لفظاً من الآية بمصداق معين سوف تتغير بالتبع بقية معاني بقية الألفاظ بما يناسب ذلك المصداق فإذا قال أنّ معنى **﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾** أي إلى علمه، فسيتغير معنى السماء، والحدائق، وهكذا.

أما السماء فهي صدور الأئمة وأما قوله **﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً﴾** فهو كما نخاطب ونقول للإمام عجل الله فرجه الشريف «**السلام عليك أيها العلم المنصوب والعلم المصبوب**»(٣) وأما الأرض فهي قلوب شيعتنا، فإذا نزلت معارفنا وعلومنا على صدور شيعتنا، فالنتيجة هي: **﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً * وَعِنَباً وَقَضْباً * وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً * وَحَدَائِقَ غُلْباً﴾** فما هي هذه الحدائق؟! في الحقيقة هذا بحث واسع، لكن أتصور أن هناك مراحل ومقدمات لابد أن يقطعها الشخص لكي يصل إلى فهم هذا البحث، وليتضح المراد نقول: ورد عن الإمام عليه السلام قوله: «**علينا إلقاء الأصول وعليكم بالتفريع**»(٤). وطبعاً ليس كل شخص يستطيع أن يفرّع. لذلك فإن الشرب ليس هو شرب الماء المعهود فقط. الماء الذي نشربه يحتاج له البدن، أما إذا خرج الإنسان من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة فهل يحتاج إلى هذا الماء أم أنه يحتاج ماءً

(١) سورة يوسف: من الآية٦٥.

(٢) «بحار الأنوار»، العلامة المجلسي، ج٣٧ ص٢٩٣: عن جابر عن ابي جعفر عليه السلام قال: قلت: جعلت فداك، لم سمي أمير المؤمنين أمير المؤمنين؟ قال: لأنه يميرهم العلم، أما سمعت كتاب الله عز وجل ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾.(يوسف: من الآية٦٥).

(٣) «مفاتيح الجنان»، عباس القمي، ص٥٩٨، زيارة آل ياسين.

(٤) «جامع المقاصد»، المحقق الكركي، ج١ ص٩.

من نوع آخر؟!

نحن نسمع أنه عندما وقع علي الأكبر قال للحسين عليه السلام: «**يا أبتاه هذا جدي رسول الله صلى الله عليه وآله قد سقاني بكأسه الأوفى شربة لا أظمأ بعدها أبدا**»... **فإن لك كأساً مذخورة**»[1]، لو كان الشرب للبدن فإنّ من يخرج من هذه الدنيا لا يحتاج لهذا الماء المادي.

ترى ما هي خصائص هذه الشربة التي لا يعطش بعدها أبداً؟! وما هو هذا الماء الذي عندما يشرب منه ينتهي عطشه إلى الأبد؟!. يبين القرآن معنى ذلك في قوله: ﴿**وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً**﴾[2] أي أن مفعول هذا الشراب هو تطهيرهم عما سوى الله تعالى. هل هناك شراب مادي يطهر عما سوى الله تعالى؟! إلا أن يكون مصداقا آخر غير ما نعرف.

أول خصائص هذا البيت هي الشرب الدائم:

إنّ أول خصائص هذا البيت نعني بيت الأمير والزهراء والحسنين وزينب عليهم السلام وفضة بالتبع هي أنهم يشربون، والشرب ليس المقصود منه شرب الماء المادي كما عرفنا.

ثم تقول الآيات: ﴿**عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرا**﴾[3] فتُبين أنّ لعبوديتهم مدخليه في نوع الشرب، ولعبادتهم أثر في لون هذا الشرب، فأي عطش يرفعه هذا الشرب؟ الأمير عليه السلام يتحدث عن أصحاب الإمام المهدي عليه السلام فيقول «**ويغبقون كأس الحكمة بعد الصبوح**»[4] أي أنهم بعد سهر الليل بالعبادة والانقطاع

---

(1) «منتهى الآمال»، عباس القمي، ج1، ص674. يا أبتاه هذا جدي رسول الله صلى الله عليه وآله قد سقاني بكأسه الأوفى شربة لا أظمأ بعدها أبدا وهو يقول: العجل العجل فإن لك كأسا مذخورة حتى تشربها الساعة.

(2) سورة الإنسان: من الآية21

(3) سورة الإنسان: 6

(4) «نهج البلاغة»، ص208.

ينهلون كأساً ولكن ملؤه الحكمة.

وحيث أنّ كل شؤونهم عبادة و﴿**هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ**﴾[(١)] فهم يستحقون سلاماً خاصاً لكل شأن، لأنهم في كل حركه يسلكون وادياً من أودية العبودية. عندما نسلّم على الإمام (عج) كما ورد في زيارة آل ياسين حيث نقول: «**السلام عليك حين تقوم، السلام عليك حين تقعد، السلام عليك حين تقرأ وتبين، السلام عليك حين تصلي وتقنت... السلام عليك بجوامع السلام**»[(٢)] ما هو معنى أن نسلم عليه (عج) أثناء القيام والقعود؟! لماذا لا نقول من البداية: السلام عليك بجوامع السلام ورحمة الله؟ الجواب: إنّ الارتباط بكل شأن من شؤون الإمام يحتاج إلى سلام خاص، هذا القيام فيه لطف وعبادة وتذلل خاص لله سبحانه، وفيه كرامة خاصة، وأما إذا جلس فهذا شيء آخر ولون آخر، هذه ليست ممارسة أو سلوك فارغ ولغوي مثلما نجلس نحن ونقوم بلا معنى وبلا هدف واع . إنّ من يحمل رسالة السماء لا يمر في مورد من الموارد إلا ويؤدي فيه هذه الرسالّة؟! «**السلام عليك في آناء ليلك وأطراف نهارك**» يعني لحظة لحظة... قيامك، قعودك، سلوكياتك... كلها عبادة خاصة، ولكل منها سلام خاص.

زينب عليها السلام تنتهل من هذه العين بلا واسطة!

وخير مثال لهذه العبودية هي أعبد من في أمة محمد صلى الله عليه وآله بعد أبيها كما ينقل أهل السيرـ الزهراء عليها السلام، وأنتم تعرفون أثر الأم على البنت في هذا السن، فهي تحذوا حذوها، تقلدها، تحاكي شخصها. نحن نعلم - بالتجربة - أنّ البنت الكبرى

---

(١) المعارج: ٣.

(٢) «مفاتيح الجنان»، عباس القمي، ص٥٩٨، زيارة آل ياسين: «السلام عليك حين تقوم، السلام عليك حين تقعد، السلام عليك حين تقرأ وتبين، السلام عليك حين تصلي وتقنت، السلام عليك حين تركع وتسجد، السلام عليك حين تهلل وتكبر، السلام عليك حين تحمد وتستغفر، السلام عليك حين تصبح وتمسي، السلام عليك في الليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى، السلام عليك أيها الإمام المأمون، السلام عليك أيها المقدم المأمول، السلام عليك بجوامع السلام».

عادة ما تأخذ من أمها أكثر، وذلك لأنها تحتك بها بلا واسطة.

نحن لم نجرب أخذ العلوم من أهل البيت عليهم السلام بلا واسطة، وأنا هنا أريد أن أتحدث عن هذه الخصيصة لزينب سلام الله عليها وهي: الاتصال المباشر لزينب عليها السلام بالأمير والصديقة الزهراء والحسنين عليهم السلام، فهذا الاتصال يعطيها مقاماً استثنائياً.

هناك نكته يشير لها بعض المهتمين بهذا الشأن، يقولون: عندما يقرأ الإنسان القرآن الكريم عليه أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾[1] وذلك حتى لا تتدخل أهواءك وتصوراتك وخيالاتك وأوهامك وضيق أفقك وخطاياك فتفهم الآيات الإلهية عبر قنوات شيطانية.

كذلك المعارف التي تؤخذ من أهل البيت عليهم السلام يجب ألا يصبغها الإنسان بصبغته الخاصة. إذا استطاع أن يحافظ عليها كما سمعها من الإمام فطبيعي أنها تؤثر أكثر، التلقي المباشر له آثار كثيرة، خصوصاً إذا كان المتلقي ذا استعداد وكفاءة، كما أنّ لطبيعة الملـْقي وخصوصياته وسعة فهمه وعصمته دور إضافي في الإعطاء، فكما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس ضنيناً بالغيب ﴿**وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ**﴾[2] ولا يبخل على أهل الاستعداد بالإفاضة، فكذلك الزهراء عليها السلام كانت مظهر الفيض الإلهي على قلب زينب عليها السلام.

الله وحده هو العالم بما كان يجري بين الأم والبنت من أحاديث، وكما يقول الأمير عليه السلام «**اللسان ينزح من القلب**»[3] فهل لنا أن نتصور ماذا كانت تنزح الزهراء عليها السلام على زينب وهي ثمرة فؤادها، وهي نبتتها، وجني ثمرة طوبى؟؟!!

---

(١) سورة النحل: ٩٨.

(٢) سورة التكوير: ٢٤.

(٣) «مستدرك الوسائل» ج٥/ ص٢١٧: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن اللسان ينزح من القلب، والقلب يقوم بالغذاء، فانظر فيما تغذي قلبك وجسمك، فإن لم يكن ذلك حلالا لم يقبل الله تعالى تسبيحك ولا شكرك».

إنّ نفس وصاية الزهراء عليها السلام للعقيلة العاقلة وهي طفلة بعد بالحسين وبواقعة كربلاء التي جلّت وعظمت في السموات عند أهل السموات والأرضيين، وعند الأنبياء والملائكة، بتلك الوصايا التي لا يدركها الكبار، لدليل على ما كانت ترى سلام الله عليها من الأهلية والكفاءة والاقتدار في أعماق هذه الطفلة، ولهذا صنعتها على عينها. والواقع الميداني كشف عن كل هذا. فزينب عليها السلام كانت في محيط هذا البيت تلمس هذا الشرب وكيف تحول إلى عنصر هداية للناس.

نعود للآية: ﴿**يَشْرَبُونَ من كأسٍ**﴾، فهم يشربون باستمرار وبلا انقطاع وفي كلّ شؤونهم، قيامهم، قعودهم، ولكن من أين يشربون وماذا يشربون؟ فالآية لم تحدّد ذلك، فلم تقل: يشربون علماً، تقىً، حباً، بصيرةً... متعلق الشرب محذوف لأنه «**إن ذكر الخير كنتم أوله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه**» «**والحق معكم وفيكم ومنكم وإليكم وانتم أهله ومعدنه**»[1]. نعود للسؤال: من أين يشربون وماذا يشربون؟!

الشرب من كأس الأمير عليه السلام:

﴿**مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً**﴾ معنى الكأس يفيد الكأس المملوءة، وهو يختلف عن الكوب والقدح، فالقدح قد يكون مملوءاً وقد يكون غير مملوء. أما الكأس فلا يكون إلا مملوءاً. وهذه نكتة سوف نتعرض لها لاحقاً. السؤال المهم هو: لماذا عبر بالشرب؟!

الجواب: إنّ أشد ما يحتاج إليه الإنسان هو الشرب، لا يوجد شيء يعذب الإنسان كالعطش. أكثر شيء ممكن أن يهدد به الإنسان هو العطش، ولذا ورد عندنا في الرواية: أن المؤمن أثناء نزع روحه يعرض له الشيطان وهو في حالة عطش شديد -أكثر عذاب الإنسان عند الموت هو العطش- فيعرض له إبليس وبيده قدح ماء فيقول له: اسجد لي وأعطيك من هذا الماء. تقول الرواية وإذا سجد له لم يعطه.

من يضمن ألا يفشل في هذا المورد وفي هذا الامتحان؟، لا أحد يضمن.

---

(١) سورة المطففين: ١٨-٢١.

الشهيد الصدر ﭭ يقول: لا تعيبوا على أهل الكوفة خروجهم على الإمام الحسين عليه السلام فهل وقفنا موقفهم ولَم نخرج على الإمام الحسين عليه السلام، لا تعِيبوا على من لم يبايع الأمير عليه السلام أنه لم يبايع، لننظر إلى أنفسنا أولاً، هل ثبت لنا منها صدق الموالاة؟؟ لا تلوموا هارون الرشيد، هل عرضت علينا دنيا هارون الرشيد ولم نقتل موسى ابن جعفر عليه السلام؟!

ولذا لا بد للإنسان أن يتنبه إلى أن هناك أموراً خطيرة وعقبة كؤداً، وأن دار التعرف على أهل البيت والارتباط بهم هي هذه الدار، والمقطوع عنهم هنا لا يكون موصولاً بهم هناك. لأن تلك دار ثبات لا يتغير فيها شيء، وليس هناك إلا ما استقر في الأعماق.

قد يكون ما في الأعماق ضعيفاً بحيث يحتاج إلى آلاف العمليات ليخرج ويظهر وليذاب الزائد العالق على الروح.

لذلك إذا شرب الإنسان من حب علي عليه السلام فإنه لا يقبل أن يشرب شيئاً آخراً أياً كان. أضرب لكم مثالاً: إذا اعتاد الإنسان أن يتلقى العلم بمستوى معين، فهل يرضى بالأقل؟ هل يرضى بالوهم؟ هل يرضى بأن يشرب غير الصافي؟ إذا تعلم الإنسان العلوم الحقّة فإنه لا يستطيع أن يأخذ أي العلوم التي تعدّ لغواً لا ضر فيها ولا نفع.

إنّ طبيعة الشرب من كأس أمير المؤمنين عليه السلام يفتح أبواباً من جهة ويغلق أبواباً من جهة أخرى فهو من جهة يفتح باب محبة الأمير عليه السلام، ومن جهة يغلق منافذ القلب عن أية محبة أخرى. لذلك تصبح عند الإنسان مناعة قوية ضد أن يشرب من كأس غير كأس أمير المؤمنين عليه السلام. لذلك كان أول نعيم أهل الجنة عند المحشر وأول لذّة وأول حالة انبساط هي الشرب من الكوثر، هذا المعنى لا يتردد فيه أحد، وقد ثبت ذلك باتفاق الفريقين. هذا الشرب يؤثر في خصوصيتنا حتى نصل إلى حقيقة القرب.

ما هي خصوصية هذا الكأس؟

﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً﴾ هذا الكأس كأس ممتلئ، وهذا الكأس ليس لعلي وأبناء علي عليهم السلام فحسب، بل هو لشيعة علي أيضاً. للأبرار... «**السلام عليك يا بقية البررة من الماضين**».

جاء هذا في زيارة سلمان الفارسي. فعلي وأبناؤه لهم شراب فوق ذلك لأنهم مقربون، كما يقول الشهيد المطهري: صاحب المقام الرفيع قد أحرز كل المقامات الأدنى. القرآن الكريم يتحدث عن شيعة علي عليه السلام ويعبر عنهم بأصحاب اليمين.

يقول: ﴿**إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً**﴾، ويقول في سورة المطففين: ﴿**كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * ومَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ**﴾[1] فمن ذلك عرفنا أنّ المقربين غير الأبرار، الأبرار هم شيعة علي عليه السلام، والروايات تقول: إن الأبرار هم أصحاب اليمين، يعني هناك المقربون وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال، إذن المقام الواقعي لبيت علي وفاطمة عليهما السلام هو أنهم المقربون.

ماذا يعني ﴿**كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً**﴾؟ لماذا قال ﴿**مِزَاجُهَا كَافُوراً**﴾ ولم يقل (مُزج بكافور)؟ الجواب: كأنه يريد أن يقول أن هذا الكافور ليس شيئاً إضافياً على شرابهم، بل هو شيء في كينونة هذا الشراب حيث أنه لم يأته ولم يُضف له من الخارج، بل أنه شيء (كان) أي من الكينونة والتحقق. ولنا أن نسأل: ما هي خصوصيات الكافور؟!

الكافور هو مادة سائلة لها أربع خصوصيات:

١- البياض الناصع

٢- طيب الرائحة

٣- البرودة

٤- الطغيان.

(١) سورة المطففين ١٨-٢١.

لنبدأ بالحديث عن الخاصيّة الرابعة وهي (الطغيان)، الكافور يغطي موارد الضعف بحيث تطغى رائحته على كل ريح غير طيبة، لذلك عندما يشرب الإنسان الكأس الممزوج بالكافور فإنه يغطي طبيعة النقص ورائحة الضعف، وإذا اتحد مع مزاج الإنسان ومزاياه شكـّل له مزاجاً آخر.

ما هو مزاج الإنسان؟

المزاج هو مجموع العقائد والرؤية للحياة والواقع والسعادة والشقاء، وهو السلوك والأخلاق والصفات والثقافة والتربية والخصائص الوراثية التي تمتزج فتصبح مزاجاً. فإذا كانت عقائد الإنسان أقوى من صفاته الشخصية، ومن شهواته وضعفه، فإن العقائد تصبح طاغية ومسيطرة ومتسلطة على الشهوات.. اذا حتى الوراثة والعوامل الوراثية ليست عله كامله لصدور الأعمال.. بل هي مقتضيات فالعقائد القوية تتحكم فيها وتحدّ من آثارها غير المطلوبه.

الكافور يطغى ولا يطغى عليه:

الكافور أيضاً من الطغيان والكفر والتكفير والتغطية [١] وهو في هذا المقام يغطّي الباطل ويغطي عوامل الضعف والانحراف. افترضوا أنّ شخصاً لديه أخلاق وراثية سيئة. بسبب تربيته في بيئة سيئة مثلاً، وافترضوا أنه اجتمعت في مزاج الإنسان كل أسباب الانحراف، لكن عقيدته - في المقابل - كانت قوية، تجدون أنّ طبيعة العقيدة القوية كافور تطغى ولا يُطغى عليها، لأنها تقيّد الشهوات، فتصبح الشهوات محدودة والرغبات مقيّدة. لكن إذا كانت عقيدة الإنسان أضعف من شهواته فمن الذي يطغى على الآخر؟ الشهوات طبعاً.

---

(١) (مفردات ألفاظ القرآن) الراغب الأصفهاني: الكفر في اللغة: ستر الشيء، ووصف الليل بالكافر لستره الأشخاص، والزراع لستره البذر في الأرض، وليس ذلك باسم لهما. والكافور: اسم أكمام الثمرة التي تكفرها. والكافور الذي هو من الطيب.

(معجم مقاييس اللغة) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ج٥ (كفر) الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد وهو الستر والتغطية...

أحياناً تكون العقيدة موجودة لكن لأن الوراثة أقوى وأشدّ - ومع عدم معالجة ذلك - فإن المحرك له والموجه له هو شهواته. مع العقيدة الضعيفة المشلولة عملياً فإنّ الشهوات سوف تطغى على الإنسان.

الإنسان المؤمن عنده ميزان لصفاته، الكافور يصنع ميزاناً عند الإنسان، فإذا قام بأي عمل خاطئ، فإنّ هذا الكافور يكون إمام هدى. هذه العبادات والأعمال لها آثار تكوينيه، وهذا الكافور هو إمام الباطن وهو المؤشر للداخل، فيدرك أن هذه رائحة خبيثة، لذلك ورد في الروايات: «**تعطروا بالاستغفار لا تفضحكم روائح الذنوب**»[1] الإنسان المؤمن يدرك أن للذنب في أعماقه رائحة خبيثة، فيختنق من الرائحة الخبيثة، فيعود إلى الله تعالى، لكن الإنسان الذي يخطئ على هذا، ويجرح هذا ويتهم هذا ويهتك حرمات الناس ولا يشعر بأدنى وخزة ضمير، فإن أعماقه إلى الآن لم تتحول إلى كافور. ولم يختمر الكافور داخل النفس والصفات والخصائص ولم يعجن في طينته بعد، بل يحتاج إلى أن يجدد عهداً مع عقائده.

لأن الكافور لو كان مؤثراً فيه لطغى وسيطر، ولو خالط نفسه وامتزج معها لكان مزاجه كافوراً ورائحته رائحة الكافور، ولكانت رغباته ومبتغياته تتولد من الكافور، لأن طبيعة الكافور هي الطغيان والسيطرة على الروائح غير الطيبة.

إنّ مشاعر الولاية تتحول من عقيدة إلى صفات ثمّ إلى أعمال. المؤمنون الذين يحضرون في المجالس في هذه الأيام لديهم حالة من الشعور والأحاسيس الطاغية، يعني مهما يكون لدى الإنسان من عمل يشعر أن وظيفته في الحقيقة هي إظهار الولاية، عندما يكون الإنسان في جو ولائي عملي، فإن هذه المشاعر وهذه العقيدة تتفاعل وتتكامل. تصوروا لو أن هذه العشرة أيام امتدت طوال السنة.. لكنا واقعاً في نعيم، تجمعاتنا في نعيم، أخلاقنا في نعيم، زواجنا معقول وحفلاتنا معقولة، وجلساتنا معقولة، طبيعة هذه العشرة أيام تفعيل وتحريك لهذه المشاعر.

---

(١) (وسائل الشيعة) الحر العاملي ج١٦/ ص٧٠.

الكافور يفيد حالة الإرواء:

الصفة الثالثة من صفات الكافور هي البرودة. شرب الماء البارد يفيد حالة التروي، أما الكافور فهو يسبب حالة من السعة عن الشهوات والرغبات، ويجعل الصفات الأخرى من الشجاعة والهمة هي التي تغلب. وعندما تهدأ شهوات الإنسان ورغباته وأنانيته، وتصبح عنده حالة تروي وحلم علمي، وحلم أخلاقي، ويصبح عنده سعة أفق وهدوء في الباطن.

إن بعض الأعمال العبادية لها أثر الماء البارد على النفس، فيصبح بها الإنسان عميقاً فيبتعد عن موارد النزق، في الرواية «**إن الله يبتلي المؤمن بكل شيء إلا النزق**»[١]. هذا التروي وهذه البرودة تسبب حالة من الصفاء، لذلك أحد خصائص الكافور أنه يفيد هذه المسألة.

﴿**كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً**﴾ هذا الكافور يتجسد بأوثق عرى الإيمان. وأوثق عرى الإيمان الحب الذي هو ولاية علي عليه السلام، ومحبة أهل البيت عليهم السلام، معرفة أهل البيت عليهم السلام، العقيدة الصالحة، العقيدة الطيبة... سمّوها ما شئتم، هذه كلها من آثار الكافور.

إذا كان الكافور يتناسب مع كل القوى الموجودة في باطن الإنسان، إذا كان الإنسان قد فطر على الولاية، وإذا قهر جميع الشهوات والصفات السيئة اذ حب علي الواقعي لا تضر معه سيئه، وأصبحت كل الرغبات تحت إرادة الإنسان، فسوف تذوب إرادته في إرادة إمامه الحق.

كذلك إذا ذابت إرادة المأموم في إرادة الإمام، فمزاج هذا المأموم هو محبة علي عليه السلام وأبنائه فقط.

الآن النكتة في الآية تتضح في هذا المعنى، هذا الكافور من الوضوح والبينة والبرهان، بحيث يرى أن عليا وأبناءه عليهم السلام مخصوصون ببرهان الله «**وخصكم**

---

(١) (بحار الأنوار) العلامة المجلسي، ج ٧٢ص٧١: عن علي ابن الحسين عليه السلام قال: وددت والله أني افتديت خصلتين في الشيعة لنا ببعض لحم ساعدي، النزق وقلة الكتمان.

ببرهانه»[١]. النورانية والرطوبة والطراوة والنضارة والصفاء وكذلك هذه المعرفة كافورية قوية نشطة فعالة. فإذا كان هذا هو الحاكم على أعماق الإنسان وإذا نزل العلم المصبوب ورأى أن الطينة تتجاوب معه عند ذلك سيحدث بركان، فوران، عشق، ثورة ﴿**يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً**﴾ هنا تنفجر براكين العشق والحب.

ألم نقل أن الكافور له حالة من الطغيان؟! ماذا لو التقى الكافور والتربية المستقيمة والفطرة السليمة؟!

يقول الإمام عليه السلام في قول الله تعالى ﴿**فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾[٢] هي ولاية وحب علي[٣]. ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً**﴾[٤] أقم وجهك لولاية علي[٥].

إذا كانت طينة الإنسان أي خصائصه التي ورثها من والديه هي من الطينة الطاهرة المخمّرة بحب الله وأوليائه كزينب عليها السلام فهي من أصل طينة أهل البيت عليهم السلام، أو أنها من فاضل طينتهم، كما يعبرون عن شيعتهم سلام الله عليهم[٦] إذا نزل هذا الكافور على هذه الطينة ماذا سيفعل؟! بركان وانفجار، ويصبح عيوناً تتفجر.

إذا اتقى الإنسان أربعين صباحا فجّر الله تعالى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه[٧]. وهل التقوى ألحقه إلا معرفة الله عبر أهل البيت عليهم السلام؟! هنا تتعاضد

(١) «مفاتيح الجنان» عباس القمي، الزيارة الجامعة.

(٢) سورة الروم: من الآية ٣٠.

(٣) «تفسير القمي»، ج٢، ص١٥٤: حدثنا علي ابن موسى الرضا عن أبيه عن جده محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام في قوله ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قال: هو لا إله إلا الله محمد رسول الله علي أمير المؤمنين ولي الله إلى ها هنا التوحيد.

(٤) سورة الروم: من الآية ٣٠.

(٥) «الكافي»، الكليني، ج١، ص٤١٨: عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً﴾ قال هي الولاية.

(٦) «شجرة طوبى»، الشيخ محمد مهدي الحائري، ج١ ص٣: الصادق عليه السلام: رحم الله شيعتنا خلقوا من فاضل طينتنا، وعجنوا بماء ولايتنا، يحزنون لحزننا ويفرحون لفرحنا.

(٧) «عيون أخبار الرضا» ١، ٧٤، الكافي، ج٢، ص١٦: عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما أخلص العبد الإيمان بالله عز وجل أربعين يوما أو قال: ما أجمل عبد ذكر الله عز وجل أربعين يوما، إلا زهده الله عز وجل في الدنيا، وبصره داءها ودواءها، فأثبت الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه.

الفطرة السليمة والبرهان الإلهي الخاص، والعبودية الخالصة، بحيث تحدث براكين نورانية.

قرأتم في تعريف العشق.. ليس هو إلا بركان كانفجار الذرة، الذرة عندما تنفجر هل لها هدوء أو استقرار.؟! ليس لها ذلك.

الحب العنصري والحب الإلهي:

ونقول استطرادا: هناك أناس لا يستطيعون التفريق بين الحب العنصري الشهواني والحب الإلهي ويخلطون بين الموضوعين، قبل الخوض في هذه المسألة انصح الأخوات أن يقرؤوا كتاب الشهيد المطهري «الإمام علي بين قوتي الجاذبة والدافعة». وكذا تفسير الآية ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ**﴾[١] هذا الحب العنصري ليس حباً قدسياً، ولا يكشف عن صفاء في النفس، بل هو تمحّض للأنانية.

فهذا الحب كالحب الذي ورد في قصة زليخة التي شرحناها في مكة هذا العام، فالمحب إذا كان دافعه هو الحب الشهواني ولم يحصل على مطلبه فإنه يتحول إلى عدو، زليخة بالأمس كانت تحب يوسف وتعشقه، واليوم عندما رفض طلبها تريد أن تلقيه في السجن أو عذاب مهين، قالت: ﴿**وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِنَ الصَّاغِرِينَ**﴾[٢]، فأي حب هذا؟!.

وان كان هناك حب بين الزوجين فهو ما يتناسب مع المودة والرحمة ﴿**وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾[٣].

أصلاً لا يوجد شيء اسمه عشق بهذا المعنى المادي، هناك مودة، المودة فيها شيء من خصوصيات الولاء. المرأة تود زوجها حتى لو لم يوافق هواها دائماً،

---

(١) سورة آل عمران: من الآية١٤

(٢) سورة يوسف: من الآية٣٢.

(٣) سورة الروم: من الآية٢١.

وذلك لأن المودّة تأتي من العشرة والاحتكاك. أما أن رجلاً رأى امرأة وأحبها من أول نظرة وتعلق بها وعشقها ولم يستطيع أن يفارقها ولابد أن يملك رقبتها...، هذا الحب الغريزي إذا كان لصرف تلبية نداء الغريزة فإنه يربي في الإنسان الأنانية ويعمق فيه حب الذات والغرور. هذا ليس حباً. وليس هو الحب الذي يمدحه الله في الزواج وفي العلاقة الزوجية.

إن من خصائص الحب الفداء والتضحية والتفاني ونسيان الذات والذوبان في الأكمل. وهذا لا يتلاعب بعقل الإنسان بل بالعكس، إنه. يجعله يتحرك بما يمليه عليه إيمانه وعقيدته، بل ستتفجر ينابيع المودة ألحقه في قلبه.

لماذا حينما نتحدث عن الحب تنتقل أذهاننا إلى هذا المصداق؟! إنه نتيجة لهذه الثقافات الواردة والغزو النفسي إن صح التعبير. نحن لا نتحدث عن هذا الحب الذي تتصورونه، فهذا خطأ. ليس هذا هو الحب الذي نتحدث عنه، نحن نتحدث عن الحب الذي يفجر كل موارد الخير وكل إمكانيات المعرفة. الله تعالى فطر الإنسان بحيث يمكن أن يكون غزيراً في معارفه، لذلك كان معنى ﴿**يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً**﴾ أنّ الغزارة من ذواتهم تتفجّر بغزارة.

إنّ في أعماق الإنسان، في ذاته، في طينته إمكانية الغزارة والتفجير الغزير، فكيف يحدث هذا التفجير؟! إذا أدركنا حقيقة الحب والعشق الواقعي سوف نعرف كيف يحدث هذا التفجير. يقول الشهيد مطهري: العشق لهيب للإنسان. يقصد أن العشق الواقعي الحقيقي يغير جميع صفات الإنسان، فالعشق يحول الكسول إلى حيوي وفعّال ويحول الخامل إلى إنسان نشط ويحول متبلد المشاعر إلى إنسان رقيق ويحول الإنسان ضعيف الهمة إلى صاحب همة عالية.

عندما تسمعون عن سيرة أهل البيت عليهم السلام ألا تشعرون بنشاط باطني؟! ألا تشعرون بحيوية باطنية؟! ألا تشعرون أن هناك تحريك باطني. لماذا؟! في الحقيقة إن من سمات هذا العشق أنه يخلّص الإنسان من جميع موارد الضعف.

الحب له أثر وهو إظهار الكوامن والمواهب التي في الإنسان، لكن التربية

الخاطئة تغطي المواهب والعلوم الكامنة في النفس. الوالدان غير القديرين، الثقافة التي تقدس الماديات، التسابق على الدنيا، البلادة وتغذية الجانب العنصري في الإنسان... كل هذه العوامل تغطي تلك المواهب. لكن ماذا لو توفرت لشخص كل أسباب الثورة التي هي ليست إلا الروايات، ليست إلا علوم أهل البيت عليهم السلام، ليست إلا الاحتكاك مع أهل البيت عليهم السلام.

ربما نحن لم نجرب قائداً نعشقه. لكني أحب - من باب أداء جزء من واجباتي - أن أصرفكم إلى صورة عشرين سنة لمستها، وهي عشق الإيرانيين للقيادة، للسيد القائد حفظه الله تعالى. كيف تتصورونه؟! أنتم تشاهدون الصورة في التلفاز لكن أنا أعرف أناس عن قرب. هؤلاء ليلهم ونهارهم ونومهم وجلوسهم... فقط يتابعون السيد القائد ماذا قال، وماذا يريد وماذا يجول في خاطره، وماذا يتمنى، وأين يريدنا أن نذهب، ومن يريدنا أن ننتخب، وماذا يريد أن نفعل، وما هي خطاباته التي يجب أن نوصلها إلى الناس؟! أصلاً هؤلاء ليس لديهم وقت حتى يرون ماذا يشترون وماذا يلبسون أصلاً هم ليسوا في هذا الوادي.

هؤلاء الذين عشقوا لا إرادة لهم إلا إرادة مولاهم. المرء العاشق بطبيعته تضعف إرادته ورغباته الشخصية، لذلك هو بـَر، لذلك هو قاهر لحبه الذاتي من جهة ومن جهة أخرى متوسع في حبه لإمامه. ويقولون هذا هو معنى «**قلبي لكم سلم**»[1]، ما معنى سلم؟! وما الفرق بين السلم والاستسلام؟!

الاستسلام: عندما تضع - مثلاً - السلاح خلف ظهر أحدهم وتقول له: امش بالقوة فمشيه هذا استسلام، أما في السلم فهو بنفسه يلقي كل خصائصه ولا يطلب إلا خصائص وليه، فهذا سلم وليس استسلاما. «**قلبي لكم سلم ورأيي لكم تبع**» هذه كلها سلسلة من المواصفات والأخلاق. إذا بدأها الإنسان بخطوة سوف يرى أن الخطوة الثانية تتولد بشكل طبيعي. حينها يتفجر في الإنسان بركان العشق ﴿**عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً**﴾.

---

(١) «مفاتيح الجنان» عباس القمي، الزيارة الجامعة.

فراق العاشق لمعشوقه:

اليوم المصيبة عند أمير المؤمنين عليه السلام. يا أمير المؤمنين إذا لم نؤد حقوقك طوال حياتنا، وإذا كنا قد أخذنا منك كل شيء ولم نؤد لك شيئاً، بل ولم تؤدي لانفسنا.. ففي هذا اليوم جئنا بأبداننا على الأقل، جئنا بملابسنا السوداء على الأقل، إذا كنا قد عجزنا عن أعماقنا فلم نعجز عن لبس السواد، جئنا لنؤدي واجبا وحق أمير المؤمنين عليه السلام.

مرّ أمير المؤمنين عليه السلام في رجوعه من حرب صفين على أرض كربلاء فأخذ من تربتها كفاً وشمّه وألقاه وبكى، وأخذ كفاً ثانياً وشمّه وألقاه وبكى، وأخذ كفاً ثالثاً وأخذ نفساً عميقاً وقال: ها هنا مناخ ركاب ومصارع عشاق.

العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام كان قد ذاب في الحسين عليه السلام وعشقه، الآن الفراق بين عاشق ومعشوق...

ألا لعنة الله على الظالمين.

خلاصة المحاضرة السابعة

١- السنوات الخمس أو الست الأولى في حياة الإنسان هي سنوات تؤسس شخصية الإنسان. وقد عاشت السيدة زينب عليها السلام هذه السنوات في أحضان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام.

٢- زيارتهم عليهم السلام لها آثار واقعيه على الأنفس والإرادة والأعمال والرغبات، فكيف بمن لم يخرج من حريمهم وترعرع في أكنافهم، أكناف القدس والطهارة والنشاط الروحي والمعنوي كزينب عليها السلام ذات الاستعداد المميز والاستثنائي.

٣- الشرب كما يطلق على الشرب المادي يطلق على شدة الارتباط المعنوي والتعلق القلبي بشيء ما.

٤- كما أن لبدن الإنسان عطش وإرواء خاص به، فكذلك لكل من روحه وعقله ومشاعره وأحاسيسه عطشاً وإرواءً كل بحسبه.

٥- الأمير عليه السلام يمير ويزود المؤمنين بالغذاء المعنوي المتمثل بالعلم والمعرفة والعقيدة والأخلاق والصفات الإنسانية، ولذلك هو أمير المؤمنين.

٦- الأبرار (يشربون) فهم في حالة شرب مستمر، شربٌ يتناسب مع عبوديتهم لله تعالى. فهم في آناء ليلهم وأطراف نهارهم لهم عبادة خاصة وشرب خاص ولذلك فإنهم يستحقون لكل منها سلاماً خاصاً أيضاً.

٧- الزهراء عليها السلام أعبدُ أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم. كانت مظهر الفيض الإلهي على قلب زينب عليها السلام مباشرة وبلا واسطة في التلقي.

٨- الشرب من كأس أمير المؤمنين عليه السلام يفتح أبواب محبته عليه السلام من جهة، ومن جهة أخرى يغلق منافذ القلب عن أي محبة أخرى.

٩- الأبرار شيعة علي عليه السلام، أما أهل البيت عليهم السلام فهم المقربون.

١٠- الكافور هو مادة سائلة لها أربع خصوصيات:

أ- البياض الناصع.

ب- طيب الرائحة.

ج- البرودة.

د- الطغيان.

١١- مزاج الإنسان هو مجموع العقائد والرؤية للحياة والواقع والسعادة والشقاء والأخلاق والصفات والثقافة والتربية والخصائص الوراثية.

١٢- طبيعة العقيدة القوية هي طبيعة الكافور إذ تطغى ولا يطغى عليها، فتقيد الشهوات وكل الرغبات والأخلاق الوراثية السيئة.

١٣- برودة الكافور تسبب حالة من التروي بماء العقيدة الطيبة الريح، وتعطي سعة عن الشهوات والرغبات والخطايا فتتولد عند المؤمن حالة من الصفاء والهدوء والسكينة فيملك الإنسان إرادة نفسه ومن ثم يفنيها في إرادة إمامه.

١٤- إذا امتزج الكافور بطينة الولاية الطاهرة المخمرة بحب الله وأوليائه فستتفجر في أعماقه براكين نورانية من الحب والعشق والمعرفة وكل مورد للخير.

١٥- من خصائص الحب الفداء والتضحية والتفاني ونسيان الذات والذوبان في الأكمل. بينما الحب الغريزي فهو ليس هو إلا تلبية لنداء الغريزة وأثره هو تربية الأنانية وتعميق حب الذات في الإنسان.

الحمد لله رب العالمين.

عشق عباد الله

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾[1].

الحديث عن مقام قابل للتأسي:

الحديث بخصوص المبررات الموضوعية التي يشير إليها القرآن الكريم باختصاص الأبرار، وبكونهم المحجة البيضاء التي ينبغي أن نتأسى بها، وقد أشرت أكثر من مرة إلى أن هذا ليس حديثاً عن مقام الأئمة عليهم السلام بما أنهم أئمة، لأن الحديث في سطحٍ يشمل معهم خادمتهم فضة، وهذه إشارة إلى أن الحديث في مقام بيان إمكانياتِ التأسي والاقتداء وبيان الشخصية العائلية الأسرية التي يجب أن تكون أسوة وقدوة. لأن مقام المقربين وهم أهل البيت عليهم السلام مقام لا يصل إليه أحد، والكلام فيه ليس لكل أحد، الكلام عن مقام قابل للتأسي وقابل لأن يكون أنموذجاً واضحاً وبيّنا، واللطيف أن الآيات سلطت الضوء على جذور وأصول ومنابت هذا البيت.

الفرق بين الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة:

الفرق بين الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة هو أن الكلمة الخبيثة جثة اجتثت

---

(١) سورة النور: ٣٧_٣٦

من فوق الأرض ما لها من قرار، الكلمة الخبيثة والأسرة الخبيثة شكلها واضح فهي كالجثة التي اجتثت من فوق الأرض، لماذا جثة؟! لأنه ليس لها أصل ثابت ولا منبت ولا منبع. وأما الكلمة الطيبة فأصلها ثابت، الأسرة التي لا تنبني على منابع ومباني حقة هي جثة، تأكل وتشرب وتمشي، لكنها اجتثت من فوق الأرض.

ولذلك تلحظون هنا أن الآيات القرآنية لا تتكلم عن عناصر ثانوية وعن فروع، وإنما تتكلم عن أصول هذه الأسرة وشخصيتها. إننا إلى الآن لم نتحدث عن طفولة زينب وشباب زينب عليها السلام، فحتى الآن لم نصل إلى ما بعد المباني الأساسية.

الأسرة طريق حسن للارتباط بالأكمل:

إن الأسرة والعائلة هي قناة الاتصال الأولى التي يرتبط بها الإنسان مع العالم الخارجي، والتي يدرك بها واقعه شئنا أم أبينا. مثلاً عندما نسمع مصيبة الإمام الحسين عليه السلام وعندما نسمع فراق زينب عليها السلام للإمام الحسين عليه السلام، الأخت تتذكر أخاها والأم تتذكر ابنها...هل هذه المسألة صحيحة أم لا؟! هل هذه المقايسة صحيحة أم لا؟! هل للشخص إذا سمع المصيبة أن يقايسها مع مشاعره الطبيعية تجاه أهله أم لا؟!

الجواب: هذه المسألة من جهة صحيحة جداً ومطلوبة جداً، ومن جهة أخرى تحتاج إلى ترقية وتكميل وترشيد. ماذا تعني صحة هذه المسألة؟. العلامة الطباطبائي صاحب الميزان يقول: من أفضل الطرق للوصول إلى العلاقات الكاملة، القياس، إذ ليس القياس باطل مطلقاً. بل يمكن في أساليب التعليم أن نقيس مع حفظ الفارق. فمشاعر الأخوة الإنسانية لها خصوصية، ومشاعر الأبوة لها خصوصية... وهم صلوات الله عليهم يملكون هذه المشاعر كما نملكها لكنها عندهم عليهم السلام على أكمل وجه. لذلك لا بأس أن نستحضر علاقة الأبوة وعلاقة الأخوة لكن بشرط أن نحذف النقائص التي تعتري علاقتنا وتقتضيها طبائعنا الناقصة، وإلا لو لم يكن عند الإنسان واضحات في المسائل الوجدانية الفطرية يقيس عليها لأغلقت عليه أبواب من المعرفة.

وعليه لا بأس أن ننطلق من مشاعرنا البيتيّة الأسرية الفطرية النظيفة، فالأخوة والأبوة والأمومة مشاعر إنسانية راقية، بل هي تفتح باباً واسعاً لنا في عالم الوجدانيات. كل إنسان يستطيع أن يجرد علاقاته من الشوائب والنقائص التي تعتري طبيعتنا المحدودة الجاهلة غير المعصومة، لتصبح بذلك طريقاً لمعرفة العلاقات الأكمل بل هي طريق حسن أيضاً.

ثم ننتقل إلى الأكمل فالأكمل، فيكون أفضل طريق للمحبة البدء من الأعماق، لأن العلاقات الأسرية بدأت مع الإنسان منذ نعومة أظفاره. ما أريد قوله أن الأسرة بما فيها من مشاعر وأحاسيس وعلاقات هي خير منطلق وهي خير مبدأ. ولكن علينا أولاً أن نزيل الحجب والسدود التي على قلوبنا وفكرنا لكي نستطيع فعلا أن نفجر مشاعرنا من الداخل صادقة عميقة عن تجربة.

إذن أول تصور نشكله في أذهاننا عن أي شخص لابد أن يكون منطلقه الأسرة فنتصوره داخل أسرته. صحيح أن الإنسان يتغير ويتبدل وتتسع آفاقه ويهذب نفسه ويتعلم ويبحث عن الأكمل لكنه لا يفقد خصائصه الأولى مئة في المئة.

زينب عليها السلام تعرف بأسرتها وبيتها:

إذا كانت الأسرة كاملة أو كانت الأسرة آفاقها وحدودها كآفاق وحدود بيت علي وفاطمة عليهما السلام، بيت لا سقف له ولا حد له، كشَط لهم جبرائيل عليه السلام فرجة من تخوم الأرض إلى عنان السماء... طبعاً ستكون لِـمشاعر المودة والمحبة لون وطعم آخر!!

بمعنى أنه إذا أردنا فهم زينب عليها السلام والحسين عليه السلام، فكلاهما عاشا في بيئة واحدة، بعناية إلهية واحدة، برعاية واحدة وبلطف واحد. نعم، الإمام الحسين عليه السلام أعطاه الله تعالى الإمامة والولاية وهذه مرتبة راقية عالية. لا يوجد فرق بين الحسين عليه السلام وزينب عليها السلام إلا أن هذا إمام مفترض الطاعة، حجة الله، وكل خصائص الإمامة موجودة فيه، وهي عليها سلام الله تتوفر فيها كل خصائص المأموم، ولكنها ليست إمام مفترض الطاعة.

إن شاء الله تعالى في الحديث عن اندكاك العشق سوف تلحظون أنه إذا كانت العلاقة شديدة بين شخصين فالمحب يفقد كل صفاته وخصائصه الذاتية. ويتصف بخصائص المحبوب. وستعرفون أن الشيء الوحيد الذي يجعل الإنسان يندك في شخص ويذوب فيه هو شدة تعلقه بذلك الشخص.

آيات هذه السورة تتكلم عن سور هذا البيت الذي شمل خادمتهم فضه، فالأولى أن يكون هذا المحيط والبيئة الطاهرة والعناية الفائقة تشمل زينب عليها السلام التي اسمها في العرش!!

المحبة والعشق منطلق عبادة «عباد الله»:

عوداً إلى محيط البيت وحجمه وسعته وعلو بنيانه.. ﴿**إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً * عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً**﴾ لماذا قال ﴿عباد الله﴾ ولم يقل (عبيد الله)؟!

نقف عند بعض المواقف التربوية والأخلاقية. لاحظوا الفرق بين العبيد والعباد:

- العبيد يأتون بأفعالهم وتصرفاتهم وسلوكهم من مقام الملكية والسلطنة والسيطرة عليهم.

- العباد يأتون بأفعالهم من مقام الحب والرغبة والمعرفة والشوق. يقول الإمام الخميني قدس سره عن ضربه الأمير عليه السلام يوم الخندق لعمر بن عبد ودّ العامري: «إن قيمة الأعمال ترجع للحب والعشق للحق تعالى وترجع إلى الفناء والتوحيد المتواجد في الإنسان، وهذا الأمر هو الذي أعطى الأهمية لهذه الضربة حيث صارت أفضل من عبادة الثقلين، ولو فُرض أن شخصاً آخر كان قد ضرب هذه الضربة دفاعاً عن الإسلام، وبالفعل أدت تلك الضربة إلى حفظ الإسلام وانتشاره ولكن مبدأها لم يكن عشقياً بالتأكيد لم تكن تلك الضربة أفضل من عبادة الثقلين فليست تلك القيمة لرفع اليد وقتل عمر بن عبد ود الكافر، بل القيمة المعنوية للنية

والعشق لله سبحانه» انتهى كلامه ﷷ. وكل أعمال أهل هذا البيت كذلك. إذ أن العشق حالة روحية وملكة تحكم على القلب. والآيات هنا تشير إلى هذه الحالة وهذه الميزة في أعمالهم صلوات الله عليهم جميعا.

نحن عندنا تجربة من أنفسنا، الصلاة مثلاً، إنها لا تستغرق أكثر من ١٠ دقائق تقريباً ولكن كم هي ثقيلة على الإنسان. ما هو السر في كونها ثقيلة؟ لأنّ الإنسان يكره أن يأتي بعمل من منطلق الإجبار والإلزام، فإذا شعر بأنه مجبور على الصلاة فإن هذه الصلاة تصبح ثقيلة. لكن الله تعالى عندما يتكلم هنا يتكلم عن ﴿عباد الله﴾ وليس (عبيد الله)، وذلك لأنهم ينطلقون في عبادتهم من مقام الاستسلام وربط العلاقة وتوثيقها بمحبوبهم، لماذا؟ لأنهم عباد الله.

المعرفة والمحبة والحياء منشأ الخوف من مقام الرب:

أتعرفون ما معنى اسم ﴿الله﴾؟! الله هو اسم علم للذات المستجمعة لكل الكمالات، اسم عَلَم يدل على الذات التي تجمع كل صفات الجمال والجلال. إذن حتى يكون الإنسان عبداً يجب عليه أن يعرف الله تعالى، فإذا عرف صفات الجمال والجلال والوحدانية وصمدانية القدرة الإلهية، فإنه يأتي بالعبادة على نحو طلب القرب من مصدر الجمال والكمال المطلق، فمن الذي يرفض القرب من الكامل؟! من الذي لا يبحث عن القرب من الكامل؟! الله تعالى لا تفيده عبادتنا وصلاتنا، سيّان عنده تعالى صلينا أم لم نصلّ، هناك شيء واحد يريده الله تعالى وهو أن نحبه ونعرف أنه الله. إنه يحب عملاً واحداً هو أن نعرفه «**كنتُ كنزاً مخفياً فأحببتُ أن أُعرف فخلقت الخلق لكي أُعرف**».

أجمل وأوضح من تكلم عن الله وفصّل في الأسماء والصفات الإلهية بأكمل بيان - بحسب ما وصلنا - هو أمير المؤمنين عليه السلام، فعندما تقرؤون خطب الأمير عليه السلام في حروبه، في صلاة الجمع، في رسائله... تجدون مادة ضخمه جداً تحتاج إلى متخصص في الإلهيات غارق في بحور التوحيد لكي يفهمها. أمير المؤمنين عليه السلام أغرق في الحديث عن الله تعالى وصفاته الجمالية والجلالية. هذا في خطبه

في الحرب وكيفية تعليمه لجيشه، فكيف مع أبنائه!! ليت التاريخ نقل لنا بشكل مفصل أحاديث علي العذبة الخاصة في بيته ومع أبنائه وهو العارف العاشق المتيم، وهم أهل العصمة والطهارة من كل شوب ورجاسة.

هؤلاء عبا د الله، ترى أي وديان العشق يسلكون؟! ومن أي كأس ملاطفة يشربون؟! لم تكن عبادتهم لله تصدر بداعي الخوف من الله تعالى بالمعنى الذي نفهمه للخوف من الله تعالى، بل انطلاقاً من كونه ربهم المعتني بهم الذي له الأيادي الجميلة والعطايا الجزيلة صاحب المواهب السنية الذي يغذيهم بالرعاية صباحاً ومساءً... ولذا هم لا يخافونه بما انه الله بل يخافون مقامه.

وكما هو واضح لم يرد في القرآن التوصية بمخافة الله بهذا الاسم وإنما الخوف من الرب، وهذا مختلف تماماً، أي ليس عندنا مفهوم «الخوف من الله» لأن الله يُحـَب. الذات الإلهية مستجمعة لصفات الجمال والجلال والعظمة فهي تـُعشق ولا تـُخاف. نعم ورد في موردين فقط: الأول: عن إبليس في قوله إني أخاف الله رب العالمين وهذا راجع إلى خوفه من كفره. ﴿**إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[1]، ﴿**إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**﴾[2] والثاني: عن لسان هابيل ﴿**إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**﴾[3] وهذا كذلك في موضع خوفه من إثم وقتل أخيه.

ولكن الوارد هو الخوف من مقام الله، وهذا يختلف لأنه خوف ممزوج بمعرفه، بل هو من خصائص المعرفة لأن المقام يعنى المرتبة والعظمة، يقول الشهيد المطهري رحمة الله عليه: «إن هذا ليس خوفاً من عذاب الله لأن هذا الخوف ناشئ من إدراكهم للعظمة الإلهية ومقتضاه أن يصغر كل شيء في نظرهم مما سوى الله «**عظم الخالق في أنفسهم وصغر ما دونه في أعينهم**»[4] فليس لما سواه في أنفسهم

---

(١) سورة لأنفال: من الآية٤٨.

(٢) سورة الحشر: من الآية١٦.

(٣) سورة المائدة: من الآية٢٨.

(٤) «نهج البلاغة»، ص٣٠٣، من خطبة له يصف فيها المتقين «عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم».

مكان، لا دنيا ولا حتى جنة ولا نار... كلها لا شيء.

إنّ من يعرف الله سبحانه، يحبه ويتعلق به ويهابه لأنه أهلٌ للمهابة، وإدراكه هذا يجعله يخشى مقامه ويستحي منه، نعم هو يحذر الآخرة ولكن يرجو رحمة ربه، ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾[1] لا يحذر الله، بل يحبه ويخاف مقامه وعظمته، ويستحي من قيامه عز وجل عَليه.

وقد فُطر الإنسان على حب المنعم والحياء من مخالفته سيّما إذا كانت نعمه عميمة وابتدائية «**وإذ كل نعمك ابتداء**»[2] هنا تنفتح أمامه آفاق الطاعة، والحياء من المخالفة، والرغبة في الزلفى والعبودية، ولهذا تصدر منه الأعمال على نحو العبودية، والإنسان يشعر بعمق هذه الفطرة الأصيلة في طبيعته الأولية.

الحياء عصمة إلهية في الأعماق:

عندما نراجع آيات سورة العلق وهي أول ما نزل من القرآن الكريم، والتي تتحدث عن عبادة الله تعالى، نجدها تتكلم عن جانب الحياء ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾[3]. في الآية نكتة لطيفة، جعلت العلم برؤيا الله لنا وإشرافه علينا سبباً لردعنا عن المعاصي، وهي من أوائل الآيات القرآنية النازلة على رسول الله ﷺ، لقد نزلت قبل الحديث عن الحساب وجهنم والأغلال والسلاسل.

عندما نعلم أن هناك من يرانا ويطلع علينا فإننا نستحي من الخطأ أمام ناظريه، بل لو علمت أنّ طفلاً يراك فأنت لن تستطيع أن تسرق وهو يراك، لأنك تستحي منه. والسبب: لأنه يرى! لماذا تشعر بالحياء؟! هذه فطرة الإنسان، فالقرآن الكريم يضرب على هذا الوتر الحساس فيقول: كما أنك تستحي من الطفل فلماذا لا تستحي من الله تعالى؟!

---

(١) سورة الزمر: من الآية٩.

(٢) الصحيفة السجادية، الدعاء ١٢ (دعاؤه في الاعتراف وطلب التوبة إلى الله تعالى) «وفدا بحسن ظنه إليك، إذ جميع إحسانك تفضل، وإذ كل نعمك ابتداء».

(٣) سورة العلق: ١٤.

ما معنى الحياء؟ الحياء وديعة من ودائع الله تعالى، الحياء نور إلهي يجعله الله سبحانه في الأعماق، الحياء عصمة إلهية يجعلها الله في القلب. أمير المؤمنين وهو يتحدث عن فقد الحياء يقول: «**اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم**»[١] ما هي العصم؟ وأين هي هذه العصم؟ ما هي الذنوب التي تهتك العصم؟

الجواب: يوجد داخل الإنسان أشياء طبيعتها معصومة، فالله سبحانه وتعالى خلق العصمة في أعماق الإنسان والعصمة هي الحياء، الوجدان، الأدب، الرقة، الظرافة، العقل، العدالة... هذه كلها عصم موجودة في أعماقنا لكننا نأتي بمعاصٍ وذنوب تهتكها. وفي الرواية «**من أذنب ذنبا فارقه عقل لا يرجع إليه أبدا**»[٢].

الحياء قيمة ولذة وجمال روحي أصيل:

الحياء وديعة لله سبحانه وتعالى، فإذا نهانا الله تعالى عن ارتكاب المعاصي من جهة شرعية، فقد خلق فينا تكويناً ما يساعدنا ويعيننا على ذلك، والروايات الصادرة عن أهل بيت العصمة والطهارة في الحياء جديرة بالتأمل والمطالعة، خصوصا للنساء!

إن من أجمع الأدعية الدعاء الذي نقرؤه في آخر نهار الجمعة «**وعلى النساء بالحياء والعفة**»[٣]. الشهيد المطهري رحمة الله عليه عندما تعرض لقوله تعالى: ﴿**فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ**﴾[٤] وقوله: ﴿**حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ**﴾[٥] أشار إلى نقطه لطيفة، يقول: إن كونهن قاصرات الطرف على أزواجهن أي يغضضن من أبصارهن، هذه الصفة في حد نفسها لذة روحية لهن، إذ إن القرآن الكريم يؤكد على أن العلاقة في الجنة بين الأزواج والحور أو نسائهم في الدنيا ليست علاقة غريزيه

---

(١) (مفاتيح الجنان) دعاء كميل / ص٩٦. معجم مقاييس اللغة (عصم) العين والصاد والميم أصل واحد صحيح يدل على إمساك ومنع وملازمة.

(٢) «من أذنب ذنبا فارقه عقل لا يرجع إليه أبدا».

(٣) (مفاتيح الجنان) / ص١٦٣، دعاء المهدي عليه السلام: وتفضل على علمائنا بالزهد والنصيحة، وعلى النساء بالحياء والعفة.

(٤) سورة الرحمن: من الآية٥٦.

(٥) سورة الرحمن: ٧٢.

فقط ثم يشير إلى نقطة أساسية ويقول: إن الحياء جمال أساسي وأصيل عند الإنسان وعند المرأة بالذات.

البعض يعتقد أن الغرض من العفة والحياء هو حفظ الأنساب والعلاقات في دار الدنيا فقط، والحال ليس كذلك، بل الحياء وغضّ الطرف في حد نفسه قيمة جميلة وأصيلة، ولها إشباع روحي خاص، فضلاً عن حفظها الأنساب والأغراض القانونية الدنيوية.

على أي حال الحديث عن الحياء بما أنه موهبة إلهية راقية وقيمة معنوية عالية لا يشك فيه مُطّلع، يقول الفرزدق وهو يمدح الإمام زين العابدين عليه السلام «**يغضي حياء ويُغضى من مهابته**» اقتران رائع بين جوهرتين: الحياء والهيبة.

من لا يستحي يفقد حسا إلهياً أساسياً وأصيلاً. وعليه فالقرآن الكريم يركز على هذا الحس ويجعله من مبررات نزاهة الإنسان ومن عوامل حفظه عن الوقوع في الإثم.

أسباب العصم هي العقل والحياء. أنت تستحي من الطفل فلماذا لا تستحي من الله تعالى؟! لذلك إذا عرف الإنسان الله تعالى بأسمائه وصفاته العليا، فإنه سيترك المعاصي وينفر منها ويخافها ويحب الله تعالى ويطيعه عشقا له.

ولذا جاء النهي عن الإتيان بالعبادة على نحو الإجبار والإكراه. حتى في مجال التربية، لا يبدأ المربي بالحديث عن النيران وعذاب جهنم، فالله سبحانه ليس سلطاناً جائراً، ومشرّعاً يريد أن يقصم ظهورنا بهذه القوانين الشاقة، ولكن الله تعالى لا يرضى لعباده الكفر.

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «**فارّ من سخطك إلى رضاك، هارب منك إليك**»(١) الذي يخاف شيئاً هل يفر منه إليه؟! أو هذا دليل على شدة التعلق وعدم الاستغناء فحتى حينما تفر من سخط الله تعالى وغضبه بسبب جرمك، فإلى أين تلجأ؟ إلى لطفه ورحمته وكرمه، وهي قد وسعت كل شيء وسبقت غضبه، بل هي الأصل. يقول الأستاذ الآملي: أن الرحمة هي التي تنظم قانون الحساب والعقاب والغضب الإلهي،

(١) «مفاتيح الجنان»، ص١٦٩، المناجاة الخامسة: مناجاة الراغبين.

يعني أن الرحمة هي الأصل ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1] إلا أن يكون هناك مورداً لا يمكن أن تنطبق عليه، هنا العلاج والإصلاح والحكمة تقتضى التأديب.

الاختيار واللين والمداراة شرط الهداية:

إن علماء التربية يتحدثون عن أفضل الأساليب لتحريك العوامل الخيّرة الكامنة في الأعماق ويقولون أن الأصل هو الهداية والتحريك بلطف وهدوء، فالهدوء وعدم الضغط على الآخر شرط مأخوذ في الهداية، وإلا ما فائدة الإتيان بالأعمال الحسنه على نحو الإكراه والجبر؟. لماذا لم يفرض أهل البيت عليهم السلام سلطانهم على الناس ويلزموهم بالطاعة؟. لماذا لم يجبروا الناس بالحديد والنار؟ لماذا لم يقوموا بثورات في حياتهم وقادوا الناس رغما عنهم؟ ذلك لأنهم يريدون أن يقوم الناس بالقسط ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[2].

ففي ظرف الاختيار وفي ظرف هذه النشأة لا قيمة لقيادة الناس مكتوفي الأيدي لله تعالى، بل لا يتحقق ذلك أصلا. ولذا هم عليهم السلام هداة وموجهون، والهداية للمطلوب تتوقف على تبنّي الناس للعدل وحبهم له، وهي حركة يجب أن تنبع من أعماق الناس. حتى نبي الله موسى عليه السلام عندما أراد أن يذهب إلى فرعون - وهل هناك سلطان متجبر أكثر من فرعون - طلب من الله سبحانه وتعالى وقال: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾[3] ليتكلم ويبين ويحتج ويحدّث، فنبي الله موسى طلب من الله تعالى أن يطلق لسانه، لأن الأصل ليس المواجهة، بل إنّ النار والحرب والقوة هي آخر الدواء. الحجة والبرهان والبينة هي الأصل ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾[4]. القول اللين والمداراة

---

(١) سورة الأعراف: من الآية١٥٦.

(٢) سورة الحديد: ٢٥.

(٣) سورة القصص: ٣٤.

(٤) سورة طـه: ٢٧-٢٨.

لإيصال الحقيقة بشكل يقبلها الطرف الآخر هو الأصل. وهذا ليس من الضعف في تبليغ الدعوة أبداً، بل هو شقّ طريق للهداية وتعبيد سبل العودة إلى الله تعالى.

فلم يبدأ موسى عليه السلام الحديث مع فرعون من أول الطريق بقوله ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً﴾[١] لا، بل كان هذا الكلام بعد البيان والآيات والحجة والدليل والأقوال اللينة. لأنّ الأصل هو الحجة والبينة والدليل والبرهان وهو أول مبادئ التربية الصحيحة.

إنّ هؤلاء الذين خصهم الله ببرهانه وآياته، يأتون بالأعمال معرفةً بالله تعالى وقد أصبحوا عباد الله لأنهم أولاً عرفوا من هو الله تعالى.

القران الكريم ذكر كلمة العباد في حدود ١٠٠ آية،، بينما الآيات التي تتكلم عن العبيد فهي ٥ آيات فقط.

الآيات التي تتحدث عن العبيد، تتحدث عن الذين لم يعرفوا الله والذين جرهم إسرافهم إلى ارتكاب المعاصي والآثام والذنوب واقتراف كل ظلم، لاحظوا الآيات:

١ - ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[٢].

٢ - ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[٣].

٣- ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[٤].

٤ - ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[٥].

٥ - ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[٦].

---

(١) سورة الإسراء: من الآية١٠٢.
(٢) سورة آل عمران: ١٨٢.
(٣) سورة الأنفال: ٥١.
(٤) سورة الحج: ١٠.
(٥) سورة فصلت: ٤٦.
(٦) سورة قّ: ٢٩.

تجدون أنّ الكلام فيها عن الحساب والعقاب والسلطنة والجبروت، لأن هؤلاء هم الذين ظلموا أنفسهم، الكلام دائماً في موقع دفع الظلم عن الله تعالى لأنه يقول في النهاية: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ أي أن هؤلاء هم الذين ظلموا أنفسهم.

لكن عندما يكون الكلام عن الرحمة يختلف الخطاب الإلهي:

١ - ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[1].

٢ - ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[2].

٣ - ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[3].

الآية الثالثة رائعة.. لاحظوا أنه لم يقل (عبيدي) وإنما قال (عبادي)، فهُم خارجون من دائرة القذارة والخطيئة أصلاً. فقط عرفوا الله تعالى وعرفوا الأسماء والصفات الإلهية. ولذلك قالت الآية: ﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ ولم يقل (عبيد الله) لأنهم أبرار وأحرار ويبحثون عن مواقع القربى والزلفى ويتحركون انطلاقاً من الرغبة فيها.

لماذا قال في الآية ﴿عباد الله﴾ ولم يقل (عبادنا)؟

كان مقتضى السياق أن يقول (عبادنا) لأن الآيات تقول: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً * إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالاً وَسَعِيراً﴾[4] إذاً لماذا قال (عباد الله)؟ ولماذا ذكر اسم الله؟. هناك ثلاث نكات رائعة:

النكتة الأولى هي: التبركً باسم الله تعالى. فالاسم الذي فيه بركةً يُذكر عادة.

---

(١) سورة البقرة: من الآية١٨٦.
(٢) الزمر: من الآية١٧ -١٨.
(٣) سورة الحجر: ٤٢.
(٤) سورة الإنسان: ٤-٢.

النكتة الثانية: الاستئناس بذكر المحبوب. نحن عندما نصلي على محمد وآل محمد نقول: اللهم صل على محمد وآل محمد ولا نقول: اللهم صل على محمد وآله، فلماذا نختم بذكر اسم محمد؟ ذلك لأن جريان الذكر الجميل حلو على اللسان. وبماذا نختم الصلاة؟ ليس بالتسليم، فالتسليم هو الخروج عن الصلاة، إنما آخر الصلاة هو اسم محمد ﷺ (اللهم صل على محمد وآل محمد) حتى يبقى آخر شيء على اللسان اسم رسول الله ﷺ.

هل تعلمون ما هو الفرق بين (اللهم صل على محمد وآله) وبين (اللهم صل على محمد وآل محمد)؟! الفرق أن الإنسان كلما قال (ﷺ، اللهم صل على محمد وآل محمد) فإنه يختم باسم محمد فيذكره ويصلي عليه مرة أخرى. إذن فـالتعبير بـ(عباد الله) هدفه أن يذكر ويظهر القارئ اسم الله تعالى، وإن كان مقتضى وحدة السياق أن يقول (عبادنا) ولكن تعبير (عباد الله) فيه إظهار بأنّ الإستيناس بذكر اسم المحبوب أمر مطلوب، ويقال أن ذلك على غرار قول النبي للحسين عليهما وآلهما السلام: «**حسين مني وأنا من حسين**» فالرسول ﷺ لم يقل: «حسين مني وأنا منه» - رغم أنها تؤدي نفس الغرض - لأنه ﷺ يريد أن يختم الكلام باسم الحسين عليه السلام. وهو يريد أن يبقى اسم الحسين عليه السلام على لسانه. يقولها التذاذاً بذكر الحسين وتشوقاً لذكر الحسين.

النكتة الثالثة: أن ذكر اسم (الله) يفتق في العقل والذهن والروح أن هناك كمالاً وجلالاً وجمالاً وعظمة أنت مدعو للقرب منها، وليس سلطاناً وعبودية ونيراناً وعذاباً، فهذا آخر شيء «آخر الدواء الكي» آخر شيء نيران جهنم.

نحن نعلّم الطفل أن يقول (الله) ولكنه لا يعرفها ولا يفهم معناها، فعندما نقول له (الله) لابد أن يكون سلوكنا وعملنا في نفس الوقت - كما عبّرنا سابقاً - تحريكاً للعقيدة وتحويلها إلى شأن حياة فالتربية الصحيحة تقتضي أنك عندما تقول للطفل اذكر (الله) أن تكون حياتك صناعة له، أي تصنع ذكر الله تعالى في سلوكك وقولك وفعلك وتوضيح هذا يحتاج إلى بحث تربوي نتحدث فيه عن تحريك العقائد. لذلك الحركة (حركة جذب) حتى تنفجر فيما بعد، وحتى يكون

هناك تفجّر وعشق لابد أن يؤتى بالعبادة على نحو من الإنجذاب، فليس هناك عشق وعبادة من دون انجذاب.

يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً:

﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً﴾[1] لماذا يفجرونها؟ أغلب المفسرين يقولون لأنّ (عباد الله) استطاعوا أن يفجروا هذه العيون، فالذي يعرف الأسماء والصفات الإلهية المودعة فيه يستطيع أن يشرب وهذا الشرب يسبب التفجير، لذلك لم يقل ﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾ فقط، إنما قال ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرا﴾. مستعملاً أسلوب التـأكيد.

هناك مدرستان في التفسير. مدرسة تقول: أن اللفظ المكرر يضاف للتأكيد، وأخرى تقول أنه ليس هناك لفظ يفيد صرف التكرار والتأكيد فقط، بل لا بدّ أنّ فيه معنى تأسيسي جديد، ويحمل توجيهاً. لذلك عندما قال ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً﴾ فهو يقصد أن هذه تؤكد حالة العبودية والذوبان والتفجير فيهم. إن المشاعر والأحاسيس والمعرفة إذا وصلت إلى حد التفجير المؤكد فإن الإنسان لا يخرج عن طور العبودية وعن طور محبة الله تعالى أبداً.

ما هي خصوصية هذا الإطعام؟

﴿يوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾[2] لماذا كانت مسألة الوفاء بالنذر تترتب على الشرب؟ لاحظوا: ﴿يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾. لماذا قال: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ ولم يقل: (سيوفون بالنذر) أو لم يقل: (ويوفون بالنذر)؟ قال: (يَشْرَبُونَ... يُوفُونَ)، فلم يذكر واو العطف.

أحد أوجه الجواب يقول: إذا كان الوفاء بالنذر قد وقع في الدنيا فأين سيكون الشراب؟ هل سيشربون في الدنيا أو عندما يذهبون إلى الله تعالى؟ الشرب واقع في

---

(١) سورة الإنسان: ٦.

(٢) سورة الإنسان: ٧.

الدنيا، أما عندما يذهبون إلى الله تعالى فهناك يقول: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾[1]، ويقول: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً﴾[2]. ويقول أيضاً: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً﴾[3] فهذا كله هناك عندما يفدون على الله تعالى. لكن الكلام في ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِير * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ ليس عن العالم الآخر وإنما عن تفعيل العقائد في هذه الدنيا، عن تفعيل العقائد في السلوكيات وفي الفعل، أي في نفس الوقت الذي يوفون بالنذر في هذه الدنيا هم يفجرون عيوناً أيضاً.

والآن بدأت السورة تتكلم عن مسألة أخلاقية واجتماعية، عن أخلاق هؤلاء وسلوكهم مع الناس، كيف يصف الله تعالى علاقتهم مع الناس وحبهم لهم ولهدايتهم؟

إذا أعطاك شخص شيئاً وقال لك: أنا لا أريد منك جزاءً ولا شكوراً، فأنت إما أن تشك في نيته أو تصدقه أو لا تصدقه. لكن عندما ينزل الله تعالى الوحي ويقول هؤلاء لا يريدون جزاء ولا شكوراً، فهناك فرق كبير بين الحالتين، فالله تعالى يريد أن يتحدث عن علاقتهم مع الناس، وحبهم للناس، وحبهم لخدمتهم وهدايتهم، وأن هؤلاء يهلكون أنفسهم في سبيل هداية الناس لا لشيء أبداً، إلا لأنهم يريدون مصلحة الناس، ولا يريدون جزاءا ولا شكوراً، وهم يعرفون أن تبنّيهم للهداية مشروع سوف يهلكهم.

هؤلاء في داخلهم أنوار تضطرم وتتفجر تفجيراً لهداية الناس ولإعطائهم القدر الأكبر من مصالحهم، يرون أنفسهم مكلفون برعاية مصالح الناس، ليس تكليفاً مثل تكليفنا بالصلاة، إنما تكليف يأتي من أعماقهم وذواتهم وخصائصهم.

وكما أنهمّ للعبادة عشاق، نجد أيضاً في إطعامهم الطعام قيماً اجتماعية لا حدّ لها. ففي الكلام عن الإطعام لم يقل: (يعطون الطعام) إنما قال: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ

---

(١) سورة الإنسان: من الآية ٢١.
(٢) سورة الإنسان: ١٢.
(٣) سورة الإنسان: ١٧.

عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾. أي لم يعطوه الطعام وينصرف وإنما يطعمونه إياه أي يتناوله أمامهم. قد يقول شخص ما هي أهمية هذا الوفاء بالنذر؟! إذ كلنا نفي بنذورنا. كلنا يمكن أن ننذر ونفي بنذرنا، فماذا يعني أن يذكر هذا النذر في القرآن الكريم؟ وما هي خصوصية هذا النذر؟ الحديث عن كيفية أدائهم لهذا النذر هو بالضبط نفس الحديث عن عرفانهم بالله تعالى. آفاق وقيم تتفجر من منابع قلوبهم الصافية حباً للقيم والناس ورحمة بهم.

العرفاء يقولون كلمة رائعة في شرح الروايات التي تفيد بأن أول ما خلق الله نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم [1]، وأن هذا النور هو العقل، قال له الله حين خلقه أقبِلْ فأقبَل ثم قال له أدبر فأدبر[2]. هل تعلمون ماذا يعني «أدبر فأدبر»؟ معناه لطيفَ وهو: أنّ الإنسان إذا أقبل على الله تعالى ورأى كل هذه الأنوار الإلهية هل يستطيع أن يدبر ويذهب للناس؟! لا يستطيع. هل لنا أن نتصور مدى العناء الذي لابد أن يتحمله هذا العارف الواصل حتى يرجع إلى الناس؟! فالانقطاع إلى الله تعالى لذة إذا حصل عليها الإنسان فإنه يتعذب عندما يعود إلى الناس ويرتبط بهم، يُستثنى من ذلك الذين قال لهم الله تعالى: «أدبر فأدبر» وعادوا إلى الناس وهم محمد وآل محمد. الذين يصدر منهم الإدبار والرجوع لا لجزاء ولا لشكور، وإنما لشيء واحد هو مصلحة للناس ووجه الله تعالى والمصلحة الحقيقية. ولهذا قال الإمام الحسين

---

(١) «الميزان في تفسير القرآن» السيد محمد حسين الطباطبائي، ج١ / ص١٢١: رواه في البحار عن جابر بن عبد الله قال: قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أول شيء خلق الله ما هو؟ فقال: نور نبيك يا جابر، خلقه الله ثم خلق منه كل خير، ثم أقامه بين يديه في مقام القرب ما شاء الله ثم جعله أقساماً، فخلق العرش من قسم والكرسي من قسم، وحملة العرش من قسم... ثم نظر إليه بعين الهيبة فرشح ذلك النور وقطرت منه مائة ألف وأربعة وعشرون ألف قطرة فخلق الله من كل قطرة روح نبي ورسول ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسها أرواح الأولياء والشهداء والصالحين.

(٢) «الكافي» الكليني، دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٦٥ هـ ش، ج١ / ص ١٠، كتاب العقل والجهل: عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما خلق الله العقل استنطقه ثم قال له أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر، ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إلي منك ولا أكملتك إلا فيمن أحب أما وإني إياك آمر وإياك أنهى وإياك أعاقب وإياك أثيب.

عليه السلام: «**إنما خرجت لطلب الإصلاح**»[1]، فالإمام الحسين عليه السلام داخله وأعماقه ووجدانه وخصائصه الباطنية ومزاياه الباطنية تجعله يخرج للإصلاح.

لذلك بعد نزول هذه السورة خاف المنافقون كثيراً، لأنهم رأوا أن هؤلاء عندما أطعموا إطعاماً واحداً، سلّط الله تعالى الضوء على كل خصائص هذا الإطعام، إذاً لو وقعت فدك في يد الزهراء عليها السلام ماذا سيحدث؟! هل تعلمون ماذا سيحدث؟

لقد برّر البعض أخذ فدك من الزهراء عليها السلام بأنهم خافوا أن يكون لديها إمكانيات مالية فتكوّن حزباً. هذا الكلام صحيح، في الحقيقة تكوين الدولة وتكوين مجتمع الدولة الفاضلة وتكوين الفاضلين أيضاً... هذا في الحقيقة أثر من آثار ما سوف تعمله الزهراء عليها السلام بفدك، لأنها كانت في يد الزهراء عليها السلام، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين: «**بلى! كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلته السماء، فشحّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس قوم آخرين**»[2]. هل تعرفون ما الذي كانوا

---

(١) «بحار الأنوار» العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان ١٤٠٤ هـ ج٤٤ / ص٣٢٨: و أني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي.

(٢) «نهج البلاغة»، ص٤١٦، من كتاب له إلى عثمان بن حنيف: بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلته السماء، فشحّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس قوم آخرين.

عندما حان وقت صلاة الظهر أذّن بلال - ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وآله -.. أشهد أن لا إله إلا الله - لم يأت رسول الله صلى الله عليه وآله - وكان النبي صلى الله عليه وآله يأتي إلى المسجد قبل الأذان. انتهى الأذان ورسول الله صلى الله عليه وآله لم يأت، خرج أمير المؤمنين عليه السلام يبحث عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فوجده في أحد الزقاق جالس مع مجموعة من الأطفال، فقال الأمير عليه السلام: يا رسول الله فداك نفسي أذن المؤذن، والناس في المسجد ينتظرونك فلماذا تأخرت؟! قال: هؤلاء الصبية لا يدعوني أذهب، الأمير عليه السلام تحيّر وكان يحرك جيبه وهو يتحدث فوجد خمس جوزات، فقال للأولاد: أعطيكم الخمس جوزات وتعطوني رسول الله صلى الله عليه وآله، فوافق الصبية على ذلك فأعطى الأمير عليه السلام هؤلاء الصبية هذه الجوزات الخمسة، وأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وآله ليذهبا إلى المسجد، فأصبح الصبية يكسرون الجوزات - حيث كان الجوز في ذلك الوقت شيء راقٍ - فنظر إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وضحك عليهم، فقال الأمير عليه السلام: لا أبكى الله مبسمك يا رسول الله صلى الله عليه وآله.. على أي شيء تضحك؟! فقال رسول الله ٦: عجبت لهؤلاء الصبية كيف استبدلوني بخمس جوزات!!!. يعني يا أمير المؤمنين لو تُعطى المشرق والمغرب لا تستبدل لفظة من ألفاظي، لا تستبدل عبارة من عباراتي!!

يخافون منه فعلاً؟ هل تعرفون ماذا كانت تعمل الصديقة الزهراء عليها السلام عندما كانت فدك عندها؟ لم يكن يدخل درهما واحداً إلى بيتها فقد كانت تتصدق به. ولكن هل كانت تتصدق لأنها تريد أن تكوّن حزباً؟ أو لأنها في الواقع تحب الناس من داخلها وأعماقها؟. إنها أمّ لطفلين صائمين جائعين وكانا مريضين أيضاً، ومن هذان الطفلان؟ هي تعرف أن فيهم كل خصائص التكوين الكمالية، ومع ذلك أطعمت الطعام للأسير المحارب!!

وكما أنهم صلوات الله عليهم يأتون إلى العبادة بإقبال ومحبة وذوبان وعشق، فإن تعاطيهم مع الآخرين أيضاً ذوبان وعشق ومحبة، لذلك لا يمكن للجائرين احتمال آل محمد. مستحيل، لأن آل محمد عليهم السلام من خصوصياتهم الهداية وحب الناس وخدمة الناس والعطف عليهم، لو أنكم تقرؤون الروايات التي تتحدث عن عطف أمير المؤمنين عليه السلام لبكيتم ولرأيتم كم أن الأمير عليه السلام رقيق، وكم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عطوف. لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمر على طفل إلا ويكلّمه ويلاطفه. سأذكر لكم هذه الرواية الرائعة:

عندما حان وقت صلاة الظهر أذّن بلال ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يأتي إلى المسجد قبل الأذان. انتهى الأذان ورسول الله لم يأت، خرج أمير المؤمنين عليه السلام يبحث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوجده في أحد الزقاق جالس مع مجموعة من الأطفال، فقال الأمير عليه السلام: يا رسول الله فداك نفسي أذن المؤذن، والناس في المسجد ينتظرونك فلماذا تأخرت؟! قال: هؤلاء الصبية لا يدعوني أذهب، تحيّر الأمير عليه السلام وكان يحرك جيبه فوجد خمس جوزات، فقال للأولاد: أعطيكم الخمس جوزات وتعطوني رسول الله؟ فوافق الصبية على ذلك فأعطى الأمير الصبية الجوزات الخمس، فأصبح الصبية يكسرون الجوزات - وكان الجوز في ذلك الوقت شيئاً راقياً- فنظر إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وضحك عليهم، فقال الأمير عليه السلام: لا أبكى الله مبسمك يا رسول الله، على أي شيء تضحك؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: عجبت لهؤلاء الصبية كيف استبدلوني بخمس جوزات!. يعني يا أمير المؤمنين لو تُعطى المشرق والمغرب لا تستبدل لفظة من ألفاظي، لا تستبدل عبارة

من عباراتي!!

لاحظوا تلك الرقة التي عند رسول الله ﷺ وهذا العطف الذي لديه، إذا وقعت يد رسول الله ﷺ على رأس اليتيم كانت تتفجر في أعماقه وفي داخله ينابيع، إذا قال لنا رسول الله: ضع اليد على الطفل ولك بكل شعرة مغفرة[١]، فلأنه يرى نفسه وفي أعماقه تتفجر كل ينابيع العطف والرحمة والمحبة والجود واللطف، فهذه الخصوصية كانت واضحة في سلوكهم مع الناس. ولذا يقول الإمام زين العابدين عليه السلام وهو في المسجد الأموي وهو أسير ومحارب: أُعطينا المحبة في قلوب الناس.؟[٢] في ذلك الظرف يقول هذا الكلام.

بعد أن عرفنا ذلك هل لنا أن نتخيل مدى حب زينب سلام الله عليها للحسين عليه السلام، كيف نتصور ذلك وهو في أرقى معاني اللطف والحب والولاء والانقطاع!!

هذه القلوب التي تتسع البشر كافة، أين مكان سيد الشهداء عليه السلام فيها؟ وهل يتفجر في قلب المؤمن إذا اخلص لله أربعين صباحاً إلا ينابيع الحكمة والمعرفة والعرفان وإرادة الله وحبه!! هل تتعلق بعد ذلك إرادته بغير الله و«من أراد الله بدأ بكم» فهل لزينب واسطة لله غير الحسين، وهل في أوديتها سيرا وسلوكا غيره؟ فسلام الله على المريد والمراد

ألا لعنة الله على الظالمين.

---

(١) «من لا يحضره الفقيه»، الشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٣هـ، ج١، ص١٨٨: قال الصادق عليه السلام: ما من عبد يمسح يده على رأس يتيم ترحما له إلا أعطاه الله عز وجل بكل شعرة نورا يوم القيامة.

(٢) ولذا يقول الإمام زين العابدين عليه السلام وهو في المسجد الأموي وهو أسير ومحارب: أعطينا المحبة في قلوب الناس.؟



خلاصة المحاضرة الثامنة

١- الأسرة التي لا تبتني على مبان حقة فهي كشجرة اجتثت من فوق الأرض.
٢- لا بأس من الانطلاق من مشاعرنا الأسرية الفطرية الخيرة كالأخوة والأبوة والأمومة وهي مشاعر إنسانية راقية ويمكننا بتجريدها من شوائب النقص الذي يعتري طبيعتنا المحدودة لتكون طريقاً حسناً للعلاقات الأكمل فالأكمل.
٣- الشيء الوحيد الذي يجعل الإنسان يتخلص من كل صفاته وخصائصه الذاتية ويجعله يندك ويذوب في شخص آخر هو شدة حبه وتعلقه بذلك الشخص.
٤- الفرق بين العبيد والعباد: العبيد يأتون بأفعالهم وتصرفاتهم من مقام الملكية والسلطنة والقهر المسيطر عليهم. أما العباد فإنهم يأتون بأفعالهم من مقام الحب والمعرفة والرغبة والشوق لمحبوبهم.
٥- الإنسان مفطور على حب المنعم وكذا الحياء من مخالفته والرغبة في الزلفى والعبودية له. فالحياء وديعة من ودائع الله تعالى وهو نور إلهي يجعله الله في الأعماق وهو عصمة إلهية للقلوب العارفة.
٦- الهداية إلى المطلوب مترتبة على تبني الناس للعدل وحبهم له وانقيادهم له طوعاً. ولذلك فالأصل في التربية هو البرهان والحجة البينة، لا النار والحرب والقوة.
٧- قال سبحانه في الآية ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ ولم يقل (عين عبيد) لأنهم أبرار وأحرار ويبجثون عن مواقع القربى والزلفى، ويتحركون انطلاقاً من المعرفة والحجة.
٨- قال الله تعالى في الآية (عباد الله) ولم يقل (عبادنا) استئناساً بذكر المحبوب،

وتفتيقاً للعقل والروح على أن هناك كمالاً وجلالاً وجمالاً وعظمة وأنت مدعو للقرب من هذا. وليست المسألة قهر وعذاب وسلطنة ونيران فآخر العلاج الكي.

٩- الأحاسيس والمشاعر والمعرفة إذا وصلت إلى حد التفجير المؤكد فإن الإنسان لا يخرج عن طور العبودية ومحبة الله أبداً (يفجرونها تفجيراً).

١٠- الكلام عن الشرب والتفجير والوفاء بالنذر هو في هذه الحياة الدنيا وليس حديثاً عما سيكون في اليوم الآخر. فالحديث على مدى حبهم للناس ورغبتهم في هداية ومصلحة الناس مهما سبب ذلك لهم من المشاق والأذى، ومع ذلك لا يريدون جزاءً ولا شكوراً. وهذا ما تقتضيه أعماقهم وخصائصهم الباطنية.

ألطاف ورحمة أهل البيت عليهم السلام

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾(1).

التوحيد العملي والتوحيد الاجتماعي:

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً * وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً﴾(2).

الحديث في الشق الثاني من السلوكيات والأحوال والمشاعر الاجتماعية الفياضة للبيت الذي درجت فيه زينب عليها السلام، هذه حالة التفجير والفيضان الروحي والمعرفي -إن صح التعبير- الذي تحدثنا عنها، لها مقابل في السلوكيات والممارسات التي لها أبعاد اجتماعية مع الآخرين أيضاً. وفي الآيات إشارة إلى نكات أساسية، فكما أن هناك فيوضات ربانية إلهية في علاقتهم مع الله تعالى وعبادتهم وانقطاعهم ومناجاتهم للحق، حيث يشربون من عين التوحيد الإلهي، وتتفجر من حناياهم عيون العبودية الخالصة الصافية كذلك في توحيدهم العملي، أي في ميدان العمل وفي لون علاقاتهم الاجتماعية هناك آثار للتوحيد أيضاً. وكما

---

(١) سورة النور: ٣٦-٣٧.

(٢) سورة الإنسان: ٨ - ١٢.

يقرر علماء الأخلاق فإنّ هناك نسبة بين مواصفات الإنسان وخلاله، يقول الأمير عليه السلام: »أذا رأيتم في المرء خلة رائقة فانتظروا أخواتها«[١].

فكما أن العبادة تهب لجوهر الإنسانية في الإنسان صفاءً، وتقوي فيه الإرادة، فهي تضعف فيه أيضاً جانب حب الذات والأنانية والتمحور حول الأنا، وبهذا استحق أهل البيت عليهم السلام أن يسترعيَهم الله تعالى أمر خلقه، وأن يقرن طاعتهم بطاعته «**استرعاكم أمر خلقه وقرن طاعتكم بطاعته**»[٢]، وذلك لما فيهم من شفقة عميقة على الناس. يقول الإمام الرضا عليه السلام وهو يتحدث عن مبرر تقدمهم على الأمة: »الإمام الأمين الرفيق، والولد الشفيق، والأخ الشقيق، وكالأم البرة بالولد الصغير ومفزع العباد« [٣]

إن هناك رقة أشبه بالفيضان، هناك مشاعر حنان ولطف بالآخرين هي كالثورة الإنسانية. والإنسانية جوهرة تبرق وتصفو عبر الممارسات الأخلاقية العالية، حتى تتحول إلى ملكات ثابتة وطبائع راسخة.

الإنسان لا يتحول إلى إنسان فعلاً ولا يصل إلى المشاعر الإنسانية الواقعية إلا عبر ممارساته ومن أهمها.. العلاقات مع الآخرين، وبمعنى آخر: الأخلاق الاجتماعية.

أهل البيت عليهم السلام يفيضون حتى على الأسير!

هؤلاء لا فرق عندهم في مشاعرهم وفيوضاتهم بين المسكين واليتيم والأسير، ألفتُ إلى نكتة وهي أن مشاعرهم عليهم صلوات الله إنسانية صرفة.

---

(١) «نهج البلاغة»، مؤسسة دار الجرة - قم ١٤٠٧ هـ ص / ٥٥٤: «أذا رأيتم في المرء خله ففتشوا عن مثيلاتها».

(٢) «مفاتيح الجنان»، ص٦٢٥، الزيارة الجامعة، «فبحق من ائتمنكم على سره واسترعاكم أمر خلقه وقرن طاعتكم بطاعته»

(٣) «تحف العقول»، الحسن بن شعبة الحراني - مؤسسة النشر الإسلامي - قم ١٤٠٤ هـ - ص/ ٤٣٩: عن الرضا عليه السلام أنه قال: «الإمام: الأمين الرفيق، والولد الشفيق، والأخ الشقيق، وكالأم البرة بالولد الصغير ومفزع العباد».

من هو الأسير في ظل الدولة الإسلامية؟ الأسير هو المحارب الذي خرج حرباً على الدولة الإسلامية. هو شخص خرج ليحارب دولة رسول الله، فلابد أن يكون إنساناً غير مسلم. إما كافراً أو مشركاً خرج لحرب الإسلام. فالأسير ليس إنساناً نتفق معه في العقيدة.

في الحال العادي فإننا نقابله بالنفور. من الطبيعي أن ردة الفعل تجاه الشخص الذي خرج على رسول الله صلى الله عليه وآله وخرج على الإسلام هي النفور. ولكن الأمر عند أهل البيت عليهم السلام مختلف فهم أهل بيت الرحمة على البشرية، وسجيتهم الكرم وعادتهم الإحسان [١]

ولذا قال: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ﴾ بصيغة المضارع الذي يفيد الاستمرار. وإلا فإن صرف صدور العمل مرة واحده أو في بعض الأحيان حينما يقع الإنسان تحت مؤثرات خارجية مؤقتة محدودة -أيـاً كانت - فهو لا يبني في النفس معنىً ثابتاً، لأنه سرعان ما يزول بحصول المخالف من المؤثرات ولا يستحق أن يكون وصفاً ثابتاً راسخاً.

مشاعرهم عليهم السلام ذاتية، عميقة ومستمرة:

يقول علماء الأخلاق كلما كانت النفس أقوى في صفاتها استقلت عن العوامل الخارجية المؤثرة. وهذا يؤكد أن هذه القيم ليست مفاهيم أخلاقية صرفة، وإنما هي مزايا لها واقع عيني، وهي روح أعمالهم، وباعثهم إلى ذلك أمر أصيل. قال تعالى: **﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً﴾**، إنّ ارتباط العمل بوجه الله أعطى لهذا الإطعام لوناً خاصاً.

الأعمال الإنسانية أيضا تنشأ من دواعٍ نفسية. فليس هناك عمل إنساني بلا نية

---

(١) «مفاتيح الجنان»، ص٦٢٠، الزيارة الجامعة: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة... ومعدن الرحمة... وفعلكم الخير وعادتكم الإحسان وسجيتكم الكرم.

وداع وإرادة، لأنها هي المحرك باتجاه العمل. هذه المزايا الإنسانية فطرية ولكنها بالعمل وفي ظرف السلوك والإشباع الممارساتي تقوى وتتعمق وتكثر وتتسع بحيث تشمل كل الأعمال. يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: » اللهم وفر بلطفك نيتي» [1] التوفير هو التكثير، فهذه القيم تتعمق طولًا وتكثر وتصبح أكثر شمولية.

ولنا أن نسأل الآن: من الذي يعين على تربية هذه المشاعر الفطرية؟ ومن ذا يصوغها ويصنعها بحيث تكون جليّة؟ وفي مرتبه أخرى.. من الذي يحرس هذه المشاعر ويحفظها؟

الجواب: الجو الأسري العائلي هو المرشد الأول والمرجع الأول. فإذا بقي حارساً على هذه الأحاسيس والمشاعر فإنّ الإنسان يبقى كما وُلد، يبقى صافياً طاهراً، لأنه نزل وجاء من عالم الطهر.

إن الحفاظ على البعد العاطفي العميق لدى الإنسان يحتاج إلى قدرة وحراسة ورعاية. الحفاظ عليه ومن ثم تغذيته وتنميته مسؤولية البيت الأولى. ولعل التعبير بالإطعام يرشدنا إلى هذه النكتة. إن الأكل كان على أعينهم وهم في أشد الحاجة إلى الطعام. لماذا لم يقل الأمير عليه السلام: إن نفقة أبنائي واجبة عليّ، فهم أولى مني بالطعام. هذا الأمر قد يكون له مبرر فقهي، ولكنهم - كما قلنا - نالوا المقامات الرفيعة باستقامتهم على أعلى المراتب الأخلاقية وليس لعدالتهم الشرعية فحسب.

أحد أسماء الزهراء عليها السلام هو الحانية. فما معنى هذا الاسم؟ هل يعني أنها تحنو على أبنائها؟ فكل أم تحنو على أبنائها، الزهراء حانية بنحو مطلق. يعني إذا كان هناك حنان إلهي «يا حنّان يا منان» فقد تفجر منها صلوات الله وسلامه عليها، وهي مظهره لتلك الصفة الإلهية، ولا بأس في ذلك، إذ أن الحنان صفة لأفعال الله تعالى وليس صفة ذاتية له لكي لا تتجلى في ممكن.

هذا الحنان الذي عند الزهراء عليها السلام موجود في فضاء هذا البيت وفي أرجائه،

---

(١) «الصحيفة السجادية»، دعاؤه في مكارم الأخلاق ومرضي الأفعال.: «اللهم وفر بلطفك نيتي».

لذلك كان حالهم في الإعطاء حال دائم. نحن نلاحظ أنّ الآية تستخدم الفعل المضارع ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ أي أنّ هذا حالهم دائماً، فالآية تريد أن يقول: أن كل شؤون هؤلاء لا تخرج عن هذه المكونات الأخلاقية وهذه المزايا النفسية. وكل فعل من أفعالهم لا يخلو من الحنان أبداً. وصفة الحنان خصوصية إلهية وعطية إلهية ووديعة ربانية وظرافة روحية.

إذا كان طموح الإنسان الإيماني محدود ورغباته الروحية محدودة، وفكره محدود، وعلمه محدود ضيق وإدراكه محدود، حنانه أيضاً يكون بمقدار ضيق أفقه.

لكن هؤلاء عليهم صلوات الله لأنهم أبرار، فليس عندهم ضيق أفق، وحنانهم يدفعهم بلا أي دافع خارجي آخر، ولا أي تأثير آخر، أي لم يكن هناك مؤثرات وقتية وزمانية وظرفية، لذلك يأتي بالفعل المضارع ويقول ﴿يُطْعِمُونَ﴾ يعني أنهم مستمرون في صدور هذه الأفعال، لأن الإنسانً يرحم في أحيان يقع فيها ظرف معين أو يتأثر بشيء ما، كأن يسمع محاضرة أو يقرأ دعاء فيرقّ قلبه، فيصبح محباً لكل الناس، والمؤمن يعيش هذه الحالة حتى مع من يخطئ عليه وحتى مع من يشتبه عليه.

إذا كان الإنسان يرى أن كل المخلوقات على أساس أنها آيات إلهية ومخلوقات الله، ويرى فيها صنع الله تعالى ولا يغفل عن ذلك، ولا يرى شيئا إلا ويرى الله قبله ومعه وبعده، فهل يحتاج إلى محرك من الخارج؟ طبعاً لا.

الإنسان الذي لا تتحرك مشاعره إلا عندما يُهـَز من الخارج وفي ظرف خاص وهو في حال خاص، وغير مشغول بأمر ذاتي يملأ عليه كيانه، فلكي يتأثر من أجل الآخرين يجب أن يكون مرتاحاً أولاً وهذا النوع من الناس يصعب أن يتحرك من أجل غيره إلا في ظروف خاصة.

أما أهل البيت عليهم السلام فليس هناك مناخ خاص يفجر فيهم هذه المشاعر، هذه المشاعر ذاتية وفي الأعماق. قد تقول: هذا طبيعي فالأئمة معصومون ومقتضى

العصمة أن لا يصدر عنهم إلا كل كمال. ولكن الحقيقة أنّ هذا فهم خاطئ ومعكوس لأنه جعل النتيجة مكان العلة. لأنهم في الحقيقة إنما وصلوا إلى العصمة بهذه المشاعر، ولم يحصلوا على العصمة وعلى هذه المرتبة إلا نتيجة لشفقتهم ورحمتهم وبرهم وعملهم وجهادهم أنفسهم وتربيتهم لذواتهم... لذلك هم معصومون.

أهم وظائف الأم العناية بلطائف الفطرة:

ولابد أن ندرك أن الحفاظ على الخصائص والمزايا اللطيفة هي من أهم وظائف الوالدين خصوصاً الأم. - وهذه وظيفة ليست بسيطة -. فحين يولد الطفل، فهو لا يملك علوم ومعارف نظرية، ولكنه يدرك القيم الإنسانية، يدرك الظلم وقبحه، يدرك أن الإحسان إلى الآخرين جميل ويحبه، ميزانه الباطني عادل، ولكن إذا لم يراع الوالدان هذه المسألة، فغدا كل منهم يظلم الآخر بمرأى ومسمع من الطفل، فسوف تربك تصرفاتهم هذه الخصوصية.

فإذا كان الوالدان - مثلاً - يختلفان ولا يتفقان فسيكون الجو البيتي ليس جو حراسة لهذه الأحاسيس وإحاطتها والعناية بها، هل لنا أن نتصور ما الذي سيحدث إذا كانت هذه هي حال البيت؟!

إذا كان الإنسان يولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو يمجّسانه، أفلا يعني هذا إن لهم أيضاً تأثيراً على القيم الأخلاقية التي يأخذها منهما بشكل أولي؟. إن أفضل أساليب التربية هي أن تجعل الطفل دائماً في معرض خدمة الآخرين. لا أن تلقنه القيم الاجتماعية بشكل لفظي، وتكثر عليه من النصائح والأوامر والنواهي. عندما يرى منك إماماً له في ذلك، سوف يقتدي بك بلا تردد. ودور الأم هنا أكبر لأن الطفل بها ألصق خصوصاً في سنيّه الأولى (سني الحراسة).

السيد الخامنئي حفظه الله عنده كلمة رائعة يقول: هذه المشاعر كالوردة. الوردة ظريفة فهي تحتاج إلى عناية أكثر لتبقى تعطي عطراً فواحاً، لماذا لو أنفقت ثلثي مالك في العطر لما أسرفت؟! البعض يقول لأن الدين يريد أن ينقلنا من عالم

المادة الجاف الخشن إلى عالم الطيب. وان كانت هذه آداب ظاهرية، ولكن كثيرا ما يكون الظاهر طريقا للباطن.

كلما اشتدت حاجتهم عليهم السلام كثر عطائهم!

إذن هذا الإطعام فيه فضائل وقيم كثيرة ووفيرة وعميقة. ثم لنلتفت، كيف حدث هذا الإيثار وممّن؟! ولمن يعطَى الطعام ومن يُحرم منه؟ الحسنان، وهل هما مجهولا القدر؟ أي إنسان لا يعرف أنهما أكرم طفلين!!

يعني أنا وأنت مهما عرفنا هذين الطفلين فلن نعرفهما حق المعرفة، من يعرف خصوصياتهما ويعرف أنهما أكرم مخلوقين في حالة أنهما يحبان الطعام وفي حاجة إليه، وإذا بهما يؤثران عليهما المسكين.

يرد دائماً: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾[1] ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾ ولكننا نجد في هذه السورة تقديم لذكر (المسكين)، فلماذا؟

هذه نقطة رائعة. في هذه الواقعة توجد نسبة عكسية، بين حاجة السائل وحاجتهم عليهم السلام، فكلما زادت حاجتهم صلوات الله وسلامه عليهم للطعام كلما كان الداعي لإعطاء الطعام أكثر. أول يوم جاءهم المسكين الأشد حاجة، الذي فقد الأمل، الذي بلغ من شدة الضعف ما أفقده القدرة على التحرك من أجل العمل والإتيان بالرزق. المسكين حاجته شديدة بينما هم صلوات الله وسلامه عليهم حاجتهم في اليوم الأول أقل من اليوم الثالث. هذا المسكين محتاج حاجة شديدة، ربما لو أطعموه في اليوم الثالث لقلنا إن ذلك شيء معقول لأنه في حالة شديدة ولم يصل بهم الأمر - صلوات الله عليهم - إلى حالته من الأسى. لكن الغريب أن يأتيهم شخص ليس في مقام حاجة المسكين، يأتي اليتيم. ما لذي يحتاجه اليتيم؟. اليتيم يحتاج إلى أكل وحنان. وهو يحتاج للرعاية والعطف أكثر من حاجته إلى الطعام. لاحظوا أنه خلال الأيام الثلاثة تشتد حاجتهم عليهم السلام وتقل حاجة السائل

(١) سورة التوبة: من الآية ٦٠.

لكن الأئمة يتصرفون نفس التصرف مع أن الباعث الخارجي للإعطاء يقل، فقد كان الباعث لإعطاء المسكين باعث شديد لأنه محتاج جداً، لكن اليتيم كان يكفيه خبزة واحدة، فلماذا يعطونه كل ما لديهم؟! الباعث قلّ وحاجتهم عليهم السلام اشتدت. وفي اليوم الثالث يأتيهم أسير، يعني كافر قد جاء محارباً. هم صلوات الله وسلامه عليهم قد اشتدت حاجتهم وبالمقابل يقل مورد التحريك

مع ذلك هم يعطون بلا أي ضغط عاطفي لأن مشاعرهم التي نزلت من عالم الرحمة والتي انبعثت من الفيوضات الربانية هي هي، لم تتغير، فلم يتغير حالهم.

أنت قد ترى شخصا محتاجاً جداً جداً وأنت محتاج أيضاً، لكن أخلاقك تبعثك لأن تحنّ عليه وتتنازل أنت من أجله. وفي يوم يأتيك يتيم، ربما لا يكون محتاجاً، فأي شخص يمكن أن يقضي حاجة اليتيم، مع ذلك تقول: أنا أقضي حاجته وأقدمها على قضاء حاجتي. الآن افترض أن في كل يوم يمر تزداد حاجتك وتشتد ألا تضعف معها موارد العطف؟ بالتأكيد فهذا شيئ طبيعي.

أحب أن ألفت هنا إلى نقطة ثم أنصرف عنها. ترى متى أطعموا وفي أي كان إطعامهم عليهم السلام للمحتاجين؟ تقول الروايات أن السائل يطرق أبوابهم في وقت الإفطار. لم يُطرق بابهم ظهراً أو عصراً صلوات الله وسلامه عليهم حتى يتمكنوا من تهيئة طعام آخر. إنما يُطرق بابهم وقت الإفطار. والحال أنهم عملوا صلوات الله وسلامه عليهم طوال النهار حتى يأتوا بهذا الطعام. والأسواق لم تكن كهذه الأيام مفتوحة حتى يتمكن الإنسان من الذهاب للعمل وإحضار المال. عندما يأتي المغرب فإن موارد الرزق تغلق.

الإنسان إذا كان صائماً طوال النهار يصبر، لكن عندما يأتي وقت الإفطار يهلك جوعاً ويريد أن يفطر، طالب الطعام جاء وقت الإفطار. فالحالة الطبيعية عند الإنسان أنْ يشتد الطلب، والمطلوب موجود عندهم، أمامهم، هذا الصنف من صنوف الإيثار لا يقوى عليه إلا آل محمد. وهذه ميزة الإكرام لكل من تمسك بهم ومن ارتبط بهم، ومن التجأ إليهم ومن ضرب أبوابهم. عجيبة تلك الروايات في اللجوء إلى آل محمد

- لولا أن المجال ليس مجالا لإطالة الحديث، لتحدثنا عن الطرْق وأثار الطرْق. هذه الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله **«حلقة باب الجنة ذهب فإذا دقت الحلقة على الصحيفة طنت وقالت: يا علي»**[1] هذا للذي يعرف الجنة ويريد أن يدخل الجنة.

عندما تضرب باب الدار فالذي يرد صاحب الدار أليس كذلك؟ يدعون لك صاحب الدار وصاحب ديار الرحمة هم علي وأبناء علي عليهم السلام.

ما هو وجه الله؟

بعد أن اطعموا ماذا يقولون: **﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾** هنا نكتة لطيفة، لكن نحتاج إلى أن نعرف ما هو وجه الله؟ يقول تعالى: **﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾**[2] ما معنى هذه الآية؟

الآية لها معنى ظاهري كلنا نعرفه وهو أن الله سبحانه موجود أينما يولي المرء.يعني أينما تذهب فإن الله موجود وحاضر. هذا هو المعنى الذي نفهمه. لكن هناك نكتة ثانية: رب العالمين عندما يواجه الناس بوجهه ولا يصرفه عنهم، فهو يقابلهم باللطف والرحمة.

ما معنى **﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾**؟! هل لله سبحانه وجه؟ طبعاً لا، ولكنّ الله تعالى له صفات أينما نذهب فإنه سبحانه يتجه إلينا بهذه الصفات.فالذي يتجه نحو الله سبحانه فسيرى أنه لا يوجد إلا عناية ولطف فلا يستطيع إلا أن يتقرب إلى هذا الوجه.

الله سبحانه ليس حاضراً فقط، إنما هو حاضر بجميع أسمائه وصفاته الجمالية. ومن ذا يرى وجه الصفات الجمالية ولا يطلبها؟ لسان حال آل محمد عليهم السلام: نحن نطعمكم نريد هذا الوجه وهذه الصفات. ونطلب هذه الخصائص الإلهية.

---

(١) «بحار الأنوار» العلامة المجلسي، ج٣٩، ص٢٠٦ «إن على أبواب الجنة حلقات إذا طنت قالت يا علي».

(٢) سورة البقرة: من الآية١١٥.

ليس لله تعالى وجه مادي، وجه الله هي هذه الصفات... الرعاية والرحمة واللطف، وهي متوجهة للجميع بلا استثناء ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ ولكن، من الذي يرى هذا الوجه؟ لا نراه أنا وأنت، الذين يرونه هم محمد وآل محمد عليهم السلام، ولأنهم يرون هذه الصفات فهم لا يريدون أن يعرض الله تعالى عنهم.

هل تعرفون ما هو وجه الله؟ كل لطف ورحمة، جود مطلق، فيض، عطاء، تعليم، تربية، تزكية... ما يتلقاه الإنسان من كل هذا هو وجه الله تعالى، فهل يستطيع الإنسان أن ينصرف عنه وجه الله؟ وهل يستطيع أن يقوم بعمل ليس فيه رضا الله تعالى؟

إن من أشد عذابات الإنسان العارف أن يصرف الله تعالى عنه وجهه. وأقسى عذابات المؤمن أن لا يستطيع أن يرتبط بوجه الله. وأعذب حالات الإنسان أن يجد ارتباطاً بالله. لذلك لا يفهم هذه المقامات إلا من عرف مقام الله أولاً ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1].

علي الأكبر (ع) مرآة الأسماء والصفات الإلهية:

علي بن الحسين (علي الأكبر) عليه السلام وصل إلى مقام معرفة الله، وأول واصف لعلي الأكبر هو الإمام الحسين عليه السلام نفسة إذ يقول: «**اللهم اشهد على هؤلاء القوم فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خلقاً وخُلقاً ومنطقاً برسولك**»[2] نريد أن نعرف شيئا عن علي بن الحسين؛ لكي نفهم كيف تمنى الإمام الحسين عليه السلام الموت عندما رأى حال علي الأكبر ليقول: «**على الدنيا بعدك العفا**»[3] وهذا يذكرنا بالأمير عليه السلام حين

---

(١) سورة النحل: ٥٠.

(٢) «منتهى الآمال»، عباس القمي، ج١ / ص ٦٧٢: فلما ذهب نظر الحسين عليه السلام إليه نظر آيسٍ منه وأرخى عينيه وبكى ورفع شيبته الكريمة نحو السماء وقال: اللهم اشهد على هؤلاء القوم فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خلقاً وخُلقاً ومنطقاً برسولك، كنا إذا اشتقنا إلى نبيك نظرنا إلى وجهه...

(٣) «منتهى الآمال»، عباس القمي، ج١ / ص٦٧٤: فجاء حتى وقف عليه فوضع خده على خده وقال: قتل الله قوماً قتلوك، ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة الرسول، على الدنيا بعدك العفا.

تمنى الموت حال دفنه للسيدة الزهراء عليها السلام فقال:

نفسي على زفراتها محبوسة يا ليتها خرجت مع الزفرات

ألا يشبه كلام الإمام الحسين عليه السلام عندما قال: «على الدنيا بعدك العفا»؟!

ولتقريب هذا المعنى وتقريب الصورتين، لنستمع للحسين عليه السلام وهو يصف علي الأكبر «**أشبه الناس خَلقا وخُلقا برسول الله**». رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس إلا صورة للأسماء والصفات الإلهية. وهو ليس إلا انعكاس عن الأسماء والصفات الإلهية. انعكاس وصورة وشعاع لألطاف الله تعالى.

إذن صورة الصورة هو علي بن الحسين عليه السلام، إنه صورة صورة الأسماء الإلهية. علي بن الحسين عليه السلام أشبه الناس خلقاً وخُلقاً ومنطقاً بمن عكس هذه الأسماء والصفات والتجليات الإلهية.

ألا لعنة الله على الظالمين.



خلاصة المحاضرة التاسعة

١- الإنسانية جوهرة تبرق وتصفو عبر الممارسات الأخلاقية العالية إلى أن تتحول إلى ملكات ثابتة وطبائع راسخة.

٢- الجو الأسري العائلي هو المرشد الأول والمعين على تربية المشاعر الإنسانية الفطرية ورعايتها وحراستها وتنميتها.

٣- أهل البيت عليهم السلام مظهر حنان الله تعالى وعطائه، فهم في حالة عطاء مستمر وكل شؤونهم وخصائصهم لا تخرج عن هذه المزايا والخصوصيات النفسية.

٤- الأئمة المعصومون عليهم السلام إنما حصلوا على العصمة وعلى وهذه المرتبة من الكمال نتيجة لشفقتهم ورحمتهم وبرهم وجهادهم لأنفسهم وتربيتهم لذواتهم، وليس العكس.

٥- الطفل عند الولادة لا يملك علوماً ومعارف نظرية، لكنه يدرك القيم الإنسانية وموازينه الباطنية عادلة، والوالدان مسؤولان عن رعاية هذه القيم وحراستها.

٦- أفضل أساليب التربية أن تجعل الطفل دائماً في معرض خدمة الآخرين، لا أن تلقنه القيم الاجتماعية بشكل لفظي وتكثر من النصائح والأوامر والنواهي.

٧- أهل البيت عليهم السلام كلما اشتدت حاجتهم للطعام وقلت الضغوط العاطفية والبواعث الخارجية للإطعام نجد منهم نفس الدرجة من الإيثار والإكرام ويطعمون بكل ما عندهم، وهذه الميزة لهم ولكل من تمسك بهم وارتبط بهم والتجأ إليهم.

٨- وجه الله تعالى هو ما يقابل به عباده من صفات العطف واللطف والرحمة والرعاية، ومن أشد عذابات العارف أن يصرف الله تعالى عنه وجهه، وأعذب

حالات الإنسان أن يجد ارتباطاً وإقبالاً من وجه الله تعالى عليه.

٩- رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو وجه الله تعالى الذي يعكس لنا الأسماء والصفات الإلهية بأتم صورة. وعلي الأكبر عليه السلام يعكس لنا صورة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لذلك فراق الحسين عليه السلام لعلي الأكبر كان فراقاً لآية من أعظم آيات الله تعالى الجمالية والجلالية لذلك بكى بكاءً شديداً وتمنى الموت بفراقه: «**علي على الدنيا بعدك العفا**».

سقف البيت الفاطمي

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾(١).

لزينب عليها السلام غاية الاستعداد لقبول الفيض:

إننا في ساحة العشق مع العاشقة التي ذابت في وليها فأذاب بدنها، مع العاشقة التي ذابت في إمامها فذاب صبرها وقلبها، زينب عليها السلام عقيلة الطالبيين في محراب العشق. لا زلنا في الحديث حول أرجاء البيت وأطراف البيت العلوي الذي درجت فيه زينب الطفلة. لا نزال الآن في مراحل الطفولة، وتعرفون أن الوصول إلى المقامات العالية يحتاج إلى شيئين: الاستعداد والتربية الصالحة. وزينب عليها السلام مستعدة غاية الاستعداد، زينب أرضية في غاية الصفاء. وفعالية البيت والإمكانيات التربوية والأخلاقية والعقائدية هي في أكمل مراحلها. فهي عليها السلام قابلٌ تام القابليّة والطرف الآخر مفيض كامل الإفاضة.

من أي شيء يخاف الأبرار:

قلنا أنّ الآيات تتحدث عن تفاصيل هذا البيت، حجم هذا البيت، مقدار هذا البيت، سعة هذا البيت.

---

(١) سورة النور: ٣٦-٣٧

الآية التي كنا نتحدث عنها ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً﴾[1] والحال هنا فيه احتمالان:

الأول: أنهم عليهم السلام قالوا هذا الكلام أثناء الإطعام.

والثاني: أن الله تعالى يحكي عنهم الواقع.

وقلنا أنّ هناك فرق بين أن يقول إنسان: أنا أطعمكم لوجه الله وبين أن يقول: أنا لطف الله سبحانه وتعالى. فهذا كاشف عن تحقق مرتبة عالية من الإخلاص.

إذن لماذا قالوا ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾[2]؟ لنمرّ مروراً عابراً على معنى (اليوم العابس). اليوم لا يوصف بكونه عابساً، ولكن المعنى ناشئ من أنّ الأحداث التي تجري في ذلك اليوم تنعكس على الوجوه ويكون لها انطباع على نفس الإنسان، فيغدو الإنسان عابساً فيقال اليوم عابس تجوّزاً.

(العبوس) هو الشكل الظاهري و(القمطرير) هو الشدة الباطنية، فعندما يكون الإنسان عابس الوجه، يكون انزعاجه واضحاً وظاهراً. أما القمطرير فهو الإنسان المنزعج من الداخل. إذاً أحداث ذلك اليوم لها انعكاس على الأحوال الباطنية للناس فضلاً عن أشكالهم الظاهرية بحيث تؤدي إلى أن يتحول الإنسان إلى عابس قمطرير، فيسمى اليوم عابساً قمطريراً، فخوفهم سلام الله عليهم هو من هذه الأحداث، وهذا الظرف الذي يبعدهم عن ربهم. لذلك قلنا أنّ هناك تأكيد على أن من نخاف منه هو (ربنا) الذي يريد أن يربينا ويرشدنا ويبعدنا عن أخطار ذلك اليوم، نحن إذا خفنا من الله فلأنه «رب»، هذا الوصف يشعر بالعليّة، يعني لأنه ربنا ولأنه يكرمنا ويهدينا ويهيئ لنا كل أسباب النجاة ويريد أن يبعدنا عن الهلاك، فبلا شك أنه مع هذه العناية والاختصاص والالتفات والرعاية من قبله، فإنّ الإنسان يخجل أمام ذلك. والخوف في هذا المقام منشؤه الخجل لا الرعب. فهو خوف ممزوج بالحب وبالفهم لخصائص هذا الرب.

---

(١) سورة الإنسان: ٩.

(٢) سورة الإنسان: ١٠.

إذا فشل الطفل في الامتحان، عندما يأتي بالشهادة وهو لم ينجح، فإنه يخجل ويستحي من أمه التي تعبت عليه وسهرت معه والتي تتمنى مصلحته وهو مدرك لذلك تماماً، إنه يشعر بالخجل من أنّ كل ما عملته أمه في النهاية لم يؤثر فيه.

في الحقيقة ذلك الخوف مرده إلى المحبة وإلى معرفة الفضل وإلى الحياء وإلى إدراك ما يقابلنا الله سبحانه وتعالى به من لطف.

أودّ فقط أنْ أمرّ على مقاطع من دعاء كميل التي هي نص في هذا المعنى، عندما يقول لنا الإمام عليه السلام: اقرؤوا هذا الدعاء كل ليلة جمعة والوارد قراءته في حالة سجود، فهل تتصورون كيف يُقرأ هذا الدعاء أمام زينب عليها السلام؟!

إن معاني هذا الدعاء من أوله إلى آخره كلها مناجاة عشق، هذا الدعاء واقعاً عجيب. إذا أردتم أن تفهموا كيف تتفاعل سورة «هل أتى» في بيت أمير المؤمنين عليه السلام اقرؤوا هذا الدعاء، وسترون أن هذا الدعاء ما هو إلا نتاج البركان الذي يعتلج في أرواحهم وأنفسهم محبةً لله وإدراكاً لربوبية الله سبحانه «**يا رب ارحم ضعف بدني ورقة جلدي ودقة عظمي... فهبني يا سيدي ومولاي وربي صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك...**»[1] الدعاء هنا يتحدث عن العذاب، لكنه يقول: ليست هذه هي المسألة كل هذا يمكن تصوره - على افتراض أنه يقع - لكن الذي لا يُتصور هو كيف أصبر على فراقك؟!. ولولا أن الحديث حديث عن جاذبية لما كان هناك مورد للكلام عن الفراق، لأن الفراق يفترض في علاقة المحبين «**يا إلهي وسيدي وربي أتراك معذبي بنارك بعد توحيدك**» مُحال، قلب يقع فيه التوحيد لا يمكن أنْ يكون مورداً لتسليط النار عليه. هذا شيء أشبه بالمحال. فإذا امتلأ القلب بالتوحيد حظي بخصوصية الأمن الكامل، لذلك لا يمكن أنْ تتسلط عليه النار، فهذا ليس موقعها، لأن النار في ذلك العالم ليست هي النار الظاهرية التي نعرفها.

المراد بالنار هي تلك التي لديها كفاءة وصلاحية أن تتسلط على الروح، والتوحيد هو الذي يطفئ كل نار. والشرك نار إذاً التوحيد في الحقيقة يطفئ كل

(١) «مفاتيح الجنان»، عباس القمي، ص٩٨، دعاء كميل.

هذه النيران لذلك يقول «هيهات» فهو يريد أن يقول هذا مُحال أنْ يحدث ويقع. «**هيهات أنت أكرم من أن تضيع من ربيته أو تبعد من أدنيته أو تشرد من آويته**»[(١)] كل هذه العبارة تريد أن تقول: إنّ طبيعة الربوبية تجعل الإنسان يخجل إذا أخطأ، وليس أنه يخاف من الله لأن الله سيعذبه بنار جهنم! ليس كذلك، إنه يخاف من نار جهنم لأن نار جهنم هي عمله، يخاف منها لأنه يستحي.

افترضوا أن أحداً في هذا المجلس يخطئ على شخص آخر وكلنا موجودون، هذا المخطئ يخاف من أن نضربه أو يخاف من أن يأخذ هؤلاء المؤمنون عليه مأخذاً، هذا لا يسمى خوفاً على البدن، وإنما هو خوف على ورود نقص في الشخصية والإنسان يمكن أن يتحمل كل شيء إلا العذاب الروحي أو أن يُرى ناقصاً أمام الله تعالى. لذلك نحن نسأل الله تعالى في دعائنا أن لا يكشف عيوبنا أمام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام «**فلئن صيرتني للعقوبات مع أعدائك وجمعت بيني وبين أهل بلائك... لأضجن إليك بين أهلها...**» يا رب سوف أعود إليك لا لأحد غيرك، لأني احبك أنت وأنت ملجأي الوحيد. وكأن الإنسان يقول: ألطف بي يا رب فليس بيدي شيء، وهذه ردة فعلي الباطنية، لأني أعرف أن كل علاقة يمكن افتراض قطعها إلا علاقة الربوبية والعبودية فهي مستحيلة القطع.

مهما يذنب الإنسان فإن أكبر الكبائر هو اليأس من روح الله، لماذا؟ لأن المعادلة الوحيدة التي لا يمكن أن يبتعد عنها الإنسان هي رحمة الله تعالى، بين الإنسان وبين الله تعالى خط واقعي من الرحمة، وهو خط اتصال مفتوح دائماً. لذلك يعبّر الإمام عليه السلام بقوله (هيهات) فهذا أمر لا يكون.

هذا الدعاء عندما يقرأه أمير المؤمنين عليه السلام ترى بأي حال يقرؤه؟ ومن يسمع منه عليه السلام وعنده استعداد ونباهة وبلاغة وسعة أفق وأدراك، ترى ماذا يتكون في أعماقه؟ إنّ الذي سيتربى عليه هو محبة الله تعالى، وحتى لو كان هناك خوف فهذا خوف من الله الذي أعطانا كل هذه المقدمات.

---

(١) «مفاتيح الجنان»، عباس القمي، ص٩٨، دعاء كميل.

ابن سينا الفيلسوف يقول: عدد الذين يدخلون نار جهنم معدود جداً، يقول: التشوه الباطني مثل التشوه الظاهري. كم شخص في هذا الكون مشوه ظاهريا؟ تقريباً بين كل ٥٠٠ شخص اثنان مشوّهان أو ثلاثة، هذه نسبة المشوهين بالقياس إلى السليمين وهي قليلة جداً. يقول: كذلك المشوّهون في الباطن، الذين يذهبون إلى جهنم معدودون جداً، لأن الكون في الأصل على الربوبية والعبودية وهي علاقة لا تنقطع أبداً.

كل ما قلناه يمثل ركنين من بيت الأمير والزهراء عليهما السلام وفيما تبقى سوف نكمل الركنين الآخرين:

التوازن الأخلاقي والقيَمي في الأسرة:

الركن الأول: سقف الإيثار والأخلاق متساو في هذه العائلة، وهذه مسألة تربوية أساسية جداً، هؤلاء وقع منهم إيثار ولكنه إيثار على نحو التساوي، يعني أنّ مشاعر الأمير عليه السلام وإيثاره في هذه الواقعة كان بنفس درجة إيثار الزهراء عليها السلام كذلك الحسنان عليهما السلام آثرا بنفس السطح، وفضة بالتبع معهم في سطح واحد.

هل تعرفون لماذا؟ لأن القاعدة في القيم العائلية الأسرية تقول: إذا كان نماء أحد الأفراد على حساب الآخرين، فستصبح عندهم ردة فعل عكسية. مثلا إذا كان الأب والأم يؤثرون ويجاهدون والأبناء لا توجد عندهم هذه الحالة، فإنّ الأولاد بدل أن يتدينوا ويستفيدوا من الوالدين، فإنهم يفرون من هذا البيت إلى مكان آخر.

إنّ أول انعكاسات العلم والأخلاق يجب أن تكون على الأبناء. تعرفون ماذا يعني عدم حصول ذلك؟ سيكون سقف البيت عال، كأنّ الأبوين طويلين والأبناء أقزام. الشهيد المطهري رحمه الله يقول: هذه الكفاءة نمت متساوية عند هؤلاء ثم يتحدث عن نفسه ويقول: ثم أنا عن تجربتي لاحظت أنه إذا كان الأبوان أو الأب أو الأم أو أحد الأفراد عنده حالة من الزهد والتقوى والعبادة والإيمان والأدب والإيثار، وفي المقابل إذا لم يفهم بقية الأفراد لم يدركوا ماذا يعمل هذا الفرد فستصبح عندهم

ردة فعل عكسية، يصبحون لا يحبون المتدينين ولا الدين ولا الزهد.

إذا كان أحد الأطراف الذي لديه المال ينفق ويبذل، والطرف الآخر لا يُدرك هذا المعنى، هذا الوضع يضر الطرف الآخر تربوياً. هذا يحتاج إلى تنمية جيدة، حتى الصلاة والدعاء والعبادة هي وظيفتنا صحيح، لكن لابد أن نؤدي الوظيفة بمقدار وفي سطح معين حتى تصبح أخلاق البيت وحتى تصبح آداب البيت في حالة موازنة دقيقة.

بأبي أنتم وأمي ونفسي وأهلي ومالي!

في الزيارة، وفي الزيارة الجامعة خصوصاً، نقرأ هذه العبارة بشكل طبيعي، وأنا أظن أنها تحتاج إلى تدقيق «**بأبي أنتم وأمي ونفسي وأهلي ومالي**»[1] شرح هذه العبارة يحتاج إلى مقدمتين:

المقدمة الأولى: معنى هذه العبارة: أنا أفديكم مع أبنائي ومالي وأهلي، ولو لم بقصد هذا المجموع لقال: بنفسي أنتم وكفي معنى العبارة: أن مالي فداكم، نفسي فداكم، أبنائي فداكم، معناها أنا ذبت فيكم، مالي ذاب فيكم، أولادي ذابوا فيكم.

المقدمة الثانية: المال هل يمتلك إرادة؟ الجواب: لا فهو ليس مختارا، أنت تأخذه وتقدمه لأهل البيت عليهم السلام، لكن الابن يمتلك إرادة خاصة وعنده اختيار خاص. فهل يمكن أن تأتي به مجبوراً وتعطيه الإمام عليه السلام؟، أم أنك تربّيه بحيث يكون اختياره الذهاب إلى الإمام عليه السلام؟ المسألة دقيقة. لاحظوا ماذا تريد أن تقول الزيارة: دائرة مسؤولية الإنسان الموالي دائرة واسعة، فمثل ما أنه يربي نفسه على حبكم وولائكم وطاعتكم والفداء والتضحية لكم، فأبناؤه أيضاً كذلك، أو لا يكون للعبارة معنى.

مثلا: حين تعدُ إنساناً - وهذه مجربة خصوصاً في الجهاد والحروب -

(١) «مفاتيح الجنان»، عباس القمي، ص ٦٢٢، الزيارة الجامعة الكبيرة.

وتقول له: عندي لك عشرون مقاتلاً، فإنك تعني: عشرون شخصاً متفانياً وذائبا فيك. فعندما تقول: بنفسي أنتم وأبي وأمي وولدي، فإنك تعني: أنا سعيت في كل حياتي وربيت أبنائي ليكون اختيارهم وإرادتهم أنتم فقط.

تربية الأولاد والاختيار، وتحريك الاختيار والإرادة وتوجيهها، يحتاج إلى عناية كبيرة، لذلك التربية ليست مسألة بسيطة كما نتصور. قراءة الدعاء، وقراءة الزيارة.. هذه في الحقيقة ليست إلا لوناً من ألوان التوجيه. وعلى الأم أن تخلق بالتدريج نوعاً من الاختيار ونوعاً من الإرادة حتى تتفق أفراد الأسرة في سطح روحي ومعنوي وأخلاقي معين ومقدار من الإيثار ومن التضحية بصورة متوازنة. لأن في تفاوت ذلك مشكلة كما أشرنا.

إذا كانت إرادة الأم ووعيها وفهمها هو هذا الولاء، فإنها تعطي سطحاً للبيت بمقدار وعيها وفهمها، وبمقدار ذلك الولاء. الزائر لهم عليهم السلام يقول (بأبي أنتم وأمي ونفسي) وحين يقصد هذا الكلام واقعاً فهو يحدد سعة دائرة مسئولياته. يعني كما أن مسئوليتي أنا أن أصل إلى هذه المرتبة من الولاء والتضحية والفداء، فأنا أربي هؤلاء الذين لديهم وجود مستقل وعندهم اختيار مستقل على إرادتكم واختياركم دون سواكم، لأنه ليس من شأن الإمام عليه السلام أن تُمسكَ أحداً من رقبته وتأخذه للإمام وتقول له: هذا عبدك. هذا ليس من شأن الإمام ولا من شأن الإمامة، ولا الإمام يريد ذلك.

الإمام الحسين عليه السلام عندما ذهب إلى عبيد الله الجحفي - وكان من الشيعة - كان عبيد الله يبتعد عن مسير الإمام الحسين عليه السلام حتى لا يلقاه، الإمام الحسين عليه السلام ذهب له إلى خيمته وتحدث معه وقال له: أنا خارج لأجاهد بني أمية. - وعبيد الله يعرف واقع بني أمية فقد كان في جيش أمير المؤمنين عليه السلام، وكان ممن سمع أخبار أمير المؤمنين عليه السلام وحفظها -. قال للإمام الحسين عليه السلام ما عندي إلا سيفي هذا خذه، وهذا فرسي ما ركبت ولا لحقت شخصاً به إلا أدركته، قال له الإمام عليه السلام: أنا لا أريدها أنا أريد إنساناً، أنا لا أريد أموالاً، أنا ذاهب وآخذ معي أناس

أذهب بهم إلى أعلى مراتب الجنة.[1] لذلك الإمام عليه السلام لم يكن معه أسلحة، الأسلحة التي كانت معه محدودة. لأنّ الإمام لم يخرج مقاتلاً وإنما مقاوماً. وهناك فرق بين المقاتل والمقاوم.

المقاتل خارج ليَحصُد أو يُحصد، خارج ليقتُل أو يُقتَل، لكن الذي يخرج ليهدي ويرشد فإنه يقاوم حتى يُوصل الناس إلى الرشاد، لذلك كانت مسئولية الإنسان أنه كما يوصل نفسه يجب أن يوصل معه على أقل تقدير أبناءه ودائرته التي حوله. قد يقول قائل أنّ هذا صعب لا يمكن. نعم، هو في التصور صعب لكنه يسهل إذا خصص الإنسان جزءاً من برنامجه لتربية أبنائه مثلما يخصص وقتاً لقيام الليل وقراءة الأدعية، لأننا عرفنا أنه إذا كان سقف البيت متفاوتاً جداً وشديد التفاوت، فإن الإيثار والتضحية يكوّنان ردة فعل عكسية.

«**بأبي أنتم وأمي ونفسي ومالي**» يعني: أنني كما أربي إرادتي على حبكم، فإنّ هؤلاء الذين سوف آتي بهم إليكم هم حزب، ألا نقول في الزيارة: «**وحزبه وعيبة علمه**»[2] ماذا يعني ذلك؟

يعني: تعالوا نعمل حزباً نذيب فيه أخلاقنا الفاسدة ونبدلها بأخلاق تناسب الدخول في بيتهم، نذيب عقائدنا الضعيفة ونضع عقائد صحيحة وسليمة تؤهلنا لأن نكون أعضاء في داخل هذا البيت وفي داخل هذه الجماعة. إذن القدرة على الاختيار الحسن من شؤون التربية.

نعود للآيات ﴿**وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا**﴾ يبدأ الكلام هنا عن نعيم الجنة،

---

(١) «موسوعة كلمات الحسين عليه السلام»، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم، ص٤٤٤: فقال عبيد الله بن الحر الجعفي: ...فأنشدك بالله أن تطلب مني هذه المنزلة!وأنا أواسيك بكل ما أقدر عليه، وهذه فرسي ملجمة، والله ما طلبت عليها شيئا إلا أذقته حياض الموت، ولا طلب وأنا عليه فلحقت، وخذ سيفي هذا، فو الله ما ضربت به إلا قطعت. فقال الحسين عليه السلام: يا بن الحر ما جئناك لفرسك وسيفك، إنما أتيناك لنسألك النصرة، فإن كنت قد بخلت علينا بنفسك فلا حاجة لنا في شيء من مالك، ولم أكن بالذي أتخذ المضلين عضدا...

(٢) «مفاتيح الجنان»، عباس القمي، ص ٦٢٢، الزيارة الجامعة الكبيرة.

ربما تتساءلون: إنهم سيلاقون نعيم الجنة فيما بعد، فما الذي يجعلنا نتحدث عنه الآن في حديثنا عن حجم البيت وواقع البيت وسعة هذا البيت؟!

لقد بدأت الآية في الحديث عمّا سوف يستقبلهم، وهذا هو عينه ما جاء في حديث الكساء، فحديث الكساء يحمل نفس معنى الآية.

ماذا تعني الآية ﴿**وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً**﴾[١]؟ أولًا لنلاحظ الفرق بين الطهور والطاهر، يدي الآن مثلاً طاهرة لكنها لا تطهِّر، الطهور هو الذي يطهِّر كالمطر والأرض ﴿**وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً**﴾[٢] «**جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً**». والفرق بين الطاهر والطهور هو:

الطاهر: هو الطاهر في حد نفسه، أما الطهور: فهو الطاهر المطهِّر لغيره. فما هو هذا الشراب الطهور الذي سقاهم إياه ربهم؟ هذا بالضبط مثل معنى ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[٣] الآية التي بين أيدينا مفادها مفاد آية التطهير روحاً ومعنى، وإن كان الحديث هنا عن الآخرة، لكن ليُعلم أنهم جاؤوا بهذه الأعمال إلى الآخرة.

الآيات تتحدث عن جزائهم في الآخرة، أمّا لماذا تحدثت الآية عن جزائهم في الآخرة؟ فالآيات تقول: لأن عملهم هذا لا ينقطع، هي ليست حادثة وانتهت وإنما ﴿**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ**﴾[٤] يعني هؤلاء جاؤوا بهذه الحسنة بين يدي الله تعالى. الإنسان في حياته قد يمر بمرحلة روحية وحالات أخلاقية راقية - لابد أن كل شخص منا جرّب ذلك - تمرّ أحيان في عمره تكون صلاته أحسن صلاة عنده، صيامه أحسن صيام عنده، آدابه أفضل الآداب، لا يغتاب، يسبّح دائماً، يشعر بالنفور كلما أراد أحد أن يتحدث معه بحديث يقسي القلب، لكن هذه الحالة كم يصعب الحفاظ عليها، الله تعالى يقول: هؤلاء جاؤوا

(١) سورة الإنسان: من الآية٢١.
(٢) سورة الفرقان: ٤٨.
(٣) سورة الأحزاب: من الآية٣٣.
(٤) سورة النمل: ٨٩.

إلينا هكذا، ولم يكن حالاً مروا به ثم تغير الجو وتبدل.

الله تعالى لا يقول: (من عمل حسنة) وإنما يقول: **﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾** يعني جاء وهو يحملها، وصل لنا وهو يحملها، لذلك عندما يتحدث عن هؤلاء يقول: هم جاؤوا بأنفسهم يفجرون عيونهم ويشربون، لكن فعل الله جلا وعلا هو: **﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾**.

الوظيفة التربوية هي حراسة الأخلاق:

قد تقولون هذا صعب، لكن أصل الوظيفة التربوية حراسة الأخلاق. ليس من الضروري تعليم الطفل حسن الخلق، بأن نسرد له في كل يوم قصة وكل يوم موعظة، هذا ليس صحيحاً وليس صحيحاً أن نوجه له كل يوم توجيهاً أو نهياً، إنما علينا أن نحافظ على ما يفعله من فعل حسن. عندنا في الرواية: «**الحفاظ على العمل اشد من العمل نفسه**»[1].

شراب يطهّرهم عما عدا الله تعالى:

﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾ الساقي هو الرب الذي كانوا يخافون منه حياءً وحباً وانجذاباً ووداً، ولكن، كيف يسقيهم الله تعالى؟ وهذا من أدق الأبحاث العرفانية. إنه يسقيهم **﴿شَرَاباً طَهُوراً﴾** أي يطهرهم ويقطعهم عما عدا الله.

ثم يقول وهو يتحدث عن النعيم الراقي الذي يصلون إليه، أن الله تعالى (وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً) [2] النظرة الإلهية. الأصل الإنسان إنما يمل الشيء إذا لم تكن كل قواه متجاوبة معه. إذا تجاوبت جميع القوى فإن الإنسان لا يمل **﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾**[3]. لقد قدّم هنا المتعلق، والمفترض أن يقول:

---

(١) «الكافي»، الشيخ الكليني، ج٢، ص١٦: الإبقاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل، والعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلا الله...

(٢) سورة القيامة: ٢٣_٢٢.

(٣) سورة الأعراف: من الآية٣٢.

(وجوه يومئذ ناضرة ناظرة إلى ربها) لكنه جاء بكلمة (إلى ربها) ووضعها قبل (ناظرة). ولكي نفهم ذلك إليكم المثال التالي:

أحياناً تقول: درستُ عند زيد، وأحياناً تقول: عند زيد درستُ، فما الفرق بينهما؟!

عندما تقول: درستُ عند زيد، فالمعنى أنك درست عند زيد وغير زيد، فهذا لا ينفي أنك درست عند فلان وفلان غير زيد، وعندما تقول: عند زيد درستُ، فهذا يعني اقتصار دراستك على الأخذ من زيد فقط.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ لا ناظرة إلى ربها، إنما ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وهذا يوضح أن النظر مقصور على الله، فهم لا يرون إلا الله، هؤلاء اللذين كل نظرهم إلى الله ألا يملون، ألا يتعبون؟! في الواقع، لا، إنما الآيات تتحدث عن الجنان والوسائد والفرش والنمارق والزرابي. هل تعرفون ما هي النمارق والزرابي؟! النمارق هي الكراسي الراقية أما الزرابي فهو الفرش الراقي. الآيات تقول: كل هذا النعيم موجود لكنها تشير إلى نكتة ظريفة جداً.

الآية تريد أن تحل مسألة دقيقة جداً، أوضحها لكم بطريقة أخرى. عندما يخرج الواحد منّا ويتسوق ويشتري، لماذا يضيق صدره عندما يعود إلى المنزل؟! الجواب: لأن العقل لا يتحمل الغفلة أصلاً، فأشرف شيء في الإنسان عقله. وعندما يستخدم عقله استخدام تغفيل يخرج ويتمشى ويشتري ويبيع.. فإن ذلك يشعره بالضيق، ومنشأ ذلك تكوّن حالة غطاء على العقل.

تلاحظون.. عندما يشتري الإنسان أفضل ثوب ويذهب إلى أحسن حفلة والناس تنظر إليه، إذا عاد إلى المنزل لا ينام؟! - طبعاً إذا كان قلبه نظيفاً أما إذا كان تعيساً فإنه ينام!- أريد أن أقول إذا لم يحجب عقل الإنسان بعد فإنه يتأذى. لو تعلمون كم تحدث تلك الحالات من القسوة في القلب!!.

العقل - أشرف شيء في الإنسان - دائماً يتكلم ويتحدث، وإذا أخطأ الإنسان

فإن العقل يتحدث ويتحدث... حتى يتعبه، فإذا كان هناك انفصال بين اللذائذ المادية والمعنوية يحدث العذاب، إلا إذا استطاع الإنسان أن يلتذ لذة مادية وفي الوقت يندك في هذه اللذة المادية العقل والروح والوجدان. بمعنى آخر إذا استطاع الإنسان أن تكون لذائذه المادية ليست حجاباً... ولكن، من يقدر على ذلك؟! من الذي يستطيع أن يدّعي أنه يشتري كل أسباب التجملات ولا تكوّن حجاباً على عقله؟ تعرفون بأي دليل تكون حجاباً، بدليل أن الإنسان عندما يشتريها يكرهها وينفر منها. تعرفون لماذا ينفر؟! لأنه حدث تعلق. ما معنى التعلق؟! يعني أنّ الإنسان يُمسك من رقبته ويُجر بها. من هنا منع الإسلام من التجملات الزائدة، لأنها في الحقيقة تفصل بين عقل الإنسان ورغباته. العقل في الداخل يحجب ويُمنع ولا يستطيع أن يرى.

الآن نعود إلى آية ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ هؤلاء في نعيم، في جنان، في مال لكن ميزة هذه اللذائذ أنها مندكة مع اللذائذ الروحية والعقلية. لذلك تلاحظون كلها موجودة ويستخدمونها. هذه الوجوه تنظر إلى كل شيء. وترى كل شيء، لكن هذا الذي تراه، ترى خلفه الله تعالى، فهي في الحقيقة ترى مرآة. وكل ما تراه هو معكوس وخلفه الله تعالى فهي ناظرة لكل شيء. لكن ليس هناك حجاب مع هذه اللذائذ الجسمانية، يعني هذه التفاحة التي تأكلها مثلاً هي ذاتها تورث العلم، أنت في نفس الوقت الذي تستطعم فيه هذا الطعم تنعكس معه ربوبية الله تعالى، من كان هكذا فرؤيته منحصرة في الله تعالى هذا ما قلناه. ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ يعني منحصرة بربوبيتها في الله. وليس المعنى أنها منحصرة أي لا ترى شيئاً آخر، بل إن كل شيء تراه، تراه منسجماً مترابطاً ومن ورائه علّته. علة نفورنا من اللذائذ المادية أن هذه اللذائذ متنافرة مع مطالب العقل.

الإنسان يخرج ويتمشى، وهو يعرف أن عليه صلاة قضاء وعليه حقوق للآخرين - هذا إذا كان واعٍ وقلبه نظيف ومتوجه - هل يرجع هذا مرتاحاً؟ أم أنه يرى أن كل هذه اللذة هي في الحقيقة عناء، نفس حالة الالتذاذ هي في حد ذاتها عناء.

إذن، إذا استطاع الإنسان أن يحوّل التمتع في الحياة الدنيا إلى أسباب لوصوله إلى الله تعالى فلا تكون حجباً.. عند ذلك هي مطلوبة، هي في حد ذاتها ليست عيباً، فالله تعالى لم يخلق على وجه الأرض من زينة إلا للمؤمنين **﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾** هذا ليس حراماً، لكن فيها مشكلة أكبر من الحرام، من ذا يملك قوة في النفس والعقيدة والقلب والوجدان بحيث يأتي بهذه الماديات ولا تكون حجاباً؟! من يدعي القدرة على ذلك؟

التسابق على هذه الأمور في الحقيقة كاشف عن مرض في الأصل. نحن نتساءل: لماذا لا تصبح قلوبنا رقيقة؟! لماذا لا يكون وقتنا كله ممتلئ بذكر الله تعالى؟! - ذكر الله ليس فقط باللسان - لماذا لا نستطيع أن نكون منذ أن نصبح إلى أن نمسي ونحن نعيش حالة قربة لوجه الله؟! الجواب: لأنّ وضعنا - شئنا أم أبينا - هو وضع خاطئ. نحن وضعنا أموراً هي بحد ذاتها حُجب. أنْ الإنسان يأتي بشيء مادي للذة مادية ولا يكون حجاباً.. هذا محال!. من يستطيع أن يضع حائلاً ويرى الله دائماً؟... هذا يحتاج إلى قدرة إلهية!! وإلى إمكانيات غير طبيعية.

هذا الجوّ في أعماق الإنسان ودواخله، ومثلما أنّ الكافور يطغى، فإنّ هذه الأخلاقيات - شئنا أم أبينا- تطغى أيضاً، لذا تقول الآيات: هؤلاء حتى إذا كان هناك «نعيم وملك كبير» فإنهم لا يرون إلا الله ربهم. **﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً﴾**[1].

ماذا يعني **﴿نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً﴾**؟ كل ما يمكن تصوره في الملك الكبير موجود، لكن هذا الملك الكبير ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله ومعه وبعده، إذا استطاع الإنسان أن يمتلك ويسيطر ويجعل كل هذه الاستعدادات تحت إمكانياته، ولكنها مع ذلك لا تمثل حجاباً فثقوا أن هذا الإنسان ليس طبيعياً!

الناس دائماً يقولون: إنّ الإمام الصادق عليه السلام كان يلبس الجبة بمائة ألف، والإمام الحسن عليه السلام كذلك! ونحن نقول: ذاك يستطيع أن لا يجعل ذلك حجاباً

---

(١) سورة الإنسان ٢٠.

لأنه يملك قدرة روحية عالية، هو أصلاً لا يحتجب عن الله تعالى حتى تكون هذه الماديات حجاباً بينه وبين ربه.

لكن عند سائر البشر، هذا النوع من الحجب يتكتل ويكوّن فاصلاً وخماراً على العقل فيسكره!. فالسكْر هو ما يغطي العقل. نعلم أن الشراب المسكر حرام. لكن هل تعرفون ما هو السكْر في الروايات؟. الشباب سكر، في المناجاة الشعبانية «**أبليت شبابي في سكرة التباعد منك**»[1] فالسكر هو ما يضعف القوى العقلية والروحية والمعنوية. وعندما يصبح عمر الإنسان ٤٠ سنة أو أقل أو أكثر، فإنه يريد أن يبذل كل ما في وسعه من أجل أن تتنشط تلك الإمكانيات التي كانت حية ونابضة وحيوية.

إذاً في الحقيقة التجملات من حيث الأصل ليس فيها عيب بل بالعكس. لاحظوا.. المسيحيون يعيبون على المسلمين أن القرآن دائماً يتعرض إلى النعيم المادي، هم يعتقدون أن البعث والحساب والجنة فقط جنة روحية، بينما القرآن الكريم يؤكد أنها جنة روحية وجسمانية.

المسيحيون يقولون أنتم لماذا تتحدثون عن النعيم الجسماني؟! نحن نقول النعيم الجسماني في حد نفسه ليس عيباً ولا نقصاً بالعكس، هو كمال، لكن بشرط أن يُرى الله فيه، شرط أن يعكس الله فيه. والذي يدعي أنه يستطيع أن يجمع بين الدنيا والآخرة إما كاذب أو لا يعرف نفسه أو هو متألّه. كبار العرفاء لم يستطيعوا أن يفعلوا ذلك، فهل يستطيع هو؟!

لذلك هذه الوجوه الناضرة إلى ربها ناظرة ترى كل نعيم، ولكن هذا النعيم تراه مندكاً في الله تعالى. قد يقول أحدهم هذا المعنى (الاندكاك في الله) معنى كبير، هذه معانٍ جداً راقية، نحن لا نستطيع أن نفعل ذلك. هذا كلام غير صحيح، فلينظر الإنسان إلى الجهة الأخرى لينظر إلى أنّ الدنيا ليس فيها متعة حقيقية.

---

(١) «مفاتيح الجنان»، عباس القمي، ص٢١٠، المناجاة الشعبانية.

أنا أنصح فقط أن ننظر يوماً إلى معاني الكلمات في القرآن، هذه في الحقيقة من أفضل الأعمال. نفس العلم والمعرفة والإجادة هذه لوحدها حياة. أحد أصحاب الأئمة قال للإمام الباقر عليه السلام: أنا نقلت لأحد الأصحاب عنك هذه الرواية، فقال له الإمام عليه السلام: أقلتها لفلان؟، قال الرجل: نعم قلتها، قال عليه السلام: إن هذا لهو العيش. يعني هذه هي الحياة، هذا الواقع هو العيش.

الحياء نعيم الدنيا والآخرة:

سورة هل أتى هي السورة الوحيدة التي ذكر فيها نعيم الجنة بشكل مفصّل ولم يذكر فيها الحور العين، لماذا؟!

الجواب: لجلالة الزهراء عليها السلام وعلو قدرها ومكانتها عند الله تعالى. كرامة لها من الله لم يتعرض للحور العين، الحياء الذي عند الزهراء عليها السلام هو حياء الثقل والاتزان، وهو ما ورثته عنها زينب عليها السلام.

الآن لنرى هذه الظرافة، القرآن الكريم يؤكد على أن الجور العين في الجنة في خيام، وهذه الخيام مغلقة لا يخرجون منها، الناس يخافون من الاختلاط حتى لا يقع الحرام. في الجنة لا يوجد محرمات. لماذا الحور العين في خيم مغلقة؟ وهذه الحور لم يطمثهن إنس ولا جان، ونظراتهم نظرات خمرية، وتقتصر نظراتهم على أزواجهم؟! لأن هناك شيء هو نعيم الدنيا ونعيم الآخرة وهو الحياء للمرأة.

أنا أرى هنا ثقافة الخفة. وهذا خطأ، فالحياء والاتزان والوقار والورع، قد يبدو لأهل الدنيا شيئاً فارغاً، لكن العقل والعلم والكمال بهذه الأمور. جمال المرء بعقله وعلمه. ولابد له في المقابل أن يتظرف ويتلطف. عقل المرأة في جمالها، أي أن كل جمال فيه عقل، وكل عقل ينعكس جمالاً فهذا ممدوح.

القرآن الكريم رعاية لمقام الزهراء عليها السلام لم يتحدث عن الحور العين، لأنه يريد أن يشير إلى أن هناك عفة وصيانة أو سمّوه - إن شئتم - دلالاً، ليس الدلال أن تُعطى الفتاة كل ما تريد، لا. إنما التلطف بها في أدق المشاعر والأحاسيس،

رعايتها، صيانتها، إحاطتها. وإذا كان تدليل الفتاة مستحبا فهو بهذا المعنى، إدخالها في الجو المعنوي والروحي وإحاطتها وصيانتها في هذا الجو هذا هو الدلال.

الله تعالى رعاية لمقام الزهراء عليها السلام الروحي لم يذكر الحور العين، لأن الزهراء قمة في حجابها وصونها ولم يحاكيها في ذلك إلا زينب بنت أمير المؤمنين عليهما السلام. من جاور زينب عليها السلام ٢٠ سنة لم ير لها خيالاً ولم يسمع لها صوتاً، كانت إذا أرادت أن تذهب لزيارة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسرج لها أمير المؤمنين عليه السلام، ويتقدم الحسنان حتى لا يرى أحد ظل زينب عليها السلام.

الحفاظ على خدر زينب عليها السلام كان مطلبا ربانياً:

عندما تسمعون إلى الطريقة التي أخرج الإمام الحسين بها زينب عليها السلام إلى كربلاء تلتفتون إلى أن أصل الحفاظ على خدر زينب عند أهل البيت عليهم السلام كان مطلباً ربانياً.

يُنقل أنه في أحد الحروب بين المسلمين والمشركين انتصر جيش المسلمين، وباعتبار أنه أمر طبيعي خروج النساء مع المشركين لحرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن الطبيعي أن يقع النساء في السبي، أحد المسلمين سبى إحدى النساء المشركات، فعندما أراد أن يدخلها المدينة مر بها ساحة المعركة وكان أخوها مشركاً كافراً خارجاً لحرب الله ورسوله، وكان أحد المقتولين، فعندما دخل بها إلى المدينة ووصل بها إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، سأله رسول الله: من أين جئت بها، هل من طريق بعيد حتى لا تمر على المعركة؟، فقال له: لا، يا رسول الله! مررت بها على الطريق المعهود، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: مررت بها فرأت أخاها؟! قام رسول الله وألقى عليها بردته وأعتقها، وفي رواية أنه تزوجها إكراماً لها، تزوجها ليزيل حرقة قلبها. قال: ألك قلب، مررت بها على جسد أخيها!!

ألا لعنة الله على الظالمين.

خلاصة المحاضرة العاشرة

١- الخوف من الرب الكريم الذي أحاط بالإنسان بأنحاء اللطف والعناية هو خوف ممزوج بالحب وعرفان خصائص هذا الرب. فالخوف من المعصية والمقام بين يديه خوف حياء ومعرفة.

٢- القلب المملوء بالتوحيد الذي من خصائصه الأمن الكامل لا تتسلط عليه نيران الله تعالى، لذلك يقول الأمير عليه السلام «هيهات» يعني هذا أمر لا يكون.

٣- مسألة تربوية: سطح الإيثار والأخلاق والتدين في البيت الواحد لابد أن يكون بشكل متوازن بين الآباء والأبناء، لئلا تتولد ردود فعل عكسية عند من لم يدرك ولم يصل إلى ما عند الطرف الآخر من الكمال والعطاء.

٤- الإنسان الموالي دائرة مسؤوليته واسعة فكما أنه مسؤول عن تربية نفسه على حب وولاء وطاعة أهل البيت عليهم السلام والفداء والتضحية في سبيلهم، هو كذلك مسؤول عن تربية أبنائه ومن حوله على هذه الحالة أيضاً وهذا هو معنى «بأبي أنتم وأمي ونفسي وأهلي ومالي وولدي». لذلك على الأم أن تسعى لتكون إرادة أبنائها واختيارهم هو ولاء وطاعة وفداء أهل البيت عليهم السلام.

٥- طهارة أهل البيت عليهم السلام في الدنيا التي هي مفاد آية التطهير مستمرة لا تنقطع ويجيئون الله تعالى يوم القيامة بها سالمة، ولذلك جزاء هذه الطهارة شراب طهور يسقيهم ربهم إياه في ذلك اليوم.

٦- الشراب الطهور يطهر الإنسان ويقطعه عما سوى الله تعالى.

٧- علة النفور من اللذائذ المادية والملل منها هي أنها متنافرة مع مطالب العقل وتشكل حجاباً عليه. أما في الجنان فالرغبات النفسية والجسمانية مندكة مع

اللذائذ الروحية والعقلية فلا تعب ولا ملل.

٨- الوجوه الناضرة إلى ربها ناظرة ترى كل نعيم لكنها ترى الله قبل كل نعمة ومعها وبعدها فلا تمثل النعم حجباً عن رؤية الله تعالى.

٩- الحفاظ على حجاب زينب عليها السلام عند أهل البيت كان مطلباً ربانياً.

الإنفاق معبر للتطهير

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾(١).

لم نزل في الحديث فيما أضاءنا به القرآن الكريم حول البيت الذي درجت فيه زينب عليها السلام وعاشت فيه طفولتها. كثير من الأحيان يقرأ الإنسان قصة حياة شخص، بطولاته، كتبه، مؤلفاته، ذهابه وإيابه سفره ومأكله... وتكون الخلاصة شيئاً يسيراً، بينما اليسير الذي نخرج به من حياة هؤلاء الكمّل يخرج منه الكثير.. الكثير.

الحديث في الآيات حول (المبررات الموضوعية العملية لخصائص هذا البيت) باعتباره قابلاً للتأسي والاقتداء، لأن مقام الأبرار في التقسيم القرآني هو مقام أصحاب اليمين، الشيعة الموالين. أما أهل البيت عليهم السلام فهم المقربون، إذن الحديث عن معالم هذا البيت بما هو أسوة وقدوة، وبما هو قابل أن يدرس.

التصور الصحيح للقدوة باعث للتأسي:

ربما يتصور الإنسان للوهلة الأولى أن هذا تصوير مثالي ومقامات صعبة، لكن حقيقة الأمر أنه إذا كان هناك شيء من هذه الصعوبة صحيحاً، فليس كل ما نتصوره من الصعوبات صحيح. وذلك أننا نلحظ وجود قادة ونماذج تتجسد فيهم

---

(١) سورة النور: ٣٦-٣٧.

القيم، بحيث يصبح إتباع الناس لهم، وتجسيد الناس للقيم من خلالهم أمراً فعلياً واقعياً.

الشهيد الصدر يلفت إلى مسألة مهمة ويقول: إن الإنسان لكي يتكامل يحتاج إلى أمرين: وهما المعرفة النظرية والقدوة العملية. شخص يجسد له هذه النظرية ويجسد له هذا الطرح.

القرآن يكلمنا بشكل مفصل عن أحوال هذا البيت لأنه يريد أن يكوّن لدينا تصوراً، لأن التصور هو الباعث للإنسان. الإنسان عندما يتصور قدوة ما تصوراً صحيحاً، كاملا، فسيكون هذا التصور هو الباعث له على أن يقتدي بها، أو أن يتمثل بها خصوصاً إذا كان هذا التصور مجسداً.

في أوائل انتصار الثورة، في السنوات التي كانت تعتبر أول أيام انبثاق الحركة الإسلامية، رأينا نماذج ربما لم يُشهد مثلها، حتى في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله في النبل والإيثار والتضحية والإيمان والعبادة والأخلاق والتقوى.

وكما أن هناك جو يؤدي إلى حمّى البدن، كذلك هناك جو يؤدي إلى حمّى الأخلاق والقيم، هناك بيئة ومجتمع هي في الحقيقة تنضج وتفعل الخصائص الموجودة لدى الإنسان.

الشعور بالعجز أساس شلل حركة الإنسان:

ربما لا يوافقنا كل المحيط الاجتماعي على تأسيس قيمة ما، لكن ليس معنى ذلك أن يعجز الإنسان تماماً، ويشعر بالعجز عن تأسيسها في بيته. هذا الشعور بالعجز لا يُقبل من الإنسان، وإلا لما كُلف الإنسان أن يقول «**بأبي أنتم وأمي ونفسي وأهلي ومالي**» هذه العبارة إنما يكون لها معنى عندما يكون الإنسان لديه القدرة.

إنّ أساس مشكلة عدم التحرك هي في الحقيقة مشكلة الإحساس بالشلل والإحساس بالعجز. هذا الحجاب وهذا المانع، هذا الوهم وأكثر تصوراتنا توهم هو الأساس في شلل حركة الإنسان.

أنا أعرف الكثير من العوائل رأيتها في هذا الزمن، وفي هذا العصر، لا أعتقد أن لها وجوداً حتى في زمان الأمير عليه السلام المسألة ليست وهمية وخيالية، لا.

المشكلة أن الإنسان في البداية يبني على أن هذه الأمور والقيم غير واقعية، وليست فعلية، وأنّ فعليتها شيء مثالي. ونفس هذا البناء النفسي والفكري والثقافي - إن صح التعبير - يجعل الإنسان ينتقل إلى ثقافة أخرى ويقبل ما يخالف هذه القيم. ما الذي يجعل الإنسان يقبل الثقافات الواردة؟ لأنه يشعر بالفقر في نفسه، لذلك ورد في الدعاء «**واجعل غناي في نفسي**»[1].

الآيات تتكلم في هذه النقطة، الإنسان عندما لا يشعر بالعجز في نفسه، فهذه أول خطوة وأول أساس وأصل يبني الإنسان، لكي تقوم عليه القواعد وتقوم عليه بقية التأسيسات التي يبني عليها البناء الأسري الصحيح المتكامل.

النقطة التي أشرت إليها بالأمس تحتاج إلى كلام كثير، وهي أنه يجب أن يكون هناك نوع من التكافؤ في عملية البناء الأسري، هذه المسألة تحتاج إلى تدقيق.

وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ:

بعض المفسرين وليس من مفسري الشيعة يناقش في مسألة الإنفاق ويقول: أن هذه الآية ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً**﴾[2] قد نسخت بآية ﴿**وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً**﴾[3] الآية تقول «لا تبسط يدك كل البسط» هذه الآية كلنا نستخدمها أليس كذلك؟! لكن هذا الاستخدام خاطئ، الكثير من الناس يقولون ﴿**وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ**﴾ يعني لا تنفق كثيراً، ولا تصلي كثيراً، ولا تجعل يدك باذلة بحيث تقعد ملوماً محسوراً.

أصلاً الشهيد مطهري يقول: كل آية لها لسانها الخاص، وقد ورد في آية

---

(١) «مفاتيح الجنان»، عباس القمي، ص٢٠٢، دعاء ليلة المبعث.

(٢) سورة الإنسان: ٨.

(٣) سورة الإسراء: ٢٩.

﴿وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ سبب نزول[1]، وهو أنه اجتمع عند النبي صلى الله عليه وآله مقدار من الأموال، فجاءه فقير، ولشدة كرمه صلى الله عليه وآله أعطى الفقير كل ما عنده، وبعد ذلك جاء فقير آخر وليس عند النبي صلى الله عليه وآله شيء، فنزلت الآية ﴿وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ يعني هذا المقدار الذي عندك وزعه، ولا تعطه لطرف واحد فقط فيحرم الطرف الثاني، فالحديث في الآية حول تحديد توزيع موارد الإنفاق وليس في كيفية الإنفاق. بينما هذه الآية ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾ لا تتلكم عن التوزيع وإنما هي تتكلم عن أصل الإنفاق.

التكامل الأسري:

نعم، هناك مسألة أساسية، الحديث هنا ليس عن تكامل شخصي، وإنما عن تكامل أسري، التكامل الأسري بعضه يغذي بعضاً، وبعضه ينمي بعضاً، أضرب مثالاً عكسيا حتى تكون الصورة واضحة:

إذا كان هناك بيت له شخصية أخلاقية ودينية، ثم يكون خلل في طرف من أطرافه... افترضوا - مثلاً- أنّ فرداً من أفراده يقوم بارتكاب عيب اجتماعي، فهل أن هذا الخلل يضرب الإنسان نفسه أو يضرب شخصية البيت؟ بالتأكيد هو يضرب شخصية البيت.

لذلك نحن عندما نزور الإمام عليه السلام نقول: السلام عليك يا ابن فلان السلام عليك يا ابن فلان. ما هذه الزيارة للإمام هل هي بطاقة شخصية؟! أو نريد في الحقيقة

---

(١) «تحف العقول»، الحسن بن شعبة الحراني، ص٣١٥، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٤هـ:

قال عليه السلام: ...علم الله نبيه صلى الله عليه وآله كيف ينفق، وذلك أنه كانت عنده صلى الله عليه وآله أوقية من ذهب فكره أن يبيت عنده شيء فتصدق وأصبح ليس عنده شيء، وجاء من يسأله فلم يكن عنده ما يعطيه، فلامه السائل واغتم هو صلى الله عليه وآله حيث لم يكن عنده ما يعطيه، وكان رحيما رفيقا، فأدب الله نبيه صلى الله عليه وآله بأمره إياه فقال: ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾ (الاسراء: ٢٩) يقول إن الناس قد يسألونك ولا يعذرونك، فإذا أعطيت جميع ما عندك كنت قد خسرت من المال...

نريد أن نقول هذا التراث محفوظ ومصان؟!!.

يعني كما أن العيب إذا صدر من قبل طرف من أطراف الأسرة فإنه يضر نفسه ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[1] هذا في الحساب الفردي، لكن في الحساب الأسري يجب أن يكون هناك سقف أخلاقي لا يُتعدى، سقف من العبادات لا يُتعدى هذا هو أساس التربية الصالحة، وهو أن يجعل الإنسان له نصاباً في كل السلوكيات، يجب أن لا يتعداها أحد لأنه ليس لأحد حق في أن يتعداها. ربما حتى سلوك الطفل يؤثر - الذي في كثير من الأحيان نرى أنه معذور - لأنّ بعض الألفاظ يحرم صدورها من الطفل من ناحية شرعية، بل يحرم صدورها من الوالدين في قبال الطفل لأنهما في مقام التعليم والتلقين.

الشهيد الصدر ﷺ عنده فتوى في تعليقه على العروة يقول: بعض التصرفات التي يقوم بها الطفل حرمتها تقع على الوالدين. الطفل لم يقع عليه الحرام لأنه ليس مكلفاً، فالطفل ليس عليه حرمة إذا رأى شيئاً فاسداً في التلفاز، لأنه ليس مكلفاً، لكن تمكينه لا يجوز، والمسؤول عن تمكينه وعدمه هم الوالدان، لذلك الخلل في الشخصية الأسرية حتى لو صدر من شخص واحد، إلا ما دام في ظروف خاصة وسقف اجتماعي خاص فإنه يؤثر على كل الأسرة. لا بمقدار الفعل وإنما له حساب بمقدار التأثير. والمربي مسؤول لأنه كان باستطاعته أن يؤثر ولم يؤثر، وكان بمقدوره القيام بوظيفته ولم يقم بها.

الوظيفة الأسرية:

الوظيفة الأسرية ليست كوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو أن تقول لفلان عندما لا يصلي صلِّ، الوظيفة الأسرية أشد منها، لابد أن تبني اختياراً، إرادة، عزيمة، تصميماً، رغبة، ميلاً، هل يستطيع الإنسان أن يوجد كل هذا؟! مستحيل أن لا يستطيع الإنسان أن يُوجد هذا المقدار من الخصوصية.

---

(١) سورة الأنعام: من الآية١٦٤.

خصوصية هذا الإيثار أنه صدر من هؤلاء الخمسة بنفس النسبة، يعني الأمير أعطى قرصه والزهراء عليها السلام أعطت قرصها باختيارها، بإرادتها، برغبتها، بمزاياها الباطنية، بمزاياها الأخلاقية. الحسنان أعطوا القرص كذلك بمزاياهم الباطنية، لذلك شكّل هذا الإيثار شخصية أسرية، وفضة بالتبع، لأن التصاق واحتكاك فضة بهؤلاء الخمسة حوّل جوهر فضة بإكسير الرحمة والتربية والتعليم إلى شيء بالتبع يشابه هؤلاء الخمسة. والآيات تتحدث هنا عن الجانب العملي والسلوكي في حياتهم، الجانب الذي بُنى بعد الارتباط مع الآخرين وعن البُعد العملي والمبررات الموضوعية للبُعد العملي في حياة هؤلاء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

كما أنني أود الإشارة إلى أن على الإنسان أن يلحظ - في ظرف كماله الشخصي - أن لا يُبنى كماله على حساب عدم كمال الآخرين أو يكون حائلاً دون كمال الآخرين.

الكفور فقط هو موضع مجازاة الله تعالى:

﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً﴾[١] لماذا قال ﴿جَزَاهُمْ﴾ ولم يقل (جازاهم)؟ فرق بينهما كبير، (جازى) فعل ذو طرفين مثل صارع، لاعَب، أي يحتاج إلى طرفين، لكن (جزى) فعل من طرف واحد. فالله تعالى جزاهم ولم يجازهم لأنّ القرآن الكريم يستخدم لفظ المجازاة حين يتحدث عن حالة الكفر ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾[٢]. الذي يتأكد كفره وإعراضه عن الله فالله تعالى يجازيه بالمثل فقط. الجزاء لـ(الكفور) وليس (الكافر)، لأنّ الكفور هو الذي اشتد كفره، فالله تعالى لا يجازي أحداً بالمثل أبداً، الله تعالى لا يتعامل تعاملا طرفينيا.

نحن عندنا مشكلة، وهي أنه إذا أذنب الواحد منّا فإنه يتصور أن الله تعالى غير راضٍ عنه وغاضب عليه. لا، ليس الأمر كذلك، لأنّ لله تعالى سياسة خاصة في التربية والتعليم والتوجيه ولكن لأنّ الإنسان الكفور يُصّر على هتك حرمة المولى

(١) سورة الإنسان: ١٢.

(٢) سورة سبأ: من الآية١٧.

فإنه استحق أنْ يكون موضعاً لغضب الله تعالى وسخطه.

وأقبح شيء يراه العقل أنّ يرى مولاه وسيده والمنعم عليه يريد أن يرحمه ويعطيه ويهديه ويريد أن يحفظ له وجوده في كل نشأته، وهو مع ذلك يريد الانتقام منه، هذا الأمر قبيح عقلاً. أشد قبح عقلي في هذه المسألة هو أن الكفور يريد أن يصل إلى هتك حرمة مولاه، وهذا قبحه لابد له من جواب.

هذا القبح وهذه الشناعة لأنها عقلية فهي لا حدّ لها ولا يمكن أن تقيّد، ولأن هذا القبح شنيع جداً فالله تعالى يجازيه ويتعامل معه، وهذا التعامل إنما هو تعامل قوانين الكون الحقيقة، تعامل قوانين المتن الخارجي في الواقع، لذلك الله تعالى يجازيه.

وأما (الجزاء) فهو من طرف واحد لذلك الله تعالى يقول من جاء بالحسنة يقابلها بعشر وينميها إلى سبعين وإلى ما لا نهاية كذلك. فهذا نوع من التربية الإلهية والعناية الإلهية.

لآيات تشير إلى أن عمل هؤلاء يقابله (جزاء) من عند الله تعالى وليس (مجازاة)، ما معنى ذلك؟ هذا معناه أن العبد مهما عمل فهو لا يقوم بشيء إلا التعرض لموارد الرحمة، حقيقة ليس شرطاً أن يفعل الإنسان شيئاً ليكون عبداً لله، وإنما الشرط أن يتعرض لموارد الرحمة، وأن يعرض نفسه لموارد لطف الله تعالى وأن يتوجه إلى الله تعالى، إذا أقدم الإنسان على الله تعالى فإن الله يقدم عليه بأكثر.

العمل الشاق منبثق العزة والكرامة:

الآية تقول: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا﴾ كل الدرس في حرف الباء هنا ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ هذه الباء باء سببية، هذه مسألة أساسية في التربية، الطاعة شاقة على الإنسان، التكليف متعب للإنسان لكن الإنسان بدون مشقة لا يكبر.

فرق بين أن يأخذ الإنسان جزاءه باستحقاق وبين أن يأخذ جزاءه تلطفاً من عند

الله تعالى، هناك فرق كبير في البناء النفسي - هذا المطلب نوضحه بالتدريج -.

أولاً فلنلاحظ الفكر الخاطئ حتى نرى إنه إنما ينمو الإنسان ويترعرع ترعرعاً سليماً، وتنبثق فيه الكرامة والعزة والشرف والاستقلال والقوة والمنعة واللطف عندما يقوم بعمل شاق يأخذ عليه مثوبة.

كمال الإنسان في العطاء:

هذا الفكر الذي سوف نطرحه من خلال الآية هو فكر يهودي والقرآن الكريم كثيراً ما يحارب الفكر اليهودي ويؤكد القرآن الكريم أن هذا الفكر يتكرر عند الناس أي يُعاد.

اليهود عندما يطلب منهم الإنفاق والإطعام سواءً إطعام علم أو طعام، أو أي إنفاق أو أي بذل يقولون ﴿**أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ**﴾[1] القرآن يريد أن يرد على هذا التفكير ويقول هذا تفكير إنسان لم يفهم نفسه أصلاً، ولم يفهم حقيقته، لأنه لو أن الله تعالى هو الذي ينفق على كل الفقراء هل يمكن أن يتكامل إنسان؟! لو أن الله تعالى يعلّم كل الجهال هل يمكن أن يتكامل إنسان؟!

الله تعالى يجعلنا في موارد التكامل. فعطاؤنا كمال لنا، وأخذ الطرف الآخر كمال له. ما لم نفهم ظرفية هذه الدنيا وظرفيتنا وخصوصياتنا وميزاتنا، فإننا لن نفهم المعادلة. فيتكلم الإنسان حينها بكلام من هو غائب عن طبيعة ذاته وطبيعة الكمال وطبيعة وجوده في هذه الدنيا وطبيعة هذه النشأة، الكثير من المعادلات لا نفهمها لذلك هذا الكلام يأتي كلاماً شاذا، كلاما نافراً عن إدراك طبيعة الإنسان.

الإنسان الذي يعطي فإنه يتكامل، لاحظوا كيف يُحدثنا القرآن عن العطاء وكيف أنه تطهير للإنسان، يقولون في معنى الآية ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا**﴾[2] أنّ الروح مثل معبر الماء، المعبر يمر الماء فيه من جهة ويخرج

---

(١) سورة يّس: من الآية٤٧.

(٢) سورة التوبة: من الآية١٠٣.

من الجهة الثانية، والذي يمر عليه حتماً سيتطهّر، ولكن لو بقي الماء في مكانه ماذا يحدث؟ يأسن ويصبح عديم القيمة.

الأموال التي نتعب ونتزاحم ونأتي بها ونجمعها ونحتفظ بها، إذا جمّدت وركدت تصبح - والعياذ بالله - مثل الماء الراكد الذي لا يطهر، كما أنّ الأموال التي تتعب في الحصول عليها ثم تنفقها على نفسك، وتشتري بها لنفسك، تلبس وتأكل وتشرب، هذه في الحقيقة لا تطهرك، وإنما تثبت وتجعلك ملتصقاً بالحياة الدنيا ﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾[1] أي شيء إضافي تشتريه يسبب لك ثقلًا، لماذا؟ سأشرح ذلك ليتضح سبب ذلك الثقل لأن الإنسان إذا لم يعرف الدليل المنطقي للأمور يردّها!!

طهارة الإنسان في الإنفاق:

إن كل فعل يقوم به الإنسان يلقي بظله على الباطن، وكل شيء يفعله الإنسان له ظلال في الخارج. وأول ظلال يلقيه الإنسان يلقيه على باطنه فإذا اقتنى الأشياء التي من طبيعتها الحاجبية ومن طبيعتها إنشاء الغفلة، فلا يستطيع أن يقول حينها: أنا أفصل بين ممتلكاتي المادية الكثيرة، والتجملات الكثيرة وأجعلها تفقد هذه الخاصية، لا يمكن.

الإنسان في الحقيقة كلما تمتع أكثر تأزّم أكثر، تعرفون لماذا يتأزم؟ لأن حقيقة المسألة في خصوصية هذه التجملات. خصوصيتها أنها توجد حجاباً وغفلة، هذه طبيعتها. فالإنسان يتأزم من جانب الغفلة والحاجبية التي تحدثها الماديات على باطنه، يتأزم من جانب أن العقل - الذي هو أشرف بُعد في وجوده - يرفضها.

لكن في الجانب الآخر، حين يتعب الإنسان ويشق ويكدح ويصرف من وقته ومن طاقته ومن جهده - وقت الإنسان وطاقته وجهده هذا كيانه، هذا جزء من كيانه ووجوده - ثم بعد أن تجتمع عنده الثروة ينفقها كلها، إنّ أثر هذا الإنفاق هو أنه

---

(١) سورة التوبة: من الآية٣٨.

يجعل الإنسان موحداً أكثر ومرتبطا بالآخرة أكثر.

هل ترون شيئاً يجعل الآخرة حاضرة عند الإنسان أكثر من هذا؟. يقولون: معنى (تطهرهم) أي تكسح كل حجب الغفلة وتطهر كل حجب الإعراض وحجب ضعف العقل وضعف القدرة الفكرية وضعف القدرة النفسية وضعف الثقافة. ما هو سبب عدم توحيد الله جلت قدرته كما هو أهله؟ بسبب هذه الحجب وهذه الموانع، لذلك فالإنفاق يجعلك تتكامل.

البعض يقول - بحسب فهمه لقوله تعالى - ﴿**أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ**﴾: من يريد أن يرزقه الله فليذهب ويسعى. ونحن نقول له: أنت لابد أن تسعى لتتكامل. هذا النوع من العطاء فيه كمالنا نحن. فلو أن الله تعالى قضي حاجة كل محتاج بشكل مباشر في هذه الدنيا، فمن يتكامل في هذا الظرف؟ لا أحد يتكامل. ثم إن الطرف الآخذ أيضاً يتكامل في موارد معينة، الآخذ عندما يشعر بلطف وعطف وحنان الآخرين، هذا في الحقيقة يجعله - خصوصاً إذا كان مؤمناً متديناً موالياً يأتي بهذا الفعل على نحو الولاء والمحبة - يدرك أن هناك محبة أكبر، وأنّ هناك لطفاً وحناناً إلهياً أوسع.

فإذاً لا يمكن بروز وظهور صفات الكمال مع افتراض أن الله تعالى يقوم بدور الإنسان، الله تعالى لا يقوم نيابة عنا بدورنا، الله تعالى يقول لكم دور وحيد، وهو أن هذه العوامل الخيرة التي جعلتها في أعماقكم لابد أن تبرزوها وتفعّلوها. لذلك يقول الأمير: «**إن المسكين رسول الله**»[1]، والمعني أنّ هذا الذي يطرق عليك الباب، هذا المسكين تلطف من الله بك إنّ الذي يطلب منك أو يحتاج إليك أو الذي تبذل له أو تسعى لرفع حاجته، هذا في الحقيقة رسول من الله، هذه

حوائج الناس اليكم من نعم الله عليكم فلا تملوها «**إن حوائج الناس إليكم نِعم ربكم عليكم فلا تملوها**».

ربما يقول الإنسان: انه يشق على المرء أن يعطي كل ما لديه، فمن يستطيع أن

(١) «نهج البلاغة»، ص: إن المسكين رسول الله، فمن منعه فقد منع الله، ومن أعطاه فقد أعطى الله.

يفعل ذلك؟. أنا بالأمس كنت أريد أن أقترح عليكم اقتراحاً وهو: إذا كان الإنسان واقعاً مؤمن صادق، يريد أن ينفق في مورد لنفسه مالاً كثيراً - افترضوا ما يحصل في التجهيزات مثلاً - إذا كان صادقاً فعلاً فليضع نصف المبلغ صدقات، هل يستطيع أحد أن يفعل ذلك؟

هذا الأمر في الواقع يحتاج إلى إنسان يريد أن ينمو وأن يكون بالغاً روحياً.

مقتضى البلوغ الروحي:

لاحظوا الفرق بين تصرفات البالغ وغير البالغ، تعلمون أنّ هناك بلوغاً بدنياً تصبح معه بعض التصرفات عيباً يؤاخذ عليه المرء، فلأنه بالغ مثلاً لا يصح منه أن يمشي بأية طريقة، الطفل له أن يتخطى في المجلس كيف يشاء، وذلك لا بعيبه، لكن الكبير إذا أراد أن يقوم ليجلس في مكان آخر فإنه يؤاخذ على ذلك، لأنه من العيب تخطي الرقاب. كذلك البالغ الذي يتكلم كلاما غير متوازن يحاسب ولكن الطفل لا يحاسب. الكثير من التصرفات ربما تقبل من غير البالغ لكنها من البالغ لا تليق أصلاً. هذا ما يسمى بالبلوغ الزمني.

الآن لاحظوا البلوغ الروحي، فالإنسان تكبر روحه وعقله يكبر وذلك يعني أنه يعرف مصلحته ومفسدته الواقعية، عندما يكبر عقله وتبلغ روحه فإنه يستصغر الكثير من التصرفات، الإنسان الذي يصرف وقته في علاقات ليس لها ثمرة فإنه يتعب نفسه، وكذلك من يصرف وقته في تتبع أخبار الناس، لأنه كمن يلبس ملابس أصغر من عمره! هل تصورتم كيف يحاول الكبير ان يلبس قميصاً صغيراً.. ألا يشعر بصعوبة!! الطفل حين تلبسه ثوباً كمّه ضيق يبكي!

لذلك عندما يكبر عقل الإنسان تبلغ روحه، وعندما تبلغ روحه تكره الدنيا وتشعر أنها دار فناء وتعرف أن التجملات للأرض **﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾**[1] وليست له، النظافة والأناقة هذه كلها مطلوبة،

(١) سورة الكهف: ٧.

لكن مطلوبة بلا إضافات كثيرة. ما أراه أنا الآن ليس أناقة إنما أشبه بالهستيريا!!. وهذه الحالة نعدّها طبيعية إذا كانت الروح لم تبلغ بعد، وإلا فلا.

هل تعلمون أن لدينا في القرآن الكريم نظرية في الألوان، نظرية في الذوق، نظرية في صناعة المزاج، نظرية في اللباس - إن شاء الله إذا فسح لنا المجال لشرح سورة الرحمن سوف نعرف أنه حتى الألوان والانسجام بين الألوان لها نظرية قرآنية عميقة.

نعود لحديثنا.. فكلما كبرت روح الإنسان أكثر، فإن العطاء يشعره بكرامته. لأن هذه الإمكانيات التي يعطينا الله تعالى سواءً كانت وقتاً أو مالاً أو عمراً أو أهلاً أو أبناء... كل هذه الإمكانيات قابلة لأن تكون سبباً لتطهيرنا وقابلة في نفس الوقت أن تكون سبباً لتأخيرنا. لذلك قلت لكم بالأمس أن الله أمرنا بالعبودية وجعلنا في ظرف نعيش فيه العبودية. ماذا يعني ذلك؟

ظرفنا هو ظرف العبودية والتطهير:

باختصار... ليس من حكمة الله تعالى أن يأمرنا بعبادته، ويجعلنا في بيئة لا تساعدنا على العبادة، وعقل لا يساعدنا على العبادة، وأهل لا يساعدونا على العبادة وإمكانيات لا تساعدنا على العبادة. هذه ليست من حكمة الله تعالى، لكل واحد منا الإمكانيات التي في ظرفه وفي بيئته وفي بيته وفيما حوله تمكنه من تحقيق العبودية، في الحقيقة نفس هذه الإمكانيات يمكن أن تكون أحسن معبر وأطهر معبر، ويمكنها في نفس الوقت أن تتحول إلى حجر عثرة.

السورة هنا تعلمنا كيف نحول الظرف الذي نحن فيه، والبيئة التي نحن فيها، والمناخ الذي نعيشه، تعلمنا كيف نحوله إلى معبر للتطهير؟ وأول درس تعطينا إياه هو: تحمل المشقة في أداء العمل. العقلاء واقعاً يطلبون عملاً حتى يجدون فيه أنفسهم، الفلاسفة يقولون الإنسان يجد نفسه ويلمسها إذا كبرت. لأنّ الكرامة ما دامت صغيرة لا يمكن لمسها، العزة ما دامت بذرة فأنت لا تشعر بها، الكرم والأدب

بذرة موجودة في الباطن، لكن متى تشعر بها؟ عندما تكبر وعندما يكون لها وجود وأثر.

لو كان الله تعالى يريد أن يجعل كل الناس متمكنين ماديا ويرزقهم بالتساوي ولا تفاوت لما نمت لديك صفة الكرم، ولو أراد أن يجعل كل البشر مؤدبين فغدا كل إنسان يتحدث معك بأدب واحترام ولا يغضبك فلن يكون لديك حِلم.

الإمام زين العابدين عليه السلام كان عنده عبد أحمق، كلما قال له الإمام شيئاً يعمل العكس، أصحاب الإمام كانوا يحضرون لاحظوا أن هذا العبد ليس فيه فائدة – والإمام زين العابدين عليه السلام تقريباً من أكثر الأئمة الذين كانوا يعتقون العبيد –، أحد أصحاب الإمام عليه السلام، قال له يوماً: يا سيدي ومولاي اعتقه، ما لك في هذا العبد؟ كلما أرسلته لم يأت بخير أينما توجهه يأتي بالعكس، اعتقه يا مولاي. قال الإمام عليه السلام: أنا أدعه عندي احلم عليه. من أجل أن يتفعّل الحلم لديه يتركه عنده، لأنّ الإنسان الذي لا يتعرض للغضب لا يصبح حليما، وإذا لم يخطئ عليه أحد

ويتحمل الخطأ ويسع صدره للاخر لا يصبح مؤدباً، متى يكون الإنسان مؤدباً؟ عندما يخطئون عليه الاخرون وهو لا يرد عليهم. هناك شعر بالفارسي لحاج انصاري وهو من العرفاء يقول..

لو تغير ظرفنا كله لا نصبح عبيداً، فلا يمكن أن نكون عبيداً إلا في ضمن هذه الظروف، فإذا استطعنا أن نخرج من هذه الظروف سالمين فقد تطهرنا، لذلك قالت الآية ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ**﴾. فحين يذهب النبي صلى الله عليه وآله لشخص راعٍ يسعى ويرعى ويتعب طوال عامه، ويأخذ النبي صلى الله عليه وآله أمواله، هذا الرجل هو من هو يطهر وليس أمواله.

المفسرون يلفتون إلى نكتة وهي أن من يعطي لا تطهر أمواله إنما هو يطهر (تطهرهم) هم يطهرون، بعض الناس يق: فلان طهّر أمواله إذا خمّس، فلان يطهر رزقه حتى تأتيه بركة أكثر، البعض هكذا يفهم لكن في الحقيقة الآية لا تتكلم عن المتعلقات وإنما تتحدث عن الإنسان نفسه.

معالم البناء الأسري السليم:

لذلك أول بناء أسري هو بناء الإنفاق الاجتماعي، الإيثار، احتواء الآخرين، مراعاة الآخرين، هذا في البُعد العملي فالأم عندما تأتي لتدافع عن الطفل لحفظ حقوقه هذا في الواقع لا يكمّله، وإنما حفظ وعيه وعقله هو ما يكمّله. إن من حق الطفل عليك أن تعلمه كيف ينفق ويبذل كيف يعطي وكيف يتأدب، كيف أنه لا يردّ على أحد إذا تجرّأ عليه، وإذا قال له أحدهم كلمة يرد عليه بكلمة أدون منها، أن تعلمه أنه لا يجب أن تتصاعد الكلمة وأن لا يكون الحديث تصاعدياً حتى لا يتحول إلى جد، فكم ممن بدؤوا يلعبون ويمزحون فأصبح لعبهم جداً وواقعاً وموقفاً، وتطوّر إلى غضب للأم والأب... لذلك زيارات أهل البيت تعالج هذا المعنى - معان نكررها دائماً لكن نحتاج إلى التأمل فيها - «**معادياً لمن عاديتم**»[1] ماذا تعني هذه العبارة؟ يعني أنا ليس عندي أعداء غير أعدائكم، ولا يوجد في قلبي عداء ولا غضب ولا غيظ إلا ممّن يؤذيكم. هذه العبارة بهذا المعنى من يستطيع أن يقولها؟!!

عندما يعيش الإنسان داخل أسرة لا تغتاب ولا تذكر أحداً أساء لها - لأن الطفل يعتبر أمه وأباه مثل الأئمة المعصومين أمه وأباه هم كل مشاعره وعواطفه متعلقة بهم - فإن سلوكهما يسهم في بنائه وتكامله، والعكس صحيح، عندما يتداول الأبوان الكلام في البيت بأنّ شخصاً أخطأ عليهما بشكل كبير، أو قصة حدثت لك أو أنّ فلاناً ظلمك أو ما شابه، عند ذلك تتكون عند الطفل عداوة وهذه العداوة تأخذ حصة من قلبه. قطعاً نحن لا نعني عداوة الظالمين والجبارين فهم ممن يجب إظهار العداوة لهم.

نحن الآن نعمل بالعلم والمعرفة حتى نعبئ قلوبنا كرهاً لهؤلاء، إذا كان الإنسان لا يعمل بهذا العمل، ولم تبذل الأمّ في المقابل تعريفاً وصناعة وصياغة لعداء أعداء أهل البيت عليهم السلام، ولم تمتلك هذا الفن وهذه المقدرة، إذن الفن العكسي سيستولي على قلب الطفل، كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام: يملأ صفحة القلب فلا

---

(١) «مفاتيح الجنان»، عباس القمي، ص٦٢١، الزيارة الجامعة الكبيرة.

يكون فيها مجال للتلقي[١].

الشيخ جوادي حفظه الله يقول: إن تأثير هذا النوع من العداوات والعلاقات على الطفل، مثل من يشرب - أعلى الله مقامكم - ماءً آسناً حتى تمتلئ معدته، عندها حتى لو رأى أطهر ماء بعد ذلك فلن يستطيع أن يشربه، لأنه لم يعد هناك طاقة ومتسع ومكان. لذلك كان أول شيء لابد منه هو أن يفرّغ الإنسان هذا القلب من كل عداء غير عداء أعداء آل محمد عليهم صلوات الله وهذا أحد معاني «**معادياً لمن عاديتم**».

إذاً نتيجتنا من كل ما سبق أنّ ﴿**أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ**﴾ هذا منطق يهودي غير صحيح، لأن ظرف كمالك أنت أن تطعم، وظرف كمال الطرف الآخر أن يأخذ.

أول لذة للنفس هي أن ترضى عن نفسها!

يقولون من أعظم اللذات التي يمكن أن يحصل عليها الإنسان هي أن يأخذ أجره باستحقاق. الإنسان لا يخرج عن منّية الله، فالله تعالى هو المنان. لكن الشعور بمنية الله شيء، والشعور بالاستحقاق شيء آخر. الشعور بالاستحقاق يولد في الإنسان تحسس إنسانيته وإدراك نفسه.

يقولون: الروح لا تهدأ إلا عندما ترضى عن نفسها، من أعظم لذائذ الروح أن ترضى عن ذاتها، وأن تصل إلى مرحلة الرضا، لأنّ كل عمل يقوم به الإنسان - مهما كان هذا العمل - فإنه يرى فيه نقائص وثغرات، لكن عندما يجزيه الله عليه، فسيشعر أنه مرضي عند الله تعالى، عندما يشعر بذلك فستتحقق أول لذة للنفس، وهي أن ترضى عن نفسها.

لأن كل أعمال الإنسان في حياته، وسلوكه، ومعاملاته، ناقصة. والإنسان

---

(١) «نهج البلاغة»، ص٣١٩، من وصيته للإمام الحسن عليه السلام: وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبك.

المؤمن عادة يرى جانب الثلمة وجانب النقص في أعماله، هذا الألم الذي يشعر به المؤمن بسبب رؤية ثلمة العمل ونقصه يعالجه الله بأن يجزيه. الجزاء فضل إلهي، لكن نفس الجزاء يحقق رضا للنفس، وليس هناك لذة للإنسان أكثر من أن تندك النفس في رضاها عن نفسها

فرق كبير بين حب الذات وبين رضا النفس عن نفسها، حب الذات مسألة مكروهة وغير محبوبة، حب الذات هي أساس كل المشاكل، ورضا النفس عن ذاتها يعني طمأنينتها وسكونها لأخلاقها، يعني هدوءها الباطني مع خصائصها، هذه أعظم لذة يمكن أن تصل لها النفس.

العلاقة الزوجية مودة ورحمة:

لاحظوا قلّة المسائل الفقهية الواردة في الشرع المقدس فيما يخص العلاقات الزوجية العائلية وعن علاقة المرأة بالرجل في البيت إنها أقل من عشر مسائل! لماذا؟ مع أنها علاقة الاحتكاك فيها كثير، وتداخل الأمور والقضايا فيها كثير، لكن الإسلام يريد أن يبني هذه العلاقة عن رضاً باطني في النفس.

فرق بين الحب والعلاقة التي تُبنى على أساس من المودة والرحمة، والعلاقة التي تبنى على أساس من مصلحة أو علاقة اجتماعية أو في ظرف اجتماعي أو علاقة خاصة.

أكثر علاقة يحدث فيها احتكاك هي العلاقة بين الزوج والزوجة والأبناء - شئنا ذلك أم أبينا -، لأن الإنسان عندما كان في منزل والديه كان له تربية معينة له شخصية معينة، الآن انتقل إلى مكان ثان ، هو فيه المؤسس، فهو في منزل والديه لم يكن يؤسس بل كان فرعاً، أمّا الآن فهو الأصل.

نحن نعلم أن النزاع يحدث في الأصول. في الأسرة.. الأم أصل والأب أصل، فماذا لو كانت العلاقة سببها أمر آخر غير الإيثار والتفاني والتضحية والمودة؟! الحب بالمعنى المتعارف عليه عندنا هو معنى خاطئ، لأن له فترة وينتهي، فبعد سن الأربعين من الطبيعي في الإنسان أن يكره الدنيا ويميل للآخرة. أما الدعوات

التي نسمعها لإعادة ترتيب الحياة وتجديدها بعد هذا السن هي من توارد الثقافات الدخيلة والارتباط بالقنوات الفكرية والثقافية غير الصحيحة.

نريد أن نشير إلى نقطة أساسية وهي (البناء الباطني الأسري)، أنا لا أقول تعالوا ننظر إلى علاقة علي وفاطمة عليهما السلام لأنها تكافؤ واقعي. بل سأتحدث عن علاقة داخل أسرة متوسطة، الإيرانيون إذا رأوا امرأة وفية، مؤثرة، واعية على حقوقها ولا تطالب بها، تبكي داخل قلبها... قالوا هذه عربية، وهذه فضيلة للعربيات. دائماً يقولون هذا المثل. المرأة العربية عادة لو خُليت وشأنها فإن الجانب الغرائزي الشهواني فيها محدود، بينما الثقافة الدينية والجانب الروحي فيها عميق.

الذي لا تنتهي فترته أبداً هو المودة، لأن المودة من المحبة العميقة ذات الآثار الخارجية، وإذا لم يكن هناك مودة على الأقل رحمة، الرحمة في الحقيقة هي الحافظ والضامن، قدلا تحب المرأة زوجها أحياناً لكنها تبقى معه رحمة به، في الحقيقة هذا البناء يجعل هناك تكافؤاً في الباطن.

أهل جهنم ساخطون على أنفسهم:

إذن من عناصر التكامل أن يرضى الإنسان عن نفسه وأن يقبل الإنسان نفسه. وفي المقابل فإنّ حالة أهل جهنم. هي ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾[1] كل أمة تدخل تلعن التي قبلها، ولا يَلعن الإنسان عندما يكون ساخطاً على نفسه وعلى من حوله. الروايات في أهل جهنم تقول: هم في هذا الوضع وفي نار جهنم وهم يتخاصمون! نتساءل: كيف يتخاصمون مع ما هم فيه من العذاب؟ الجواب: يتخاصم لأنه في باطنه وفي حقيقته ليس راضياً عن نفسه.

سوء الاستفادة من نقاط الضعف:

السيد القائد له ممثل للشباب، هو (شيخ بناهيان) وهذا الشخص له قدرة عجيبة في التأثير على الشباب. كان يتحدث يوماً ويقول: يسألون: لماذا كان للتلفاز

(١) سورة الأعراف: من الآية٣٨.

والقنوات والمسلسلات والأفلام والمظاهر الخارجية الاجتماعية هذا التأثير الجذاب، وثقافتنا الدينية لا تؤثر؟ فمنذ زمن ونحن نحاضر ونتكلم ونشرح ونقرأ القرآن والأدعية والتوسلات ولا نرى لنا تأثيراً، وهؤلاء بالمقابل يؤثرون جداً، قال الشيخ بناهيان موجهاً كلامه للسيد القائد - وكان حينها جالساً - أنا التفت إلى مسألة أساسية، وهي: إن كل الثقافات المنحرفة تعتمد على نقاط الضعف في الإنسان، يعني مثلاً الإنسان عنده شهوة ورغبة وغرائز، هذه الثقافات تحركها، هذه تسمى سوء استفادة، وهي أصلاً نقطة ضعف. ماذا يعني نقطة ضعف؟ يعني أن يتحرك الإنسان بدون شعور.

عندما تعرف أنّ نقطة ضعف هذا الشخص أنه يغضب، وفي كل يوم تتعرض له بمسألة تثيره، أنت بذلك تحطمه، أنت تحطمه، وهو يتجاوب معك، وفرق بين أن يتجاوب معك لأنك تطرح شيئا كمالياً أو يتجاوب معك لأنك تعرف نقطة ضعفه، فرق كبير.

هذه الثقافات كلها قد أحرزت نقاط ضعف الإنسان ودرستها، الإنسان نقطة ضعفه حب الدنيا، نقطة ضعفه التمحور في ذاته، نقطة ضعفه أن تكون غرائزه متفعّلة، هذه نقاط ضعف الآخرين. هذه الثقافات تعمل على نقاط الضعف، وعندها يكون انجذاب وهمي وسوء استفادة من نقاط ضعف الآخرين. فإذا صغنا كل الثقافة على نقاط ضعف الناس فإن الناس سوف تأتي وتأنس بنا. لكن هل تخدم ثقافة تستخدم نقاط ضعف الإنسان من أجل مضرته؟!!

الإرادة والعقل شرط الالتحاق بأهل البيت (ع):

بينما الإمام الحسين وأهل البيت عليهم السلام يحيون جانب الإرادة والاختيار والوعي والفهم والاستيعاب في شخصية الإنسان، فيجعلون الإنسان يأتي إليهم باختياره، لأنّ شرط الالتحاق بهم أن تقوى الإرادة والعقل، وحب النظام، والجدّية والعزيمة. بينما نجد تلك الثقافات تجعل الإنسان يأتي بدون تفكير ولا اختيار ولا وعي، فشرطها هو أن تغفل جانب الوعي وتضعف الإرادة. والإنسان إذا كان عنده

إرادة لا يمكن أن يأتي بهذه الطريقة.

الطرماح هذا الشاعر الذي قرأ القصيدة على ناقة الإمام الحسين عليه السلام، لقد كان مِمَّن ذهب إلى كربلاء قبل مجيء الإمام الحسين عليه السلام ينتظر الإمام الحسين عليه السلام، فأصل ذهابه إلى كربلاء كان لانتظار الإمام الحسين عليه السلام، إذاً لِمَ لمْ يستشهد؟

لاحظوا أخلاق الإمام الحسين عليه السلام الذي يريد اختيار الإنسان ووعيه، ويريد أن يلتحق به من يلتحق مريداً حراً مختاراً ١٠٠٪ بلا ضغط ولا استغلال لنقاط الضعف. الطرماح استأذن من الإمام الحسين عليه السلام فقال: أنا تركت أولادي وبيتي وزوجتي بلا نفقة، فأعطني فرصة لأذهب أؤمنهم مالياً وأؤمن معيشتهم وأعود. قال له الإمام الحسين عليه السلام: اذهب ولا تبطئ. وعندما ذهب، وهو في الطريق صار يبكي ويقول: لم قال لي الإمام أنْ لا أبطئ عنه؟!! إلا لأن الإمام الحسين يشعر بالغربة والوحدة. حتماً لم يقل ذلك إلا لأن هناك فعلاً ما يستوجب أن أحضر بسرعة. ذهب الطرماح ولم يرجع إلا وقد استشهد الإمام الحسين عليه السلام. تقل الرواية: أنه أصبح يأخذ التراب من على الأرض ويهيله على وجهه، وهو يقول حتماً إن سيدي ومولاي عاش تلك الوحدة الشديدة التي قال لي لأجلها لا تتأخر. بعض علمائنا يعلق على هذه القصة فيقول: لو كان الإمام الحسين عليه السلام يريد أن يستغل الطرمّاح ويريده أن يكون معه ولو بدون اختيار، لقال له: لا تذهب. لكن الإمام الحسين عليه السلام كان يريده أن يأت راغباً ١٠٠٪ محباً عاشقاً مريداً.

تحريك الاختيار في الإنسان وإيصاله إلى حد الانتخاب والاختيار هذا عمل الكمّل، أما استغلال جوانب الضعف وجوانب الحاجة وجوانب الجهل فإنه في الحقيقة هذا ضد عملية التربية الإلهية.

قال تعالى معلّلا جزاء هؤلاء ﴿**وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا**﴾ لماذا قال ﴿**بِمَا صَبَرُوا**﴾؟ لأنّ الله تعالى رأى أن لهؤلاء استحقاق كبير. ولكن.. ما هو مقتضى الصبر؟ يمكن أن يصبر الإنسان على المكاره، أو يصبر عن الأمور المحببة؟! أصلاً لو لم يصبر الإنسان لما تكامل. لأن الصبر يحتوي على العزيمة والإرادة والاختيار والوعي

والانتخاب، بل على أكثر من ذلك وهو التحمل لوجه الله محضاً.

أجر زينب عليها السلام لا حدّ له:

الله تعالى عندما يتحدث عن أجر الصبر يقول ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1] فأجر هؤلاء لا حد له. لماذا ليس له حد؟ الجواب لأن كل إنسان أجره بقدر صبره، والصبر بقدر المنبع!!

نحن كلما قرأنا من قصص الأولياء والأنبياء والصالحين، لا نفهم سرّ منبع صبرهم..فمن أين ينبع صبر زينب عليها السلام؟!

أكثر المؤرخين يقولون: أنه كلما استشهد للحسين عليه السلام أحد كان يعطيه لزينب عليها السلام، لأنه يريد أن

يرى مدى تحمّلها للألم وهل في استطاعتها أن تتحمّل أكثر! ليؤمّن عندها ثقل النبوة وودائع الإمامة؟! لقد جسدت زينب في كربلاء صبراً لا حدّ له، حتى عجبت منه ملائكة السماء.

ومن هوان الدنيا على الله، أنّ تلك التي ربّاها علي عليه السلام في بيت الكرامة والمعرفة والعزة، والتي لم يعلُ عليها صوت.. تعلوها اليوم سياط الظالمين.

ألا لعنة الله على الظالمين.

---

(١) سورة الزمر: من الآية ١٠.

خلاصة المحاضرة الحادية عشر

١- الإنسان يحتاج في تكامله إلى عنصرين: المعرفة النظرية والقدوة العملية.
٢- القرآن يفصل أحوال أهل البيت علهم السلام لتكوين تصور صحيح يبعثنا على التكامل والحركة في مسير الاقتداء.
٣- أساس مشكلة عدم الحركة هو الإحساس بالشلل والعجز. وهذا التصور يبنى غالباً على التوهم.
٤- الذي يجعل الإنسان يتقبل الثقافات الواردة هو شعوره بالفقر في نفسه.
٥- الوظيفة الأسرية تقتضي بناء الاختيار، الإرادة، العزيمة، التصميم، الرغبة والميل.
٦- يجب على الإنسان أن يلحظ في ظرف كماله الشخصي أن لا يبني كماله على حساب عدم كمال الآخرين أو أن يكون حائلاً دون كمال الآخرين.
٧- المجازاة بالمثل لا تكون من الله تعالى إلا لمن تأكد كفره وإعراضه عن الله (فهل نجازي إلا الكفور). أما عدا الكفور فإن الله تعالى لا يعامله معاملة المنتقم بل يعامله بكل مقتضيات الرحمة والهداية والعناية الإلهية.
٨- وظيفة العبد هي التعرض لموارد الرحمة واللطف الإلهي. عندها يعطيه الله تعالى ليس بمقدار ما عمل فقط بل يضاعفه أضعافاً كثيرة.
٩- إنما تنبثق في الإنسان الكرامة والعزة والشرف والاستقلال والقوة والمنعة عندما يقوم بعمل شاق يجد فيه نفسه.
١٠- كل فعل يفعله الإنسان له ظلال على الباطن وآثار.
١١- كلما تمدد الإنسان في تمتعاته الدنيوية كلما تأزم وعاش الضيق لما تورثه هذه

التمتعات من الحجب والغفلة ولأنها مرفوضة من أشرف ما في وجود الإنسان وهو العقل.

١٢- العطاء والصدقة والزكاة تطهر الإنسان بمعنى أنها تزيل كل حجب الغفلة والإعراض وحجب ضعف العقل وضعف القدرة الفكرية وضعف القدرة النفسية.

١٣- الله تعالى يضعنا في موارد التكامل والاختيار، ودور الإنسان هو إبراز ما في أعماقه من الكوامن إلى مرحلة الفعلية.

١٤- من حق الطفل تعليمة البذل والعطاء والأدب.

١٥- لابد من تفريغ القلب من كل عداء غير عداء أعداء محمد وآل محمد عليهم السلام.

١٦- عندما يجزي الله تعالى الإنسان على أعماله يجد أنها مرضية عند الله تعالى، فتتحقق لذة عند النفس وهي رضاها عن نفسها برضاء الله تعالى.

١٧- المؤمن دائماً يلتفت إلى جانب النقص في أعماله فيتألم، والله تعالى يجزي هذا الألم بالرضا في الآخرة.

١٨- العلاقة بين أهل الجنة هي الرضا والرحمة والمودة والحب لأنهم في أنفسهم يعيشون حالة الرضا. بينما العلاقة بين أهل النار هي اللعن والتخاصم والتباغض وذلك لأنهم يعيشون في أنفسهم حالة السخط والمقت.

١٩- الثقافات المنحرفة تعتمد على تحريك نقاط الضعف عند الإنسان وسوء الاستفادة منها بعد إلغاء الوعي والشعور والاختيار الحر وإطلاق العنان للوهم والخيال والغريزة.

٢٠- شرط الالتحاق بالثقافة المنحرفة هو ضعف الفهم والوعي والإرادة، وشرط الالتحاق بأهل البيت عليهم السلام هو الوعي وقوة العقل والعزم والإرادة.

٢١- صبر زينب عليها السلام الذي لا حد له هو سر كمالها الذي لا حد له وأجرها الإلهي الذي لا حد له ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾.

الحمد لله رب العالمين.

المحتويات